

سوالقيصر

daralmoltaqa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 0-2-977-85411-978

رقم الإيداع القانوني: 2018/16750



ملتقى المعرفة

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: شركة أرابيسك (الحلول المتكاملة للتقنية والتصميم) arabisq1@gmail.com

القاهرة / مصر

جوال: 00201278821670

00201003528058

أحمد إسماعيل

سرا القصر



ملتقى المعرفة

أى تشابه فى الأسماء فهو من قبيل الصدفة وليس للتشهير

المقدمة

إن هذه الرواية تحمل بين طيات صفحاتها واقعاً نعيش فيه ونمتزج به كما تمتزج حبات الرمال بالماء ولكننا لا نستطيع أن نتخلص منه ولكن ما أردت أن أصوره فيها هي صورة رأيها في خيالي وتحدث عنها البطل الشهيد الرئيس الراحل (محمد أنور السادات) حينما قال (لقد أصبح للأمة درع وسيف) ولست أحدث عن ذلك فقط ولكن أيضاً أردت أن تكون بين السطور التي يستنتجها القارئ معنى الصداقة الحقيقية التي جعلت كل أبطال القصة يصمدون أمام التحديات الصعبة التي كادت أن تفرقهم ويساندون بعضهم البعض لإظهار الحقيقة وليبقوا متمسكين بثقتهم ببعضهم مهما كانت الدلائل المشيرة لغير ذلك، ولم يكن هذا أيضاً كافياً فأردت أن يبقى الحب بين قلبين فرقتهم يد ممزوجة بالدماء تشير إلى إحداهما فأبى القلب الآخر أن يترك من تعلق به دون البحث عن الحقيقة وإثبات براءته من عدوها وأردت أيضاً أن تظهر روح القانون التي من واجبها الوقوف بعض الشيء بجانب المتهم حتى تثبت الأدلة القاطعة على أنه الجاني وليس لمجرد وجود بعض الأدلة التي تدينه أن يطبق القانون ضده دون رحمة أو شفقة، وأخيراً وليس آخراً كي أترككم مع أحداث القصة التي سوف تنقلكم من عالمكم إلى سواه أردت أن أفتح باباً صغيراً تنفذ منه بعض المعلومات التاريخية الصحيحة دون تحريف حتى تكون بداية لمن لم يطرق هذا الباب من قبل أو يسلك هذا الطريق.

المؤلف / أحمد إسماعيل

الفصل الأول

يستيقظ عمر صباح أول يوم دراسي كعادته متأخرًا ويخرج من غرفته ليسلم على والديه قبل أن يغادر منزله بشارع الميرغني بمصر الجديدة متجهًا إلى جامعته بالسادس من أكتوبر ليستقل الباص الخاص بالجامعة، وحينما يصل يدخل من الباب الرئيسي متجهًا نحو الكافيتريا قاصدًا المكان الذي يجلس فيه هو وأصدقاؤه دائمًا فيجدهم يتحدثون بأصواتٍ مرتفعة فيحييهم قائلاً:

- صباح الخير يا شباب كل عام وأنتم بخير وعام سعيد عليكم جميعًا.

فتجيب روضة على عمر وهي أحد أفراد جروب الجامعة قائلة:

- صباح الخير عمر... لماذا لم تأت مبكرًا؟

- عمر: مبكرًا أكثر من ذلك... الساعة لم تتجاوز التاسعة.

- جوماننا: أعتقد ليس هناك داعٍ لكثرة الكلام، وأخبرنا أنك قضيت سهرتك أمس مع حبيبة قلبك.

فيتسهم عمر وينظر لـ (طارق) فيجده شاردًا فيتحدث إليه قائلاً:

- ماذا بك يا صديقي؟

- فتبتسم سمر وهي تتحدث لعمر قائلة: ألم يجذب انتباهك شيء ما؟

فيبحث عمر حوله عن شيء يثير الانتباه قائلاً:

- أنا لا أرى شيئاً... ماذا هناك؟

- سمر: ألم تثر عينيك هذه الفاتنة؟

ثم تشير تجاه فتاة ممشوقة القوام تقف على مسافة ليست قريبة منهم.

- فيتسم عمر قائلاً: يا الله ولكن لم يبدأ اليوم بعد... أعتقد أنها

صغيرة الحجم عليك يا صديقي وأنت تبدو مثل الدبة.

فتضحك سمر بصوت مرتفع فينتبه طارق من شروده قائلاً:

- عمر!! متى أتيت؟

ثم يقف طارق من مقعده ليحتضن عمر ولضخامة جسد طارق

يعتصره بين ذراعيه فيتألم عمر ويخرج من بين أحضانه قائلاً:

- ما هذه الأناقة التي أرى؟

- فيتسم طارق قائلاً: لا شيء يا صديقي... ولكن يعيش أبى الآن

في جنة زوجته الجديدة، فأعطاني مما أعطاه الله ولنا جميعاً الأجر والثواب.

- فيتسم عمر: أعتقد أن هذا شيء عظيم ولكن أصارحك القول

يا صديقي، هذه الأنثى سوف تأتي على الأخضر واليابس لدى والدك فلا

تتركهما مع بعضهما كثيراً.

فيتسم طارق لدعابة صديقه فقد كان عمر دائم المزاح بهذا الإسلوب

مع صديقه طارق، حيث أنهما أصدقاء منذ زمن بعيد ولأن هذا الأخير أحد

أبطال كمال الأجسام ويبلغ طوله اثنين متر ومحيط صدره خمسة وتسعون

سم، فقد كان دائماً بمثابة الحارس الخاص لـ(عمر) والذي يدافع عنه في

معظم مشاجراته نظراً لضخامة جسده... وكانا دائماً يستذكرا دروسهما

سويًا حتى حصلوا على مجموع متقارب في الثانوية العامة، مما أتاح

لهما الفرصة في الالتحاق بذات الكلية وهي كلية الصيدلة ولكن بإحدى

الجامعات الخاصة، ولكن أثناء حديثهما الآن شعر عمر بأن طارق في حالة ليست على ما يرام ونظراته مضطربة وبها شيء من القلق، فيأخذه الفضول لمعرفة أحوال صديقه فيعتذر لصديقاته ويتنحى بـ(طارق) جانبًا خارج الكافيتريا قائلاً له:

- ماذا بك يا صديقي؟... أعتقد أنك لست على ما يرام!!

- طارق: لا عليك... فأنا أشعر ببعض الضيق.

- عمر: هل حدث شيء بينك وبين زوجة أبيك؟ هل تشاجرتما

سويًا؟

- طارق: شيء كهذا؟

- عمر: عروستي... ماذا تقصد؟

فندمع عين طارق من الألم النفسى الذى يشعر به، وكاد أن يبكي لولا

أن ربت عمر على كتفيه قائلاً:

- اهدأ يا صديقي إذا لم يكن لديك رغبة في الحديث الآن فلا داعي

لذلك.

- فيتهد طارق قائلاً: ليست هذه المشكلة ولكن... جاءني أبي ليلة

أمس وقال لي أن... أن أغادر الشقة وأبحث لى عن مكان آخر لأقيم به.

- تمر لحظة صمت ثم يردف عمر قائلاً: إمممم... وهل زوجته هي

من اقترحت هذا الاقتراح؟

فينظر له طارق بعينين دامعتين توحيان بالإيجاب فيتسم عمر قائلاً

بشيء من المزاح للتخفيف عن صديقه:

- وأين المشكلة إذاً يا صديقي؟... دعه يهنأ بجنته الجديدة لعل الله

يؤتيك مثله.

- فيندهش طارق قائلاً: كيف ذلك يا صديقي؟ وأين أذهب أنا؟
وكي... ..

- فيقاطعه عمر مازحاً: ولد عيب شاتب يور بيع هووووول.

- فيبتسم الإثنان معاً ثم يكمل عمر حديثه قائلاً: لا عليك... فمنزلي هو منزلك، كل شيء أملكه هو لك... إلا ملابسني هناك فرق في الأحجام بالطبع.

- فيبتسم طارق: ربنا يبارك فيك يا صديقي ولكن ما ذنبك أنت في ذلك؟... فكل إنسان يرغب بأن تكون له حياته الخاصة.

- عمر: ما هذا الهراء سيدي الدبة؟ هل أصابك مس من الخبل أو الجنون؟ فنحن كالتوأم مع مراعاة فرق الأحجام مستر دبة.

- فيبتسم طارق قائلاً: ليس هناك كلمات تعبر عن امتناني لك يا صديقي... ولكن ما ذنب والديك في ذلك؟

- فيقلد عمر الرئيس السادات قائلاً: لا داعي لتلك المهاترات...
قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان.

فيبتسم طارق ويأخذه بين أحضانه بحنان أخوي وينظر عمر خلف طارق، ثم يطلق صافرة تنم عن الإعجاب بشيء قائلاً:

- انظر يا صديقي... صاروخ قادم علينا.

- طارق مندهشاً: ما هذا الذي أرى؟... هذه هي الفتاة التي أثار انتباهي منذ بضع دقائق... إنها تبتسم لنا... إنها تقترب تقترب.

- صباح الخير.

- فيبتسم عمر قائلاً: يا صباح الزهور والياسمين يا صباح شمس الربيع ويمد لها يده ليصافحها قائلاً: عمر مهران.

- فتحيبه بدورها قائلة: أهلاً بيك وأنا ميار... ممكن أسألك سؤالاً إذا سمحت ولا يضايقك؟

- عمر: كيف يضايقني؟ أسألي ما تشاءين... تؤبرني عيونك يا فاتنة الفاتنات، سؤال اثنين ثلاثة كما تريدن فكلي أذانٌ صاغية.

وأثناء ذلك الحوار يقف طارق فاغراً فمه كالأبله مندهشاً لطريقة صديقه في الحوار مع الفتيات، وجاذبيته التي تجعلهن يتحاورن معه بمتهى المرح، على الرغم من أنه حاول مراراً وتكراراً ولكنه لم يكن مثل عمر.

- فتضحك ميار قائلة: لا ليس لهذه الدرجة... كيف أذهب إلى المكتبة؟

- عمر بخبث: يا سبحان الله كم أنا سعيد الحظ!! كنت سأذهب إلى هناك في هذه اللحظة!! فما رأيك أن نذهب سوياً إلى هناك؟
ثم يأخذها من يدها قبل أن تجيبه ويترك طارقاً خلفه قائلاً:
- أراك لاحقاً يا صديقي.

ثم يذهب عمر وميار في طريقهم إلى المكتبة ويتبادلان أطراف الحديث والابتسامات، وأثناء سيرهم لم يترك عمر شخصاً إلا وألقى عليه السلام من أصغر طالب إلى الفراش، والجميع يحبونه ويبتسمون له في مودة لخفة دمه مما أثار فضول ميار حتى قالت له:

- ألا يوجد أحد في الجامعة لا تعرفه؟

وحينما نظر لها ليجيب عليها وقف مكانه ثابتاً في الأرض وكأنه رأى إبليس أمامه.

- صباح الخير يا عمر كل عام وأنت بخير... لماذا لم تخبرني بأنك أتيت؟

- فيتلعثم عمر بحروف متقطعة: مع... معذرة يا شمس لقد انطفأ الهاتف لعدم وجود شحن كافٍ به.

- شمس باندهاش: حقًا ما تقول... لا زال الوقت مبكرًا على ذلك، ثم تنظر شمس إلى ميار متفحصاها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها قائلة:

- أرجو أن تقدمني إلى صديقتك الجديدة وعلى ما أعتقد أن هذا اليوم الأول لها بالجامعة.

وقد قالت شمس ذلك لأن دائمًا الفتيات الجدد بالكلية يأتن بملابس براقة ملفتة للأنظار لأنهن ما زلن أطفال ثانوية عامة، وبالفعل كان مظهر ميار مثير للانتباه حيث إنها كانت ترتدي بنطال جينز إسكني وبودي كت يظهر ذراعيها البيضاء كنور الشمس وحذاء ذو كعب عشرة سنتيمترات بالإضافة إلى جمالها الفتان بوجهها المستدير كالقمر وعيونها الزرقاء بلون السماء.

- فيرد عمر قائلاً: هذه ميار زميلة جديدة معنا بالكلية وكانت تريد أن تذهب إلى المكتبة و...

فتقاطعها شمس بانفعال كالمعتاد كلما رآته مع فتاة غيرها قائلة:

- وبالطبع لم تسمح لك شهامتك أن تتركها تذهب وحدها كي لا تضل الطريق.

فتشعر ميار بالإحراج لأنها قد تكون سبب مشكلة بينهما بعدما اتضح من حديث شمس لـ(عمر) أنهما على علاقة عاطفية قوية، وإلا ما كانت تحدثت معه بمثل هذا الأسلوب والغيرة تقدح من عينيها كالشرار فتقول ميار:

- أوكيه يا عمر أشكرك كثيرًا... أنا سوف أكمل باقي الطريق بمفردي وأسفة على إزعاجك.

- ولكن شمس تسارع قائلة : لا داعي لذلك... ابقِي أنتِ وأنا سأنصرف.

وبالفعل تنصرف شمس فيعتذر عمر لـ (ميّار) عن طريقتها ثم يحاول اللحاق بها منادياً عليها:

- شمس انتظري يا شمس ثم يلحق بها قائلاً: ألن تهدي غيرتك هذه أبداً؟

- شمس بانفعال: وأنت ألن تتخلى عن تلك التصرفات الصبيانية؟... كل فترة أجِدك مع فتاة جديدة متبجحاً بعدرٍ أحمر، والأكثر أن يحدث ذلك اليوم وهذا اليوم الأول في العام الدراسي الجديد بالإضافة إلى أنك لم تتصل بي عندما أتيت ومع ذلك تختلق لي عذراً واهياً.

- فيشعر عمر بأنها محقة فيما تقول فينهي الحديث قائلاً: أعترف بخطأي... والآن إلى أين كنتِ ذاهبة؟

- شمس: بالتأكيد ذاهبة للمحاضرة... ألدّيك نية للحضور أم ستكمل قصة الحب في المكتبة؟

- عمر: بالطبع سأحضر معك ولكن بشرط... أن تريني لؤلؤ شفتيك.

- فتبتسم شمس رغماً عنها قائلة: أوكيه هيا بنا... المحاضرة بدأت.

ورغم أن عمر كان ينظر إلى كل فتاة جميلة ويعجب بها إلا أنه بينه وبين نفسه كان يعلم أنه لم يحب قط في حياته مثلما أحب شمس هذا الحب العميق، غير أن حبها المتدفق دائماً له كان يزيد عاطفته نحوها حرارةً واشتياًفاً فقد ارتبط بها لأنه رأى فيها ما لم يره في غيرها، فقد رأى التزامها بالمبادئ وحسن الخُلُق وعدم انجرافها وراء الموضة الكاذبة، واختيارها للملابس التي تليق بها وتحافظ عليها وعلى احترامها أمام الناس أي أنه قد أحبها بعقله وقلبه معاً.

الفصل الثاني

آلو مكتب سيادة العميد رأفت فهمي... من فضلك أريد التحدث إليه. يقولها المقدم صلاح رشوان من إدارة مكافحة المخدرات.

- العميد رأفت فهمي: نعم يا صلاح... ماذا لديك؟ كيف الوضع عندك؟

- المقدم صلاح رشوان: لقد قمنا سيادتك بالبحث في جميع الحاويات التي وصلت الميناء منذ الصباح إلى الآن ولكن لم نجد أي شيء.

- العميد رأفت: ماذا تعني بقولك هذا يا صلاح؟ كل الدلائل التي جمعتها أنت ورجالك تؤكد أن الشحنة موعدها اليوم وستصل عن طريق البحر، بالتأكيد رجالك لم يؤديوا عملهم كما هو مطلوب منهم.

- المقدم صلاح: يا افندم نحن لم نقصر في عملنا بالمرة وما زلنا نبحث بكل طاقتنا وأنا بنفسى أبحث معهم ودخلت أكثر من حاوية وبحثت بها.

- فيتحدث العميد رأفت بهدوء: بعد أن تنهي عملك أرجو أن تأتي إليّ يا صلاح مهما كان التوقيت تأتي إليّ.

- المقدم صلاح: تمام سيادتك يا افندم.

يعود المقدم صلاح إلى سطح الميناء متجهًا إلى زملائه وهم يقومون بالبحث داخل جميع الحاويات بكل أنواعها، والتي تخص جميع الشركات

سواء كانت كبيرة أو صغيرة حتى وإن كانت ملك لإحدى الشخصيات المرموقة فلم يكن ليستثني أحدًا، ثم يخاطب أحد الضباط العاملين معه قائلاً:

- يسري! ما الموقف عندك؟ هل من جديد؟

- يسري: لا يا افندم... ولكن ما زلنا مستمرين في البحث.

- المقدم صلاح بانفعال: ماذا تقول؟! كيف ذلك؟! وكل المعلومات والتسجيلات التي لدينا تؤكد أن اليوم هو الموعد المنتظر... أنا لذي تعليمات مشددة بأنه لن يتم الإفراج عن أي حاوية من الميناء إلا بعد أن يتم البحث بداخلها بمتتهى الدقة، وإلا ستكون نقطة سوداء في ملف كل واحد منا.

يسري وهو أحد الضباط المستجدين في إدارة مكافحة المخدرات:

- تمام سيادتك يا افندم ولكن كما ترى لم نترك حاوية إلا وبحثنا بداخلها.

- المقدم صلاح: كم حاوية متبقية لديكم؟

- يسري: اثنتان فقط سيادتك.

- المقدم صلاح: تمام... سأرتاح قليلاً في المكتب إلى أن تنتهوا وإذا حدث شيء جديد أبلغني على الفور.

- يسري: تمام سيادتك يا افندم.

ويترك المقدم صلاح زملاءه متجهًا نحو مكتبه الخاص بالميناء لمراجعة أسماء الشركات المرسل لها حاويات من الخارج ليعيد النظر في هذا اللغز، والذي يعلم عنه الكثير من المعلومات وبالرغم من ذلك لا يستطيع حله.

مجموعة شركات (موشان للمصاعد) وهي من أضخم شركات المصاعد في مصر والعالم العربي حيث إنها تقوم باستيراد ماكينات الرفع من الخارج، ولكنها تقوم بتصنيع باقي أجزاء المصعد في مصانعها الخاصة بالسادس من أكتوبر، وصاحب هذه المجموعة رجل يدعى (يس المهدي) مهندس مدني ثري عصامي بنى نفسه بنفسه دون أدنى مساعدات خارجية، ولقد بدأ بعد تخرجه بمشروع صغير إلى أن انتهى بهذه المجموعة الضخمة من الشركات والمصانع، هذا غير أنه أصبح أحد أشهر رجال الأعمال وعضو مجلس شعب ذو ذمة مالية نظيفة لا يستطيع أحد الشك فيه، وهذا لأن تاريخه المهني واضح ومعروف ولذلك كان يهابه العديد من المسؤولين لاستقامته وأمانته وذكائه في إدارة المشاريع وتنميتها.

يتحدث يس المهدي إلى أحد موظفيه بالشركة والمسئول عن استلام الشحنات القادمة من الخارج ومتابعة الجمارك قائلاً:

- أنا أريد أن أفهم ماذا تعني بأن الشحنة لم تصل إلى الآن، قالوا لي عشرة أيام واليوم هو الحادى عشر، كيف حدث ذلك؟
- الموظف: يا افندم حضرتك هذا يوم واحد فقط زيادة ولن يحدث

شيء.

- ينظر له يس بغضب: يوم واحد فقط!!!... هل تعلم يا أفندى هذا اليوم في عملي ثمنه كام؟... هل تعلم كل دقيقة تمر بي الآن كيف أحاسب عليها؟... تفضل على مكتبك ولا ترينى وجهك إلا ومعك تقرير كامل عن هذا التأخير يا ذلك يا تعتبر نفسك في أجازة مفتوحة... تفضل.

يخرج الموظف وهو في حالة إستياء تام نتيجة لمبالغة يس المهدي في انفعالاته وكلماته اللاذعة من وجهة نظره، وحين يمسك بمقبض الباب ويفتحه تظهر من خلفه فاتنة فيحرق بها دون قصد فتتورد وجتتاها بحمرة

الخجل فيزمجر يس المهدي قائلاً: لماذا تقف عندك هكذا؟ ماذا تفعل يا أفندي؟ تحرك ونفذ ما قلت لك عليه ولا أريد أن أرى أحدًا الآن.

- فتدلف هذه الفتاة إلى الحجرة قائلة بدلع: حتى أنا... صباح الخير يا بابا ماذا بك؟ لماذا أنت منفعل هكذا؟ ألم يخبرك الطبيب بأن تبقى هادئًا دومًا؟!!

- يس بملل: ماذا أفعل يا ياسمين... يعمل لدي مجموعة من ذوي الاحتياجات الخاصة، لا بد وأن أخبرهم دائمًا بما عليهم فعله؟
- ياسمين بابتسامة هادئة: يا حبيبي أنت الخير والبركة... الفضل لله ثم لحضرتك في تكوين هذا الصرح العملاق... فأكيد أكيد لن يستطيعوا الاستغناء عن توجيهاتك.

- يس بضيق: يا حبيبي مهما كان أنا أرهقني التعب ولن أستطيع فعل كل شيء بنفسى، وأتمنى أن أرتاح ولذلك راودتني فكرة وأريد أن أتناقش معك بها.

- ياسمين: خير يا بابا.

- يس: أعتقد أنه حان الوقت لتكوني بجانبى في الشركة وتكوني على علم بنشاطها، وتحاولي أن تصبحي جزءاً منها ولو حتى جزء بسيط، أنا لا أريدك أن تكوني على علم بكل شيء ولكن أعتقد أنني بحاجة إلى مساعدتك واستشاراتك القانونية بعد أن أصبحت محامية.

- ياسمين بابتسامة رقيقة: يااااه إذا كان ذلك سيريحك ويهدئ من نفسك فعلى الربح والسعة مولاي الملك، ولكني كنتُ أفضل دائمًا أن أسمعها منك أولاً.

- يس بفرحة كبيرة: هل أنت جادة؟ ولماذا لم تخبريني بذلك من قبل؟ أنا طالما اشتقت لمثل هذه اللحظة.

- ياسمين: لأنها منك ستكون لها رونق آخر، وحتى تكون أيضًا على اقتناع تام بأنني لم أعد هذه الطفلة الصغيرة، وأن باستطاعتي تحمل المسؤولية.
- يس بابتسامة هادئة: أنتِ مهما كبرتِ ستظلين في عيني صغيرة ستظلين دائمًا ياسمين الطفلة الجميلة التي كانت تقول على السكر (أوكر) وعلى الشكولاتة (تاتا).

فيضحكان معًا لتذكر هذه الذكريات الجميلة وتهدأ ثورة يس بعد هذه المناقشة الجميلة التي دارت بينه وبين ابنته، حيث إنها أجمل شيء في حياته منذ أن توفيت والدتها، وغير ذلك لأنها قريبة الشبه بها مما زاد من حبه لها أكثر وأكثر، فكان يرى فيها كل شيء زوجته وابنته وصاحبته، ودائمًا كان يهدأ عندما يتحدث معها، ثم يتبته إلى أنها ترتدي ملابس جديدة وأنيقة يراها لأول مرة فيقول:

- متى اشتريتِ هذه الملابس الرائعة يا قطي؟ ومع ذلك لم تخبريني مما آثرتِ انتباه هذا الموظف الغبي.

- ياسمين بخجل لإطراء والدها على ملابسها: لم أخبرك لتكون مفاجأة، ما رأيك بها؟ وغير ذلك ما ذنبي أنا إذا كان ربنا خلقتني حلوة لك ولماما.

- يس: حلوة لماما آه، لكن ليّ أنا لا أعتقد ذلك.

ويضحكان معًا حين تتصل السكرتيرة الخاصة بـ(يس) قائلة:

- حاتم بك يريد مقابلة حضرتك.

- يس: اسمحي له بالدخول.

- ياسمين: سأغادر أنا حتى تتفرغ لعملك.

- يس: حسنًا حبيبتي أراك في المنزل على الغداء إن شاء الله.

- ياسمين: إن شاء الله حبيبي.

ثم تخرج من الغرفة فتجد أمامها مباشرة (حاتم شكري)، فينظران لبعضهما فتجده شاباً أنيقاً وسيماً طويل القامة وذا ابتسامة هادئة فتحاول الانسحاب لأنها كانت تقف أمامه مباشرة قائلة:
- معذرة.

- فيرد حاتم بهدوء: بهذه السرعة، أعتقد حضرتك ابنة يس بك؟

- ياسمين بابتسامة خجولة: نعم ولكن... كيف عرفت ذلك؟

- حاتم: صورة حضرتك على مكتبه... ولكن أتدرين؟... الحقيقة أجمل بكثير، كلما أتيت هنا تمنيت مقابلتك ولكن للأسف كل مرة أمنيته لم تتحقق، أما اليوم فأعتقد أنه يوم حظي.

فتبتسم ياسمين في خجل لهذا الإطراء الجميل حيث إن حاتم كان صادقاً في كل كلمة يقولها دالاً على ذلك بتعابير وجهه الحالمة فتقول:
- أعتقد أنك قوي الملاحظة ومهما يكن ميرسي جداً على ذوقك، ولكن أعتقد أنك تبالغ بعض الشيء.

- حاتم بأسلوب مفتعل: أبالغ بعض الشيء!!! هذا أقل بكثير مما أنت عليه فأنا لم أستطع وصفك، أنا لو لدي ملكة قول الشعر لغلبت في وصفك المتنبئ وأحمد شوقي ولكن ليس لدي منه شيء.

- ياسمين بخجل كبير: كل ذلك وليس لديك منه شيء!!!

فيسمعان فجأة صوت والدها يس بك يتحدث إلى السكرتيرة قائلاً:

- ماذا حدث يا نيقين؟ أين حاتم؟ ألم أذن له بالدخول؟

فتلعثم السكرتيرة نتيجة أنها كانت ترى الحوار القائم بين حاتم وياسمين فتقول:

- معذرةً حضرتك، إنه يتحدث في الهاتف المحمول وبعد ذلك سيدخل لحضرتك.
- يس: حسناً.
- فييتسم حاتم لـ(ياسمين) معتذراً قائلاً: اسمحي لي بالانصراف لأن والدك في انتظار معلومات هامة جداً، ممكن يغتالني بسببها.
- ياسمين: لا عليك، تفضل.
- حاتم بابتسامته الهادئة: لكن... أكيد ستتقابل مرة أخرى.
- ياسمين: الله أعلم... أنت ونصيبك.
- فييتسم لها حاتم بمكر قائلاً: أكيد ستتقابل مرة أخرى.
- ثم يبتسم للسكرتيرة نيئين ابتسامة شكر لأنها أنقذت الموقف، ويدخل حجرة يس فتستغل ياسمين الموقف متحدثة مع السكرتيرة قائلة:
- من ذلك الوسيم يا نيئين؟
- فتبتسم نيئين بخبث ومكر قائلة: حاتم شكري طيب جراح وشريك يس بك في بعض العمليات التجارية.
- ياسمين باستغراب: لحظة واحدة من فضلك... لقد قلت الآن: إنه طيب جراح.
- نيئين: نعم.
- ياسمين بلغة استفهامية: وما علاقته بالهندسة والاستيراد والتصدير؟ وكيف يكون شريكاً لأبي وما كان أبي ليشارك أحداً من قبل؟
- نيئين: هو حضرتك ابن المرحوم شكري محفوظ صاحب شركة العالمية للاستيراد والتصدير، وحينما توفي والده لم يكن هناك غيره هو وأخته الورثة للشركة، لكن أخته كانت وما زالت تدرس بالجامعة، وكان

يقيم بألمانيا فلذلك اضطر أن يدير الشركة، هذا بالإضافة إلى أنه كان يحضر بعض الاجتماعات هنا مع والده وعلى علم بكيفية إدارة العمل.
- ياسمين: هذا جيد... موضوع العمل تفهمته، ولكن لماذا أبى يشاركه؟

- نيئين: صراحةً لست أدري.
- ياسمين بابتسامة هادئة: حسناً... شكراً كثيراً يا نيئين... سلام.
- نيئين: سلام.

* * *

في نفس التوقيت الذي حدثت فيه هذه المناقشة بين ياسمين ونيئين كانت هناك مناقشة حادة بين يس وحاتم بخصوص الماكينات التي تم استيرادها من الخارج ولم تصل إلى الآن فعندما فتح حاتم باب غرفة يس قال هذا الأخير:

- ماذا حدث يا أفندي؟... هل انعدم لديك الإحساس؟
- حاتم بابتسامته الهادئة: هدى من روعك يا مدير.
- يس بانفعال شديدة: وكيف لي أن أهدأ؟... الماكينات لم تصل إلى الآن والوقت يداهمنا والشرط الجزائي سيدبحنا، وأنت تضحك وتطلب مني أن أهدأ.

- حاتم بهدوء تام ضاحكاً: صدقني لا داعي لتلك الانفعالات... كل شيء على ما يرام، السفينة وصلت والبضائع تما...
- يقاطعه يس بانفعال: وصلت!!! متى؟ وكيف؟ وذلك الموظف الغبي قال لي لم يصل شيء حتى اليوم.
ثم يتصل بالسكرتيرة قائلاً بانفعال:

- نيئين استدعي لي الأفندي اللي كان في مكتبي منذ بضع دقائق
بسرعة و... .

- فيقاطع حاتم مسرعاً: انتظري يا نيئين لا تستدعيه، دقيقة واحدة
من فضلك، يا يس بك أنا سأشرح لك كل شيء.

ويغلق الخط مع السكرتيرة ثم يعود مستكماً حديثه قائلاً:

- الموظف الذي قال لك هذه المعلومات كان محقاً فيما قاله و... .

- يس بانفعال: ماذا تعني محقاً فيما قاله؟... هو قال لي لم يصل

شيء بعد وأنت تقول كل شيء على ما يرام... هل هذا لغز؟

- حاتم بصبر نافذ: أرجوك اهدأ وأنصت إلي وستفهم كل شيء... .

لقد وصلني منذ يومين عبر البريد الإلكتروني من مدير المبيعات في ألمانيا
رسالة فحواها، أن السفينة التي تم شحن البضائع عليها تم تغييرها في ميناء
طنجة بالمغرب بسبب حدوث عطل فني بها، وأرسل لي أيضاً اسم السفينة
الجديدة ورقمها ومواصفاتها، وأن موعد وصولها اليوم وبالفعل وصلت
وموظفي شركتي قاموا باستلامها ولقد أصبح كل شيء على ما يرام.

- فينظر له يس باندهاش وانفعال قائلاً: أرسل لك رسالة منذ يومين

بتغيير السفينة ولم تبلغني إلا الآن؟... ولماذا لم تخبرني في ذات الوقت؟... .

ولماذا لم يرسل لي مدير المبيعات هذا أنا أيضاً رسالة كما أرسل لك؟

- حاتم باندهاش: لا إله إلا الله ه... .

- يس بانفعال: محمد رسول الله ع... .

- حاتم بضحك هستيري: اهدأ من فضلك أنت لم تعطني الفرصة

لأحدث إليك... أولاً أنا المسئول عن عملية الاستيراد وباسم شركتي فكان

لا بد أن يرسلونا وليس حضرتك، وثانياً أنت تعلم أنني منذ يومين كنت

برحلة استجمام بشرم الشيخ ولم أعد سوى أمس، فقررت أن أنصفح البريد

الإلكتروني لأكون على علم بالأخبار الجديدة، وبالتأكيد لن أتصفح أي أخبار خاصة بالعمل وأنا أرفه عن نفسي...

- يس: حسناً المهم الآن أنك قمت باستلام البضائع.

- فتمر لحظة صمت بينهم فينظر له يس قائلاً: ماذا بك؟... أجبني.

- حاتم بتردد شديد: ما هو... أصل...

- يس بانفعال: ماذا حدث؟... هل هناك خطأ بالشحنة؟

- حاتم بنفس التردد: تم إصدار قرار جديد من هيئة المواني بأنه لن

يتم الإفراج عن أي حاوية تدخل البلد إلا بعد البحث الدقيق والكامل بها

...

- فيقاطعه يس بانفعال: ماذا تعني بهذا الحديث؟ هل تقصد أن

الحاوية الخاصة بي أنا أيضًا سيتم البحث بداخلها أليس عندهم علم من

أكون؟... أنا سأتصم...

- فيقاطعه حاتم مسرعًا: أولاً الموضوع ليس له علاقة بنزاهة

حضرتك، ثانيًا أحب أن أذكرك أن الشحنة جاءت باسمي أنا، ثالثًا القرار

الذي أصدر هذا مع احترامي لحضرتك ليس به استثناء نهائيًا على أحد من

رجال الأعمال وهم مثل حضرتك من أعمدة الدولة وأكد حضرتك تعلم

من هم وأنت واحد منهم.

- فيصمت يس من هول المفاجأة مندهشًا ثم يتردد قائلاً: ومتى

أصدر هذا القرار؟... ولماذا؟!

- حاتم: لا أعلم... ولكن جاءتني معلومات من أحد أصدقائي يعمل

في الشرطة، يقول إن هناك شحنة مخدرات سوف تدخل إلى البلد في هذا

التوقيت ولذلك أصدر هذا القرار.

- يس بانفعال: حسناً... المهم لدي الآن، متى سيتم الإفراج عن البضائع؟
- حاتم: لقد أخذنا الموافقة على الورق ولكن لم يتم إبلاغنا بميعاد الإفراج عنها.
- يس باندهاش: لا تعلم ميعاد الإفراج!!!... أتدري ماذا تقول؟ هل لديك علم بالشرط الجزائي الذي تم التوقيع عليه يا أفندي؟... اثنان مليون جنيهاً عن كل أسبوع تأخير! فاهم ماذا يعني هذا المبلغ يع... .
- حاتم يقاطعه مسرعاً بدهاء: يس بك اهدئ من فضلك الموضوع لن يأخذ الكثير من الوقت، أعتقد يومين أو ثلاثة وستنتهي كل هذه المهاترات بسبب هذه المخدرات التي يبحثون عنها، وبتصالاتنا نستطيع أن نفرج عن شحنتنا قبل أي أحد.
- يس بعد لحظة صمت: أنت على حق هناك شخص واحد بيده الأمر.
- فيتسم حاتم قائلاً: وذلك ما أردت إيضاحه.

الفصل الثالث

يدخل المقدم صلاح رشوان إدارة مكافحة المخدرات فيقدم له الجنود التحية العسكرية المعتادة فيرد عليهم بمثلها، ثم يستدعي المصعد فيجده يهبط من الدور الثالث والذي يوجد به مكتب العميد رأفت فهمي، وحين يستقر المصعد في الدور الأرضي يفتح الباب ويخرج منه الرائد حسين العزازي فيجده في وجهه المقدم صلاح فيحيه قائلاً:

- صلاح كيف حالك؟ ماذا حدث؟... العميد رأفت في حالة توتر بالغة.

فيتنحى صلاح بـ(حسين) جانباً حيث إن الاثنين دفعة واحدة ولكن حدثت مشكلة قديمة بين هذا الأخير وأحد رؤسائه مما كانت نقطة سوداء في الملف الخاص به وكانت نتيجتها التأخير في ميعاد ترقيته، فيخجل صلاح ناظراً للأرض ملوحاً بيده في السماء قائلاً:

- للأسف يا حسين كل المعلومات اللي وصلتنا غير صحيحة (تمويه).

- حسين مصعوقاً من كلمات صلاح قائلاً: ماذا تقول؟ إنها كارثة حقاً... يااااالله كيف حدث ذلك؟ وكل مصادرنا تؤكد أن المعلومات صحيحة... بالتأكيد هناك شيء خطأ.

- صلاح يأس وخنوع: إني أصدقك القول يا حسين... لم أترك حاوية إلا وبحثت بداخلها بنفسني حتى أسماء المستوردين راجعتها لعل يوجد بها ما يساعدني ولكنني لم أجد شيئاً.

- ويصمت صلاح للحظات فيتمتم حسين قائلاً: حسناً... اذهب لرأفت بك فهو منتظر.

فيتوجه صلاح إلى المصعد ثم يصعد به الدور الثالث ويخرج منه متوجهاً يميناً فيساراً ثم يسير بضع خطوات في ممر طويل مخصص لكبار القادة، ثم يقف أمام غرفة كُتِب عليها العميد رأفت فهمي فيطرق الباب فيأتيه صوت مفخم جهوري من الداخل قائلاً:
- تفضل.

- فيتنحنح صلاح ثم يفتح الباب ويدلف داخل الغرفة قائلاً: مساء الخير سيادتك يا افندم.

بعدما علم العميد رأفت مسبقاً الأخبار في الهاتف الجوال من صلاح قبل أن يأتيه ينفعل قائلاً:

- أريد أن أفهم شيئاً واحداً؛ أنت وجميع الضباط والمخبرين الذين كانوا يعملون معك... ماذا فعلتم خلال ثلاثة أشهر تم منحكم فيها كل الصلاحيات والتصاريح الممكنة؟

فصمت للحظات ناظرًا إلى رأفت وعيني هذا الأخير تقدح شرارًا فيحاول صلاح التحدث قائلاً:

- يا افندم لقد التزمنا بالخطة الموضوعة سيادتك ونفذناها حسب توجيهات الإدارة العليا، والمعلومات التي وردت من كل مصادرها كانت بتوجهنا لطريق واحد سيادتك والذي تم إيضاحه في التقارير المقدمة لمعاليتك، وهذا أكبر دليل على أننا كنا نسير في الطريق الصحيح لكن ما حدث اليوم... ليس لدي تفسير له يا افندم... لقد قمنا بإخراج الشحنات من الحاويات وتفريغها قطعة قطعة وكل هذا تم تسجيله على كارت الذاكرة هذا من أول حاوية بدأنها إلى آخر حاوية.

- رأفت بمتتهى الهدوء: هل تعلم لماذا يا سيادة المقدم؟ لأنك لم تتبه لشيء كان من المفترض أن تتبه له.

- فيصمت صلاح مندهشاً ثم يسأله قائلاً: ماذا تقصد يا افندم؟

- رأفت بابتسامة ساخرة: أقصد أن كل المعلومات التي وردت إليك كان نصها واحد كلماتها واحدة ليس بها اختلاف حتى في الألفاظ وكان بها جملة قيلت لك من كل مصادر في وسط الكلام هل تعلم ما هي؟... أن الشحنة ستدخل الميناء في يوم من الأيام القمرية ورغم ذلك لم تتبه لها؛ لأن غرورك خدعك وأعتقدت أنها عملية سهلة، لا يا حضرة الضابط لا بد أن تفهم أن الضابط الذي يملكه الغرور لا بد أن تكون نهايته الموت لأن أعداءه في هذه اللحظة يكونون قد علموا كيف يوقعونه في فخاخهم، وأنت وقعت يا حضرة الضابط وقضيتك كشفت أمام القيادة، أنت محول للتحقيق يا حضرة الضابط تفضل جهز نفسك.

فينصرف صلاح تاركاً مكتب قائده بعد أن يعطي له التحية العسكرية متوجهاً إلى مكتبه، فيدخل المكتب ليجد صديقه حسين جالساً منتظره في قلقى قائلاً:

- ماذا حدث يا أبو صلاح؟ قص عليّ ماذا فعلت مع رأفت؟

فيتسم صلاح في خذل ثم يقص عليه ما حدث بينهما موضحاً له أسباب فشل عثورهم على البضاعة والخطأ الذي وقع فيه فيندهش حسين قائلاً:

- حقاً! كيف حدث ذلك؟... ألم تثر شكوكك هذه الجملة؟

- صلاح بانفعال: كيف يا حسين؟... كل المصادر التي لدينا كانت تنذر بنهاية واحدة، فكيف لي أن أخالف هذه المصادر؟ وبناءً عليها تم تجهيز كل شيء وغير ذلك أنت كنت تتابع معي القضية منذ البداية... برغم أنك لم

يكن لك علاقة رسمية بها، ولكنك كنت تعلم كل خطواتها وكل ما توصلنا إليه وقرأت أيضًا التقارير معي، هل استتجت شيئًا منها؟

- حسين: في الحقيقة لا ولكن...

- صلاح بانفعال: لكن ماذا؟... هناك شيء خطأ أنا لست مقتنع بهذا الهراء... هناك حلقة مفقودة.

* * *

- الحمد لله اليوم لم يكن به محاضرات كثيرة يقولها عمر لشمس وطارق عند مغادرتهم لمبنى الجامعة متجهين إلى الموقف الخاص بالباصات.

- فترد عليه شمس قائلة: ولكن هناك شيء يحيرني... كيف يتم تدريس مادة الـ (GASTROENTEROLOGY) في آخر فصل دراسي بالكلية؟

- طارق مبتسمًا: حسنًا... أين المشكلة؟

- شمس باستغراب لـ (عمر): هل أنت مقتنع بما يقوله هذا الكائن؟
- عمر: الحقيقة لا أستطيع الحكم عليها الآن، إذا كان يجب أن تدرس قبل ذلك أم لا، لأننا لا نعلم عنها شيئًا سوى المقدمة حتى الآن.
- شمس باندهاش: كيف ذلك؟... لقد قمت بعمل بحث على النت ووجدت أنها عبارة عن المبادئ الأولية لأمراض الجهاز الهضمي.

- طارق ساخرًا: حسنًا... ليس هناك مشكلة انتظري حتى يتم تسليم الكتب لنا وبعدها نستطيع الحكم عليها.

- طارق: ولكن هل تعلمون أن المادة التي جذبت انتباهي هي (DrugInformation).

- شمس: لماذا؟ أنا أعتقد أنها مادة معلومات عامة.
- طارق باستغراب: ماذا؟ أنا أعتقد أنها ستكون مادة كيميائية هامة جدًا وشيقة لو استطعنا التعمق داخلها.
- عمر بملل: يكفي هذا القدر من المناقشة حول العلم، تعمق وحدك واتركنا وحدنا ما زلنا في اليوم الأول... طارق اذهب أنت إلى الباص وأنا سأذهب مع شمس للباص الخاص بها ثم الحق بك.
- طارق: حسنًا... لا تتأخر لا داعي للكثير من الرومانسية.
- ينظر عمر لـ(طارق) مشيرًا له بيده متوعدًا ثم يذهبان هو وشمس إلى الباص الخاص بها وعندما يصلان تسأله:
- ماذا ستفعل اليوم.
- عمر: لا أعلم، ولكن حدث شيء هام سوف أخبرك به حينما أصل إلى المنزل.
- فتبتسم له شمس ابتسامة هادئة وجميلة ثم تودعه.

* * *

- يا الله يا للخيانة في أعرق صورها... متى اشتريت هذا القميص؟... وبدوني! تقولها دينا إحدى صديقات ياسمين من أيام الجامعة إلى الآن.
- فترد عليها ياسمين بعد أن احتضنتها هي وباقي صديقاتها ندى ولارا
- قائلة:
- والله لم أكن أقصد وأنا مارة بشارع روكسى جذب انتباهي فتركت السيارة لأراه فأعجبت به واشتريته.
- دينا ساخرة: دائمًا لديك حجة أيتها الأفوكاتو الفاتنة.

- فتضحك ياسمين مقلدة توفيق الدقن قائلة: عيب عليك يا جميل
طب بشرفى أنا آه ما ادخل محل هدوم من غيرك أبداً آه.
- فتضحك ياسمين ودينا فتتظر لهما ندى باستخفاف قائلة: دمك
تقيل... كيف تمزحين بعدما تركتينا كل هذا الوقت في انتظارك.
فتتظر ياسمين لـ (دينا) وندى قائلة بسخرية من الأخيرة:
- لماذا شارلوك هولموز صديقنا منفعل هكذا؟!
- فتضحك لارا قائلة: لأنها جاءت مبكرة قبلنا وانتظرتنا نصف
ساعة.

- ندى بانفعال: احترام المواعيد شيء مق...
- لارا باستهزاء: معذرة يا صديقتي العزيزة... ولذلك أحضرت لك
مفاجأة أتمنى أن تنال إعجابك، ثم تنظر إلى دينا وتغمز لها بعينيها فتحاول
هذه الأخيرة منع نفسها من الضحك.
- فتكظم ندى غيظها: مفاجأة خير... جميع مفاجآتك عبارة عن
مقالب... أنا لن أنسى الموقف المزعج الذى وضعتينى به في فرح ابنة
خالتي.

- ياسمين مبتسمة: ماذا فعلت بك يا ندى؟
فيضحكان لارا ودينا حينما تصمت ندى بضغ لحظات ثم تستطرد
قائلة:

- لا عليك... لا داعي لذكر هذا الموضوع.
- ياسمين باستغراب: حقاً ماذا حدث؟... وكيف كان فستان
العروسة؟

دينا من كثرة الضحك تتفوه ببضعت كلمات متقطعة: ليس... هام...

تصميم... فس... فستان العروسة... الأهم فستان كابتن شارلوك... كيف كان تصميمه؟

- ياسمين بملل: ماذا حدث؟ أخبروني.

- ندى: أتذكرين الفستان البنك الذي اشتريناه أنا وأنت تقريباً منذ شهر من وسط البلد من محل لاروج؟

- ياسمين: آه... كان به شاب أعتقد عينيه خضرة وفتنت به.

- ياسمين تقاطعها بانفعال: نعم... كان فستاناً لطيفاً.

- ندى: المشكلة هنا ليست في الفستان المشكلة عندما ارتديته وجاءت صديقتنا اللطيفة واصطحبتني معها في سيارتها، ثم ذهبنا للفرح وبعد أن جلسنا جاء النادل وحينما هم بتقديم الشرابات... اصطدمت يد لارا بيديه فسقطت جميع كؤوس الشرابات على فستاني... و...

فيحبه دينا ولارا حينما تذكرنا مشهد ندى وهي غارقة بشرابات الفرح فتحاول لارا التحدث قائلة:

- مهما قلت لك لن أستطيع وصف حالتها؟

- ياسمين: وماذا حدث بعد ذلك؟

- ندى تشير إلى لارا قائلة: وجدت صديقتنا الغالية هذه تقول لي أن أضع الفرير الخاص بها عليّ لكي أخفي الجزء المبتل إلى أن تحضر لي من سيارتها فستاناً آخر، لأنها دائماً تفعل ذلك لأي ظرف ممكن يحدث فقلت الحمد لله وبالفعل أخذت الفستان وارتديته، وكم تمنيت أن لا أرتديه؟... وعدت من المرحاض كلما سرت خطوة وأحد يمر بجانبني أجده يضحك أعود وأنظر في المرأة إلى الفستان فلا أجده به شيئاً مثير للضحك والمقاس ليس كبيراً... الفرق بيني وبينها ليس كبيراً... إلى أن عدت للقاعة بالخارج ووجدت كل من بها لم يستطيعوا منع أنفسهم من الابتسام فقلت أشاركهم

ابتساماتهم، إلى أن جاءت لي سيدة كبيرة وتنحت بي جانبًا وقالت لي: انظري إلى نفسك من الخلف وعندما نظرت وجدت ذيل بفيونكة زاحف من خلفي معقود بالفستان.

فلم تعد لارا ودينا متمالكيتين نفسيهما من الضحك وياسمين معهما فتحدث الأخيرة قائلة:

- وأنتِ ألم يثر انتباهك هذا الذيل وأنتِ ترتدين الفستان؟

- فتبتسم ندى: كيف أراه؟ والمرحاض كان ضيق جدًا لأنه مرحاض الرجال لأنه من نصيبي الأسود كان مرحاض النساء به مشكلة وكان الخجل يملكني خوفًا من أن يدخل أحد علي فلذلك لم أنتبه لوجوده.

- فتضحك ياسمين قائلة: وماذا فعلتِ بعد ذلك؟

- ندى ضاحكة: أعتقدين أنني أترك حقي، تناسيت الموضوع ولم أذكره ثانيةً وعندما عدنا إلى المنزل انتظرتها حتى نامت وأحضرت كوب من الماء المثلج ووضعت يدها بداخلة... هههههه لم تمر دقيقتان ووجدتها تسبح في بركة من المياه وتركتها وعدت إلى فراشي.

- فتضحك ياسمين ولارا ثم تقول الأخيرة: مهما كان أنا سامحتك وأحضرت لكِ هدية طالما أعجبتكِ وتمنيتِ أن تشتريها لعدم توافرها.

- ندى مبتسمة: هل أنتِ جادة فيما تقولين؟ أأكون...

- لارا: نعم... إنها علبة كريم دانييل.

- ندى بفرحة طفولية: حسنًا أشكرك من كل قلبي.

وحينما تحاول ندى فتح علبة الكريم تنفجر في وجهها وتترك آثار بقع سوداء ويتبته من حولهن في النادي على صوت الانفجار فيضحكون جميعًا على المظهر الذي أصبح عليه وجه ندى إثر هذا الانفجار.

الفصل الرابع

- انتظر يا عم ناصر لم يحن موعد الرحيل بعد، الساعة ما زالت الرابعة إلا الربع بالظبط وهل تترك حبيبك وتذهب؟ هل سيطمئن قلبك وهو يتنقل بين المواصلات العامة؟ يقولها طارق حينما وجد سائق الباص يستعد للرحيل بدون عمر.

- فيجيبه ناصر السائق: لا إله إلا الله أتعلم يا طروق أنا باكون في منتهى السعادة عندما يأتي موعد الأجازة لكي أرتاح من سي عمر صديقك هذا، دائماً متأخر على الرغم من تواجد جميع الزملاء قبل الميعاد.
- طارق مداعباً له: وما المشكلة يا رجل يا عجوز... أنت هتعملهم علينا ولا إيه... قلت لك دقيقة وسيأتي إن شاء الله لن يتأخر ومع ذلك لم يحن موعد الرحيل.

- ناصر السائق باستخفاف: أعملهم عليك... ليه هو أنت كمينيه عشان أعملهم عليك!!

- طارق بانفعال بسيط دافعاً بيده ناصر: ما شاء الله مرح والله العظيم مرح... أتعلم لو عمرك نفس عمري مميمم... عامة ليس هناك داعي لذلك سأعتبرك مثل والدي.

- ناصر باستهزاء: والدك!! لديك حق فيما تقول، لو تعلم كيف كنت زمان ولماذا أصبحت هكذا؟... آآآآه يا زمن فينك يا لحمة لما كنت جزار...
فينك يا خشب لما كنت مسمار... أنا زمان كان حجمي ضعف حجمك.

- طارق ضاحكًا: وماذا حدث لك؟... مين اللي حلبك وصفاك كده.
- ناصر السائق بحزن: النساء يا ولدي... آآآآآه منهم لله.
- طارق باستغراب: ماذا تعني؟ قص عليّ ما حدث لك.
- ناصر: ماذا أقص عليك بالتحديد؟ الموضوع كبير يا ولدي منذ خمسة عشر عام قابلت فتاة صغيرة كانت جميلة جدًا وبيضاء الوجه وشعرها كسواد الليل، سرقت مني قلبي... وعليها خلخال يهد جبال... عندما تسير في الطرقات خطواتها تثير البعيد والقريب، كانت تبلغ من العمر تقريبًا ثمانية عشر عامًا، وكنت أنا أبلغ من العمر سبعة وأربعون عامًا ولكن عندما تراني تشعر بأنني لم أتجاوز الخامسة والثلاثون، كنت أمارس الرياضة دومًا وأحافظ على لياقتي البدنية، وكنتُ مثلك هكذا، والبنات تتمنى أن أصادقها وكأنني رشدي أباطة في زمانه، وأحسستُ بزهو النفس يتملكني وكانت الأموال معي مثل الأرز بدون حساب وكلما اشتهيتُ شيئًا اشتريته، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وجذبتني تلك الملعونة وتعرفتُ عليها وسرتُ معها في طرقاتٍ لم أكن أعلم نهايتها، وصدق العندليب حينما قال (لو كنتُ أعلمُ خاتمتي ما كنتُ بدأتُ)، وراودتني عن نفسي ومالي وكل ما أملك، وأحببني هي الأخرى أو كما اعتقدت أنا وقتها وصور لي خيالي ذلك و...

- ويقاطعه عمر قائلاً: معذرةً يا عم ناصر تأخرت عليك اليوم، كل عام وأنت بخير.

- ناصر السائق: وأنت بخير يا حبيبي تفضل ثم يوجه حديثه لطارق قائلاً: وللحديث بقية يا طر ووق.

- طارق مبتسمًا: حسنًا... ولكن في أقرب وقت فقد اشتقت لباقي قصة تلك الفاتنة.

ثم يضحكان معاً ويأخذ عمر طارق من يديه ويدخلان إلى آخر الباص كعادتهما ثم يجلسان بجانب بعضهما فيتحدث طارق إلى عمر قائلاً:

- ألم أقل لك لا تتأخر.
- عمر: أنا لم أتأخر لقد أتيت مسرعاً.
- طارق: حسناً... ماذا سنفعل اليوم؟
- عمر: لا أعلم... أتريد فعل شيء محدد.
- طارق: لا شيء... سنمارس طقوسنا اليومية سأحضر معي البلاي ستيشن اليوم.

فيتسّم عمر ثم يصمتان عن الكلام ليأخذاً قسطاً من النوم لحين أن يصل الباص إلى منزل كل منهما، وتمر ساعة ونصف حتى يصل الباص إلى منزل طارق نتيجة ازدحام طريق المحور في مثل هذه الساعة وخروج جميع باصات الشركات والموظفين، ثم ينادي ناصر السائق على طارق قائلاً:

- يا طارق! طروق لقد وصلنا.
- فيفيق عمر على صوت ناصر السائق فيحاول إيقاظ طارق قائلاً:
- طارق لقد وصلنا.
- فيفيق طارق قائلاً: حسناً... معذرة يا عم ناصر.
- ناصر بسخرية: خير يا سيدي... ارحل واترك الباص في صمت.
- فيخرج طارق وعمر من الباص ويضحك هذا الأخير على تعليق السائق قائلاً:
- هذا الرجل كثير الحديث.
- طارق: اعتبره جدك.

ثم يتسم الاثنان ويتجهان إلى منزل طارق المتواجد بشارع المأظلة فوق بنك الإسكندرية، لكي يأخذا ملبسه وكل احتياجاته لكي ينقل هذا الأخير إقامته في منزل صديقه عمر من اليوم إلى أن يجد مكاناً آخر يقيم فيه، ثم يصعد طارق إلى الدور السابع ليأخذ حاجته تاركاً عمر منتظره في الطريق.

يحاول طارق فتح باب شقة والده بالمفتاح الخاص به ولكنه يفاجأ بأن المفتاح لا يعمل فيضغط على زر الجرس فيفتح له والده قائلاً:

- تفضل يا طارق ماذا بك؟... ما هذا الحزن الذي بعينيك؟

- طارق باندعاش: المفتاح لم يعمل معي؟ أنت... هل قمت بتغيير

القفل؟

- فينظر الحاج يوسف والد طارق إلى الأرض من الخجل: أبداً يا

ولدي ولكن... عندما عدت من الصلاة وجدتها قامت بتغييره، فتركته على تلك الحالة، وقررت أن أخبرك عندما تعود من الجامعة.

- طارق بسخرية: قررت أن تخبرني... أشكرك يا حاج، لا عليك...

ليس هناك داع لقول أي شيء بعد الآن، بعد إذنك ممكن آخذ ملبسي وحاجتي في الحقيبة وأخرج ع...-

- فتقاطعه عفاف زوجة أبيه مسرعة: لا داعي لترهق نفسك يا حبيبي،

لقد قمت بجمع كل ملبسك وأشياءك حتى لا يضيع وقتك وتبدأ في المذاكرة من أول يوم.

فينظر طارق إلى والده بكل حزن ويحاول منع دمعة من أن تسقط

من عينيه ويتمنى لو لم يكن هذا الموقف في حياته فيمد يده ليأخذ حقيبة حاجياته فيمسكه والده من يده قائلاً:

- ستغادر بهذه السرعة يا ولدي، وبدون أن تستريح من الطريق.

- طارق باستهزاء: كل شيء انتهى يا حاج لا داعي لمثل هذا الحديث... لكن لو احتجت شيئاً ما، أرجو أن تتصل بي.

- الحاج يوسف: يا ولدي قل لي، أين ستذهب؟ وماذا ستفعل؟

- طارق بابتسامة حزينة: لا تقلق سأقيم مع صديقي عمر في منزله...

سلام يا حاج.

ويفتح طارق باب المصعد وقبل أن يدخله ينظر إلى والده نظرة حزن فينظر له هذا الأخير بنفس النظرة، ثم يدخل طارق المصعد ويدخل والده أيضاً الشقة ويغلق بابها خلفه بحزن ناظرًا إلى زوجته بعتاب، فتنظر إليه هذه بوقاحة قائلة: ماذا دهاك يا حاج؟ هدى من روعك، طارق لم يعد صغيراً فهو قادر على رعاية نفسه، وكما توقعت سيقوم لدى صديقه عمر.

- فينظر لها الحاج يوسف بضيق: أنا لا أختلف معك يا عفاف ولكن أولاً وأخيراً هذا ابني لم يفارقني منذ عشرين عاماً وليس لي غيره في الدنيا.

- عفاف بطريقة بلدى: جرا إيه يا راجل ما لك نخيت كده ليه إحنا مش كنا متفقين أنه ما ينفعش إحنا الاتنين نفضل في بيت واحد ولا عايز يحصل زي ما يحصل في الأفلام أحلو في عينيه ويعمل عملته معايا ونخش في فيلم دراما.

فيصمت الحاج مؤبداً لحديثها ولكن قلبه يعتصر ألمًا على فراق ولده طارق.

- عمر: ماذا بك يا صديقي؟ لماذا يملأ الحزن عينيك؟

- فتمدع عين طارق قائلاً: آسف يا صديقي لقد تأخرت عليك.

- عمر باندهاش: ماذا بك؟ أخبرني... إنك بالفعل لم تتأخر، هل

قمت بتجهيز كل شيء أمس؟

- طارق بحزن: لا ليس كذلك... ولكن عندما صعدت للشقة وحاولت الدخول وجدتها تقول لي أنها قامت بتجهيز كل شيء.

- عمر: ألم تدخل منزل والدك؟

- طارق: للأسف لا... لقد أخذت أشياءي من أمام الباب ووليتهم ظهري وعدت، وغير ذلك لقد قامت بتغيير قفل الباب أيضًا.

- عمر: أنت بالتأكيد تمزح!

- طارق: أتعلم يا صديقي ما الشيء الذي يحيرني؟ إنها ليست من مستوانا الاجتماعي بالمرّة، أنا لن أنكر أنها جميلة وبها من الدلال ما يغري أي رجل ولكن مستواها الاجتماعي متدني للغاية.

- عمر محاولاً تهدئته: لا عليك يا صديقي مهما يكن أنه والدك أو لا وأخيرًا، وكيفي أنه قضى كل هذا العمر بدون أن يتزوج من أجلك حتى لا تصبح لديك عقدة ما، فيجب عليك الآن أن تتحمله وهو في مثل هذا العمر، ومن الجائز أن يمل منها بعد وقتٍ ما ويطلقها... فأنا بجوارك ألا يكفي هذا... دا احنا هنخربها.

- طارق مبتسمًا: ربنا يديم الود يا صديقي، بالله لا أعلم بدونك ماذا كنت سأفعل؟

- عمر ساخرًا: كان زمانك بايت في حضن عم عبده البواب يا فالح. ويضحك الاثنان معًا ثم يتجهان نحو منزل عمر لأخذ قسط من الراحة لكي يلهوا ليلاً مع باقي أصدقائهما.

تعود ياسمين إلى فيلتها بالعبور في جمعية عرابي بعد انتهاء يوم ترفيهي مع صديقاتها الثلاث فعندما تصل تفتح بوابة الفيلا أو توماتيكياً لوجود

حساس كهربائي بالبوابة يقابله حساس آخر بجميع السيارات التي يمتلكها يس وابنته، وذلك يعتبر من دواعي الأمان فتدخل لتضع السيارة في الجراج الخاص بها ثم تتوجه إلى البوابة الداخلية، ثم تفتحها فتجد والدها يتحدث في الهاتف الجوال فتدخل على أطراف أصابعها لكي تفاجئه، وعندما يُنهي حديثه يلتفت وراءه فيجدها أمامه فيصرخ فرغاً فتصرخ معه ثم تقول:

- بابا أنا ياسمين، ماذا بك؟

- يس: ماذا دهالكِ يا ياسمين؟ ألم تكفي عن مثل هذه التصرفات

الطفولية؟

- ياسمين ضاحكة: كل يوم أفعل معك نفس هذه التصرفات، وبالرغم من ذلك يتملكك الفرع أيضاً.

- يس بدلع: لا... أنا حزين، لا تتحدثي معي.

- ياسمين: لا لا... لا تحزن مني يا مليك قلبي، يا من تنير ابتسامته

سماء أيامي، أنا أريد أن أتحدث معك في موضوع ما.

- يس: خير، تفضلي يا أميرة حبي أنا.

- ياسمين بخبث البنات: حبيبي أنت يا سُن سُن، كنت أريد أن

أعرف، من هذا الشاب الذي جاء إليك اليوم في الشركة؟

- يس: شاب... جاء لي... اليوم!!! متى؟

- ياسمين تصطنع عدم المعرفة: الشاب الذي كان يرتدي بزة بنية

اللون التي أخبرتك نيئين بقدمه وقالت لك اسمه اسمه... اسمه... آه حاتم.

- يس: إمامم... حاتم شكري، ماذا تريد من منه؟

- ياسمين: لا لا... لا أريد منه شيئاً... ولكن... فقط أستفسر من هو؟

لأنني أعتقد أن هذه أول مرة أراه بالشركة، فتملكني الفضول لكي أسألك عنه.

- يس: وما المشكلة في ذلك؟ لماذا تسألين عنه؟
- ياسمين: ألم تنفق صباح اليوم أن أعمل معك في الشركة وأبدأ في مساعدتك في مسئوليتها؟
- يس: هذا صحيح لديك حق فيما تقولين... حسنًا يا دلوعة بابا... إنه حاتم؛ ابن شكري محفوظ صاحب أكبر شركة استيراد وتصدير في الشرق الأوسط وكان بيني وبين والده أعمال كثيرة، ولكن والده توفاه الله منذ عام ونصف وبالتأكيد جاء هو ليكمل مسيرة والده معي بحكم أنه ابنه، ولقد تقابلت معه قبل ذلك مرات قليلة لأنه كان يقيم بالخارج، فكان يتابع نشاط والده كل فترة ما، وحينما عاد وبدأ يتحدث إلي في نشاط شركاتي أعجبه العمل في المصاعد لأنه على علاقة بتوكيلات كبيرة مختصة في تلك الأعمال، فاقترح علي أن أغير التوكيلات التي أتعامل معها وأن أتعامل مع التوكيلات التي اقترحها علي لأن لها مميزات كثيرة منها أن...
- ياسمين تقاطعه بسرعة: وهل فعلت ذلك حقًا؟ هل تعاملت مع توكيلات لا تدري عنها شيئًا؟!
- يس مبتسمًا لبراءة ابنته وقلة خبرتها التي تكاد تكون لا شيء في التجارة وطبيعة الأعمال الخارجية:
- لا تتعجلي يا صغيرتي وأنصتي إليّ، وحين أنتهي من حديثي ستجدين به إجابة لكل سؤال يدور بخلدك؟
- فتبتسم ياسمين بخجل: أوكيه... كلي آذانٌ صاغية.
- فيكمل يس حديثه: إلى أي نقطة انتهينا؟... حسنًا ومن هذه المميزات أنه إذا وجد بأي ماكينة مشكلة لن يأتي خبير لكي يصلحها كما تفعل باقي التوكيلات الأخرى ونضطر نحن إلى تحمل إقامته وجميع نفقاته، لن يحدث ذلك مطلقًا ولكن سيتم شحن الماكينة مرة أخرى إلى

بلدها وعلى نفقتهم الخاصة وتأتي أخرى بدلاً منها وعلى نفقتهم أيضًا، ذلك غير التخفيضات الكبيرة التي حدثني عنها، وأيضًا مدة الضمان التي ستحصل عليها شركتي، ومحمّل أيضًا أن تكون ضعف فترة الضمان لأي توكيل تعاملت معه ومميزات أخرى كثيرة سوف أعطيك ورقة بها... بالطبع عندما استمعت لذلك الحديث أبهرتني كل هذه المميزات وغيرها، ولكن اقترحت عليه تجربة توكيل من هذه التوكيلات أولاً في عملية صغيرة لكي أضمن تحمّل الأضرار إذا حدثت مشكلة لا قدر الله من الناحية المادية والمعنوية... وعلى عكس ما توقعت كان التوكيل رائعًا جدًا فبدأت أقوم بعمل إحلال توكيل فتوكيل على التوالي ليس جميعهم في نفس التوقيت، ولم يصادفني غير توكيلين فقط كانت بهم مشاكل كثيرة فأنهيت التعامل معهما لكن الباقين كانوا الحمد لله ممتازين فاستكملت التعامل معهم، ولكن كان طلب حاتم أن يدخل معي شريكًا في عمليات التشغيل هنا في مصر لأنه أعجب بالمجال، فالموضوع بالنسبة لي كان بسيطًا في الأول لن يقصر معي كثيرًا لأن نسبته كانت صغيرة وعندما وجدته يجتهد كثيرًا أحسست أن من مصلحتنا أن تزيد حجم الشراكة بيننا.

- ياسمين: اممم... حسنًا ولكن أنا لذي بعض التعليقات على هذه

القصة.

- يس: وما هي بالضبط؟

- ياسمين: تقمص شخصية ندى صديقتها في التحقيق: أولاً ما علاقة

الطب بالهندسة؟

- يس: وهل ذكرت الهندسة بشيء في حديثي؟

- ياسمين: ألم تكن المصاعد هذه من اختصاص المهندسين؟ وبها

أشياء فنية ورسومات هندسية وتنفيذية وبتجانية وأشياء كثيرة من هذا القبيل.

- يس: بلى... ولكن لو تذكرني في حديثي السابق حينما قلتُ لك أنه أولاً أحب هذا المجال، ثانياً المستورد ليس شرطاً أن يكون مهندساً ولكن الأهم أن يكون على معرفة كافية بالمجال الذي يتاجر فيه، أما إذا كنت تقصدني أي مهندس وأتاجر وأصمم وأنفذ في نفس الوقت فهذه حالة فردية.

- ياسمين: حسناً... ثانياً حضرتك لم تشارك أحداً من قبل وكنت دائماً ترفض هذا الموضوع، فلماذا الآن؟ مع العلم أنني لست مقتنعة بما قلته عن أنه أحب المجال ومثل باقي حديثك هذا... إطلاقاً.

- يس: وماذا تعتقدني حضرتك؟... طمعان في أمواله مثلاً.
- ياسمين: يا ميليكي أنا لا أقصد هذا ولكني مندهشة من هذا التغيير المفاجئ... اديني عقلك وامشي حاف.

- يس بتعجب: أمشي حافي... أين تتعلمين مثل هذه الكلمات؟

- ياسمين: من فضلك لا تغير الموضوع.

- يس: تمام سوف أضرب لك مثلاً... امممم ألسيت محامية؟

- ياسمين: وما علاقة هذا بحديثنا؟

- يس: أريحي قلبي وأجيبي عليّ.

- ياسمين: نعم.

- يس: حسناً... إذا جاء إليك عميل واستطعت أن تنهي له قضيته في الموعد المحدد دون تأجيل أو استئناف وتردي له حقه هل سترك ويذهب لمحامٍ آخر؟ أم يلجأ إليك في أي قضية أخرى تواجهه.

- ياسمين: بالتأكيد سيبقى معي... ولكن لم أفهم بعد، ما وجه

العلاقة؟

- يس: حسناً... بطريقة أبسط من ذلك... لو افترضنا أن المصعد فترة تصميمه وتنفيذه وتسليمه تكون ستون يوماً، ولكن تأتي شركة أخرى تقوم بتنفيذه بنفس الكفاءة المطلوبة ولكن بتكلفة أقل من مثلتها وفي وقت أقل من المحدد، ماذا ستفعلين؟
- ياسمين: بالتأكيد سأتعاقد معها دوماً.
- يس: الآن لقد أجبتي على نفسك.
- ياسمين: اممم... حسناً أخبرني متى سأبدأ عملي معك بالشركة؟
- يس: متى تشاءين.

* * *

- يفتح عمر باب شقته ويدخل هو وطارق فيجد والده جالساً يقرأ القرآن كعادته بعد الانتهاء من صلاة المغرب فيحيه قائلاً:
- مساء الخير يا حاج تقبل الله.
- الحاج مهران والد عمر: مساء النور يا سيدي منا ومنكم إن شاء الله.
- عمر: الله الله الله... ماذا بك يا صديقي العجوز؟
- والده: ألم أقل لك أكثر من مرة، لا تقل مساء الخير وقُل السلام عليكم.
- عمر مبتسماً: حسناً... السلام عليكم يا حجوج.
- والده: حجوج!!... وعليكم يا سيدي.
- عمر مداعباً والده: من الذي لم يكمل السلام الآن... حسناً... إني أريدك في موضوع هام.

ثم يتنحى عمر بوالده جانباً ويقص عليه ما حدث بين طارق ووالده وأنه سوف يقيم معهم لفترة ما فيحزن والد عمر على ما حدث لطارق لأنه

يحبه كـ(عمر) ابنه حيث إنه يعرفه منذ أن كانا أطفالاً يمرحون سوياً فيرحب به والد عمر قائلاً:

- تفضل يا طارق يا ولدي، هذا منزلك وأنا والدك، لا تخجل من شيء.

فيدخل طارق والحزن يملأ كل قسمات وجهه والألم يعتصر قلبه من هذا الموقف العجيب الذي يتخلى فيه والده عنه الذي هو من صلبه في حين أن يرحب به رجل آخر ويأخذه بين أحضانه كوالد له فيقول له طارق:

- شكراً لحضرتك يا عمي... أنا لا أدري ماذا أقول؟ ولكن إن شاء الله سأبحث عن شقة إيجا...

- فيقاطعه والد عمر قائلاً: ماذا تقول يا ولدي؟! أنا هنا والدك وأنت مثل عمر والمنزل منزلك، أنت من الآن أحد أفراد أسرة مهرا ولا أريد أن أسمع منك هذا الحديث مرة أخرى، إلا إذا كنت أنت لا تعتبرني والدك.

- طارق: كيف ذلك يا عمي؟... حضرتك غالي على قلبي كثيراً؟
- والد عمر مبتسماً بحنو أبوي ملاحظاً الحزن البادي على وجه طارق: حسناً... تفضل ادخل مع أخوك غرفتك الجديدة، وافعل ما شئت ولا تحزن من والدك فهو ما زال عريساً جديداً فيجب عليك أن تعذره.
- فيبتسم طارق: حاضر يا عمي.

ثم يدخل طارق وعمر غرفة هذا الأخير لوضع حاجيات صديقه في حين أن والد عمر يذهب إلى زوجته ليخبرها بما حدث وبما سيحدث من بقاء طارق معهم في الشقة لفترة لا يعلمها إلا الله.

يعود حاتم إلى فيلته في التجمع الخامس في حي الياسمين بعد يوم شاق من العمل، فيدخل إلى الفيلا ويطلب من الطباخ تحضير العشاء له، ثم يصعد إلى غرفة نومه ليقوم باستبدال ملابسه بغيرها، ثم ينزل مرة أخرى ليتناول عشاءه وأثناء ذلك يتذكر حديثه مع ياسمين، ويتذكر سحرها وجاذبيتها وابتسامتها البريئة الرقيقة التي طعنت قلبه بسهام الحب والإعجاب الغريب من أول نظرة الذي لا يؤمن به، حتى رآها ف شعر به فجأة يجتاح قلبه وعقله ومشاعره، مما جعله لا يقوى على منع نفسه من الاسترسال في الحديث أمام هذه الأنثى الهائلة على نسيم الربيع المتفتحة الأنوثة، البارعة في سرقة قلوب الشباب من النظرة الأولى، فلم يكن أمامه إلا طاعة قلبه الذي لم يهدئ من خفقاته غير بعده عنها وانغماره في الحديث عن العمل مع والدها يس بك، وأثناء تفكيره وهيامه في فاتته ياسمين يقاطعه السفرجي منصور مستفهماً:

- ألم يعجبك العشاء الليلة يا حاتم بك؟
- يفيق حاتم من شروده قائلاً: لا أبداً يا عم منصور الأكل ممتاز جداً وأجمل من كل ليلة.
- فيندهش منصور لكلمات حاتم: بالرغم من أن حضرتك لم تتذوق أي شيء من أصناف الطعام التي أمامك!
- حاتم مبتسماً: ياااه يا عم منصور... دائماً تراقبني هكذا.
- منصور السفرجي: لا بد من ذلك يا ولدي... المرحومة والدتك كانت دائماً توصيني على أهم شيء قبل وفاتها ثلاثة وجبات ثم ثلاثة وجبات ثم كوب اللبن قبل النوم.
- حاتم مبتسماً لحنو هذا الرجل عليه: قل ما يوجد الزمان بمثلك يا عم منصور.

- منصور السفرجي: أهااااا هكذا... أعتقد أنك تريد تغيير الموضوع ولكنني لن أتركك، أخبرني ماذا بك؟ لماذا أنت شارده هذه الليلة منذ جلوسك على طاولة الطعام؟

- حاتم: أما زلت تراقبني يا رجل يا عجوز؟

- منصور السفرجي: يا ولدي ألا تريد أن تقص علي ما بك مثل الماضي... أعتقد أنه خط الشيب مفرقي... لا بد وأن تعلم أن كل شعرة بيضاء من شعري هذا سطر من كتاب الزمن من يقرأه يتعلم منه الكثير.

- حاتم: بالطبع إني واثق من ذلك يا عم منصور ولكنني لم أخف عليك شيئاً بالله وأنت تعلمُ هذا جيداً، ولكنني أفكر فقط في موضوع ما وعند اكتمال جميع أركانه أوعدك بأني سأخبرك بكل شيء.

- فينتسم الاثنان معاً، ثم يتجه منصور إلى المطبخ لينادي مساعده ليساعده في رفع أطباق الطعام من على السفرة، ويتجه حاتم صاعداً إلى غرفته لكي يستريح من عناء يوم عمل دائم التكرار، ولكن ما كان بهذا اليوم لن يتكرر لما يحتويه من غادة حسناء أضافت بهيجاً وطرّاً ولوناً آخر له، وقبل أن يضع رأسه على الوسادة يتذكر شيئاً هاماً.

الفصل الخامس

يدخل العميد رأفت مكتبه في التاسعة صباحًا فتقع عينه على الملف الخاص بعملية المقدم صلاح رشوان، فيقوم بالاتصال بالقيادة العليا لإخبارها بفشل العملية الأخيرة نتيجة للإهمال في الحصول على المعلومات، مما تسبب في كشف أوراقهم والتي حتمًا ستودي بحياة بعض رجال الشرطة المختبئين في وسط عصابة التهريب على هيئة أحد أفرادها، وتحديد ميعاد لمحاكمة عسكرية سوف تتم مع المقدم صلاح لتقصيره في أداء عمله وبعدها يقوم بغلق الهاتف، ثم يقوم باتصال آخر بهذا الأخير مستدعيه إلى مكتبه ويغلق معه الهاتف، فيذهب صلاح على الفور صاعدًا إلى مكتب قائده فيطرق على الباب قبل دخوله المكتب فيرد القائد من الداخل:

- تفضل يا صلاح.

- صلاح: تمام سيادتك يا افندم.

- العميد رأفت: أرجو منك تسليم مستند عملية ملح البحر للرائد حسين العزازي، وتسليم عهدتك أيضًا لأنك موقوف عن العمل إلى أن تقرر مصيرك المحاكمة العسكرية.

- صلاح: تمام يا افندم ولكن سيادتك أنا لم أخطأ لدرجة أن يتم إيقافني عن عملي، ولو سيادتك قرأت ملف العملية بعناية هتـ... .

- فيقاطعه العميد رأفت قائلاً: انتباه يا سيادة المقدم هل نسيت نفسك؟ لقد استدعيتك فقط لأبلغك بآخر التعليمات التي لدي وليس

لأننا نشك في عملية أنت ومعاونيك فشلتم في تنفيذها، ويكفي أن تعلم بأننا ليس لدينا أي معلومات ترشدنا عن مكان الصول عبد الفتاح قناوي، وليس لدينا أيضًا أي وسيلة اتصال به منذ فشل العملية وأتمنى من الله أن لا يحدث له مكروهاً وإلا ذنبه هو وأسرته سيكون برقتك، انفضل يا سيادة المقدم على مكتبك ونفذ التعليمات التي وُجّهت إليك.

- صلاح: تمام سيادتك يا افندم.

ثم ينصرف صلاح عائداً إلى مكتبه في حزن شديد حيث إنه كان أول مرة في حياته منذ أن تخرج من كلية الشرطة يخفق في عملية تسند إليه فكاد أن يبكي من شدة الألم، فلقد كان من أوائل دفعته وقد نال من الاحترام والتقدير من جانب أساتذته الكثير والكثير، ونال من الأوسمة أيضًا على مدار خدمته العسكرية ثلاثة عشر وسامًا هذا كله غير أن الملف الخاص به مليء بامتيازات مما يجعله يفخر بذاته وسط زملائه، وعندما يدخل إلى مكتبه ويصبح وحيداً تنحدر من عينيه دموع تملأ الدنيا حزناً ومرارة لما ناله من توبيخ من قائده ولما سوف يناله من تأنيب وحكم قاسٍ أثناء محاكمته ولما سيلاقيه من نظرة زملائه أثناء تسليم عهده، وكيف له أن يواجه أيضًا والده ووالدته في المنزل كل هذا تجمع أمام عينيه دفعةً واحدة، ثم يفيق من شروده على صوت طرق باب مكتبه فيقول بصوت يملؤه المرارة والأسى:

- تفضل... كيف حالك يا حسين؟

- حسين: تمام الحمد لله أنت كيف أحوالك؟

- صلاح: الحمد لله... تمام.

- حسين: ماذا حدث بينك وبين العميد رأفت؟ وهل موضوع تسليم

عملية ملح البحر لي هذا صحيح؟ ما هذا الهراء؟

- فينتسم صلاح بمرارة: ليس هراء وإنما واقع... بالفعل أنت من سيتولى القضية من اليوم وستصبح المسئول عنها.
- حسين: لماذا؟ والقضية ما زال بها أمل وتستطيع تكملتها.
- صلاح: كل شيء انتهى يا صديقي أنا موقوف عن العمل من اليوم، وتم إحالتي للمحاكمة العسكرية والمفترض أن أسلم عهدتي وأسلمك ملف القضية.

* * *

- الكارنيه لو سمحتم... كل طالب يظهر الكارنيه الخاص به الكارنيه يا دكتور لو سمحت يقولها عباس حارس الأمن الخاص بالبوابة الرئيسية لجامعة ٦ أكتوبر لحظة دخول طلاب كلية الصيدلة.
- فيرد عليه عمر أثناء دخوله:
- صباحك نعناع يا عبس هوي البلف خلى العيال تدخل وننجز بدل الطابور اللي أنت عامله دا إحنا صاحين من السرير على هنا مش شايفين حاجة أدامنا.
- عباس مبتسمًا: ماذا تقصد بنعناع؟... يا سيدي أنت كمان هي ناقصة ألش على الصبح.
- عمر: يعني أخضر يا جدع زي عينيك الحلوة دي.
- عباس: ليس لك دخل بعيني أرني الكارنيه الخاص بك.
- عمر: تفضل يا سيادة اللواء عبس.
- ويظهر طارق أيضًا كارنيه الجامعة ويدخل الاثنان معًا متجهان إلى الكافيتريا لأخذ فنجان القهوة كالمعتاد لكي يستطيعا التركيز في أول محاضرة، فيجدا الشلة المعتادة فيجلسا معهم ويحييهم عمر ويوجه حديثه لسمر قائلاً:

- صباح الكانيش يا أبو سمرة إيه اللي أنتِ ضرباه في شعركِ دا.
- سمر بغيظ: اخرس يا جاهل أنت لا تدري شيئًا عن الموضة.
- جو مانا: لا داعي للاستهزاء يا عمر، أنت لا تدري كم كلفها هذا المظهر الرائع.

- طارق بغلاسة: آخره صباعين ممدارين في رغيف عادي يعني.
- سمر: أنت بالتحديد لا تتحدث؟ أنت ليس لديك شعر من الأساس... دا أنت دماغك أنصف من بلكونة بيتنا.
- فتر دروضة: لا، هذا كثير... يكفي هذا.
- فيتسم عمر: حقًا كم ثمنه؟
- سمر: تحرك له يدها بعلامة خمسة.
- عمر: خمسين جنيه... هل أنتِ جادة؟
- جو مانا ضاحكة: خمسين جنيه... ما هذا الهراء يا ربي؟ خمسمائة جنيه.

فتصل شمس في هذا الوقت لتجد عمر وطارق جالسين وسط الثلاث بنات يضحكون بصوت عالٍ، فتشعر بالغيرة تأكل قلبها لأنها حذرت عمر من قبل بأنها لا تحب هؤلاء الفتيات وأنها لا تريده أن يجلس معهن، فتتظر له في حين أنه لا يشعر بوجودها ولكن طارق يلاحظ وجودها، فيحاول مسرعًا جذب انتباه عمر لها قبل أن يتمادى في مرحة والحديث مع البنات قائلًا:

- شمس... كيف أحوالك؟ تفضلني اجلسي معنا.
- فيتته عمر لها قائلًا: صباح الخير يا شمس الحب... اجلسي بجاني.

- شمس بخشونة: آسفة... لا بد أن ألحق المحاضرة الأولى.
- عمر مبتسمًا: ليس هناك مشكلة باقي عشرة دقائق قبل أن تبدأ المحاضرة.
- شمس: آسفة ابقى أنت وأنا سأذهب وحدي.
- عمر متذمرًا: انتظري سوف آتي معك ويعتذر لباقي أفراد المجموعة تاركًا طارقًا، وينصرف مع شمس متجهين نحو قاعة المحاضرات.
- شمس: ألن تفلح عن الجلوس مع هؤلاء الفتيات.
- عمر: قلتُ لك مسبقًا إنهم فقط صديقات... ما هو إذا سر غضبك؟
- شمس: أصغ إلي يا عمر، أنا قلت لك قبل ذلك لا تجعلني أخيرك بيني وبينهن ولكن هذه المرة عليك أن تختار بيني وبينهن... ثم تركه شمس وتسير وحدها متجهة إلى قاعة المحاضرات.
- سمر توجه حديثها لطارق قائلة: لماذا كلما رأنا دائمًا تنزعج هكذا؟
- طارق: لا لا لا... لا أحد يتحدث عنها في عدم وجودها عندما يأتي عمر تحدثوا معه كيفما تشئن.
- روضة: سمر لم تقل شيئًا عنها ولكن أي أحد عندما يمر بمجموعة من الناس صباحًا يقول دائمًا صباح الخير، سلامٌ عليكم، بونچور.
- طارق: بونچور... هههه الله يرحم أبوكِ كان يبسأى البؤصمات في القلة.
- فيضحكون جميعًا ثم يتجهون إلى قاعة المحاضرات قبل بداية المحاضرة.

تستيقظ دينا في الساعة التاسعة والنصف على اتصال بهاتفها المحمول من رقم غريب لا تعرفه، وهي ليست معتادة على الاستيقاظ في مثل هذا الوقت هي وصديقاتها ياسمين وندى ولارا منذ أن تخرجن من الكلية إلا حينما يتفقدن على الذهاب للنادي، فتحولت حياتهن من النهار إلى الليل ومن الليل إلى النهار فتجيب بتكاسل:

- آلو... آلو من... المتحدث.

- الطرف الآخر: آلو أستاذة دينا... مع حضرتك سلمى منسقة حلقات برنامج (أنا وأنت وكل يوم جديد) من قناة إم بي سي مصر.

- دينا: أهلاً وسهلاً بحضرتك خير اتفضلي.

- سلمى: إدارة البرنامج حضرتك بتعمل حلقة عن الصداقة وتم عمل اختيار رقم عشوائي بالتنسيق مع شركة فودافون وكان رقم حضرتك هو الفائز معنا بهذه الحلقة فممكّن نحدد موعداً مع حضرتك لكي نأتي لتصوير الحلقة.

- دينا: ليس هناك مشكلة اختاري حضرتك الموعد الذي يناسبك.

- سلمى: هل يناسبك اليوم الساعة الثالثة مساءً؟

- دينا: نعم... ليس هناك مشكلة سأكون في انتظاركم لكن... أرجو

أن تخبريني كم عدد الأشخاص الذين سوف يحضرون معك؟

- سلمى: اثنين فقط حضرتك، أنا والمصور الخاص بالقناة.

- دينا: اثنين فقط!!!... تمام ليس هناك مشكلة.

- سلمى: شكراً لحضرتك يا افندم.

- دينا: على الرحب والسعة... سلام.

- سلمى: معذرةً يا افندم ثانية واحدة من فضلك.

- دينا: خير! أهناك شيء آخر؟
- سلمى: أرجو من حضرتك عدم إخبار صديقاتك حتى يحين موعد إذاعة الحلقة من أجل عنصر المفاجأة.
- دينا: حاضر ليس هناك مشكلة... سلام.

يخرج طارق وعمر من المحاضرة فيجدان شمس تتجه مبتعدة عنهما فيندهش طارق لهذا السلوك الغريب فيسأل عمر مستفهمًا ماذا حدث بينهما فيخبره عمر بالنقاش الذي دار بينه وبين شمس قبل دخولهم قاعة المحاضرات، فيستنكر طارق ما حدث ويحاول تهدئة عمر بأنه سوف يتحدث معها ويهدئ أعصابها ويحاول إقناع عمر بتناسي ما حدث وكأن شيئًا لم يكن، وأنها أيضًا لها الحق في الغيرة عليه سواء كانت كثيرة أو قليلة وأن هذا يحدث بين كل المرتبطين، وأن لا داعي في غضبه حتى لا تتفاقم الأمور وأن كل شيء سوف يعود لمجره الطبيعي، ثم يذهب طارق متجهًا إلى شمس تاركًا خلفه عمر يستشيط غضبًا نتيجة فعل شمس بدون وجه حق فيحاول طارق اللحاق بها مناديًا عليها فتستجيب له قائلة بانفعال:

- طارق إذا كنت تريد الحديث معي فيما يخص عمر وصديقاته فمن الخير لك أن تصم...
- فيقاطعها طارق بمزاح: أنا أريد أن أوضح لكى بعض النقاط.

- شمس: بالله عليك يا طارق يكفي ما بي.
- طارق: هدئي من نفسك وأنصتي لي؛ فأنا أريد أن أفهم ما هذا الهراء الذي تفوهت به لعمر؟
- شمس: وهل تُعجبك أفعاله؟... أجيني لماذا صمت الآن؟

- طارق: شمس... كم مر من الوقت على علاقتك بعمر؟
- شمس: تقريباً خمسة أشهر.
- طارق: شيء عظيم جداً... أولاً وقبل كل شيء، هل تعتقدين أن هذه فترة كافية لكي يتغير فيها شخص في أي شيء وليس في موضوع محدد؟
- فتصمت شمس قليلاً ناظرة إلى الأرض قائلة باقتضاب: لا.
- طارق: شيء رائع جداً لقد أجبتي على نفسك واختصرتِ مهارات كثيرة، ولذلك أعتقد أنه عليك أن تتعاملي معه خطوة بخطوة وهذا أولاً، ثانياً هـ...—
- فتقاطعه شمس: ولكن هو الآن مرتبط بي، وأقصد بذلك أن ينهي تلقائياً علاقتك بأي واحدة أخرى.
- طارق: من فضلك أنصتي لباقي حديثي ولا تقاطعيني.
- شمس: تفضل، دافع عن صديقك.
- طارق: ثانياً هو يمزح معهم فقط وفي حدود الأدب والتعليقات العادية ولكن هو خفيف الظل ومرح وأظن أنك رأيت هذا بعينك لا يفعل أي شيء خاطئ معهم... صحيح أم لا؟
- شمس: نعم.
- طارق: ثالثاً يا سيدتي الجميلة باقي الفصل الدراسي ثلاثة أشهر فقط والدراسة ستنتهي ومنهم شهر امتحانات يعني شهرين فقط ولن يروا بعضاً ثانياً... اللي هتتجوز واللي أمها هتتطلق.
- شمس مبتسمة: أنت قليل الأدب.
- طارق مبتسماً: إني جاد فيما أقول، ستقطع علاقتهم وإذا تقابلوا ستكون صدفة ليس أكثر، ونادراً ما تستمر علاقة فتاة وشاب كأصدقاء، هذا واحد بالمائة.

- شمس: أتقصد من حديثك هذا أن أبدأ بمصالحته؟
- طارق: أنا لم أقصد ذلك ولكن لا تتعاملني معه بخشونة، فكل ذلك سيتهيئ قريباً.

* * *

- يدق جرس شقة دينا فتذهب لتفتح الباب فتسألها الطارقة:
- هل هذا منزل الأستاذة دينا؟
- دينا: نعم... أعتقد حضرتك الأستاذة سلمى صح.
- سلمى: وأعتقد حضرتك الأستاذة دينا.
- دينا مبتسمة: نعم... تفضلي حضرتك.
- سلمى: هذا / علي المصور الخاص بتصوير حلقات البرنامج وجاء معي اليوم ليسجل ذكريات الصداقة.
- دينا: أهلاً بـ حضرتك يا أفندم... تفضلاً.
- يتتبه والد دينا لوجود ضيوف بمنزله فينادي مستفهماً منها من هؤلاء فتشرح له دينا ما حدث بالصبح، ثم تعود إلى ضيفيها فتسألها ماذا يريدان أن يتناولوا، ثم تذهب إلى والدتها طالبة منها تحضير واجب الضيافة، ثم تعود مرة أخرى إلى ضيفيها مرحبة بهما:
- أهلاً بكما بماذا تودان أن نبدأ؟
- سلمى: نحن نريد أن نبدأ من الطفولة المبكرة وأن توضحي لنا كيف بدأت صداقتك مع أعز صديقاتك وكم عددهن؟ وأهم وأحلى ذكرياتكن، وإذا كان هناك منهن ما زالت صداقتك متصلة بهن وكيف حافظتن على هذه الصداقة إلى الآن حتى بعد الجامعة.

- دينا: ياااه كل هذا... ولكن هذا كثير جداً أنتم تريدون تقريراً عن حياتنا.

- سلمى مازحة: ليس هذا فقط نحن نريد تقريراً بالأدلة والبراهين.
- فييتسما معاً وتبدأ سلمى قائلة: سوف نبدأ التسجيل الآن ولا تنزعجني هناك مونتاج وإذا حدث خطأ ممكن إزالته أو إعادته.
- دينا: حسناً.

- سلمى: مساء الخير على كل مشاهدينا الذين يتابعوننا ويتظنون حلقتنا كل أسبوع لكي نستطيع أن نقدم لهم حكمة جميلة أو معلومة مفيدة أو أفكار جديدة تساعدكم في الحياة، حلقتنا اليوم تتحدث عن الصداقة... الصداقة بكل أنواعها... الصداقة بحلوها ومرها... بمشاكلها وأزماتها... بوقت الضيق والألم أو في وقت صعب وكيف تجد الصديق يقف بجوارك قبل الأخ لكي يخرجك من ما أنت به لتكامل حياتك كما تريد أو كما تريد، اليوم معنا في البرنامج إنسانة رقيقة تحمل في قلبها وعقلها أسمى معاني الحب والجمال لصداقة بريئة بدأت منذ الطفولة ونمت وترعرعت في الصبا إلى أن تخطت سن الرشد وما زالت كما هي بريئة، ولكنها تحمل ذكريات جميلة بالمواقف والصور والابتسامات المنطلقة من القلب، معنا ومعكم اليوم واحدة منكم من المجتمع، وليس من أي وسط فني أو سياسي وأقصد إنسانة غير متكلفة على طبيعتها سوف تتحدث عن ذكرياتها، معنا الأستاذة دينا.

- سلمى: أهلاً بحضرتك يا أ / دينا ونحن سعداء جداً بوجود حضرتك في برنامجنا وموافقتك على أن تشاركنا ذكرياتك مع صديقاتك بحلوها ومرها.

- دينا: أنا التي تود أن تشكرك على هذه المقدمة الجميلة.

- سلمى: نحن والمشاهدين بالطبع نود أن نعرف كيف كانت بداية معرفتك بصديقاتك.

- دينا: في الحقيقة أنا ليس لي غير ثلاث صديقات معي منذ صغري إلى الآن و...

- فيقطعهن على المصور: (Cut) / دينا بعد إذن حضرتك ممكن تحركي رقبتك إلى اليمين وتبقي على هذا الوضع.
- دينا بخجل: حسناً.

- علي: سنبدأ من أول الحوار عند أ/ دينا اتفضلتي حضرتك.

- دينا: في الحقيقة أنا ليس لي غير ثلاث صديقات معي منذ صغري إلى الآن وتعرفت عليهن في أول عام لي بالمدرسة، كنا في فصل واحد مع بعض في الروضة وعندما تقدمنا في المرحلة الدراسية بدأنا نستذكر دروسنا مع بعض وتعرفت عائلتنا على بعضهم البعض من أجل الاطمئنان علينا، ثم بدأت الصداقة تنمو بشكل أكبر وأصبحنا نقضي معظم أوقاتنا مع بعض ونحضر مناسبات بعض وتحولت العلاقة من صداقة لعلاقة أسرية.

- سلمى: أتقصدين من هذا أنك كنتين دوماً مع بعض.

- دينا: تقريباً... شيء من هذا القبيل.

- سلمى: هل تسمحين لنا بعرض بعض الصور لك ولصديقاتك.

ثم تعرض ندى جميع صورها مع صديقاتها أمام الكاميرا موضحة كل مناسبة التقطت فيها كل صورة.

يفتح إينو عينيه فيجد نفسه جالساً على مقعد وجهًا لوجه أمام شخص يرتدى زياً أسوداً كاملاً ومرتدياً في رأسه أيضاً قناعاً أسوداً لا يظهر

منه إلا عيناه وأنفه، فحاول الحركة فوجد نفسه مقيدًا بالأغلال ويده خلف المقعد وقدميه مقيدة بقدمي المقعد فينظر حوله ليجد أصدقاءه في تهريب المخدرات مجتمعين في دائرة كدائرة الانتقام، ومثبت فوق رأسه مصباح كالذي نراه في الأفلام في أجهزة المخبرات والغرفة فارغة من كل شيء فيحاول التحدث لأحد أصدقائه قائلاً:

- ماذا حدث يا روسيا؟ ولماذا أنا مقيد هكذا؟

فلم يرد عليه صديقه روسيا هذا فينظر لبقيتهم حتى يعثر على إجابة من أحدٍ منهم، ولكن لم يعيره أحدًا ما يريد فينظر إلى الشخص المثلث ذو الزي الأسود مستفهمًا، فيبتسم له هذا الأخير قائلاً:

- هل تعلم من أنا؟... أعتقد أنك استتجت من أكون... لأن المعلومات التي لدي أنك ذكي جدًا، وذاؤك هو من أتى بك إلى هنا.

- إينو باتسامه مفتعلة يوجه حديثه لـ(الشخص المثلث): أنا طالما سمعت عن سيادتك ولكن لم أتشرف بمعرفتك من قبل وأنا أكيد محظوظ لأنني قابلتك لأنني أعلم أيضًا أنك لا تقابل المستجدين أمثالي يا... (زعيم).

- الزعيم: ياااه هذا ما سمعته عنك.

- إينو بسخرية: أنا دائمًا في خدمتك.

- فيضحك مقهقهًا (الزعيم): بالتأكيد... أخبرني، ماذا لديك؟

- إينو: أنا لا أعلم ماذا تريد؟ ولماذا أنا مقيد هكذا؟ أليس اليوم هو موعد استلام الشحنة؟

- (الزعيم): ولهذا السبب أنت معنا هنا... أنا أعلمُ عنك كل شيء...

ألا ترغب في إظهار حقيقتك بعد؟

فينظر له إينو باندهاش لعدم فهمه ماذا يريد! فيبتسم هذا الشخص
المجهول (الزعيم) قائلاً بصوت أجش منفعل:
- روسيا.

فيعطيه هذا الأخير ملفاً دون التحدث بأي كلمة.

- فيبتسم الزعيم: الاسم عبدالفتاح قيناوي... العمر اثنان وثلاثون
عاماً... محل الإقامة ١٥ ش النيل المعادي الدور السادس... يعمل في قسم
مكافحة المخدرات حاصل على رتبة صول... حاصل على ترقيتين إحداهما
عام ٢٠٠٢ والأخرى عام ٢٠٠٦ وذلك نظير اشتراكه في الإيقاع بإحدى
عصابات تهريب المخدرات والتمكن من معرفة من هو الرجل الأول
وراءها، رجل كفؤ لا يدخر جهداً في التفاني في عمله مما جعله يصل إلى
سن الثلاثين دون زواج إلى الآن ولا يقبل الرشوة.

ثم يصمت قليلاً ناظرًا إلى إينو حتى يرى ما يبدو على وجهه من أثر
هذه المفاجأة غير المتوقعة، وعندما يجد البرود والجمود واضحين على
وجه هذا الأخير دون أي تعبيرات يستشف منها أي شيء ينفذ صبره قائلاً:

- أما زلت تفضل الصمت.

- إينو مبتسمًا: وماذا تريدني أن أقول بعد كل ما قلته؟ أنت لديك
المستند الخاص بي في الشرطة بذاته.

- الزعيم: أتعني أنك معترف أن هذا المستند خاص بك.

- فيبتسم إينو ساخرًا: أنا أعلم من أعطاك هذا المستند وهو واحد
منا أو كما كنت أعتقد أنا وكلنا أعتقدنا هذا، وللأسف كنت معتقدًا أيضًا أن
السلطة التي وصل لها محاولة تصحيح لوضعه لأنه إنسان كسول لكن هو
للأسف لم يخزن فقط وطنه بل إنه خان أيضًا وظيفته وأعز صديق له.

- الزعيم: تقصد من؟

-إينو ساخرًا: لا يوجد غيره حسين العزازي دائمًا كان يكره وجودي في الإدارة.

- الزعيم: ولماذا هو بالتحديد محتمل أن يكون صلاح رشوان هو الذي أقحمك في هذه العملية لكي يتخلص منك.

- إينو: مستحيل لأنه لو فعل ذلك سيدمر كل شيء؛ نفسه وسمعته وسيخسر حتمًا القضية.

- الزعيم: وما مصلحة حسين في ذلك؟

- إينو: حسين تأخر في ترقيته عن صلاح ويتمنى أن يتساوى به لكن للأسف هناك فرق كبير بينهما.

- الزعيم: أنا لا يعنيني مثل هذا الهراء، فقد كان بإمكانني قتلك من أول يوم اقتحمت فيه المنظمة، ولكن كان لي أهداف أخرى ولهذا أنت حيٌّ ترزق الآن وأقصد من ذلك، بكلمة منك رقبك تظل فوق أكتافك وبكلمة أخرى ستكون في مكانٍ آخر، أعتقد أنك تعلمه جيدًا.

- إينو مبتسمًا بسخرية: وما هي أهدافك أيها الزعيم المُحنك؟

- الزعيم: تكون عميلًا مزودجًا كما يقولون في المخابرات، وأعني من ذلك أن تعمل ظاهريًا فقط لدى الشرطة ولكن في الحقيقة أنت تعمل لدي.

- إينو: وبماذا سأفيدك وأنت معك من هو أقوى مني؟

- الزعيم: ليس لك شأن بهذا؟ أنت تنفذ فقط.

- إينو: أنا أريد أن أعرف ما هي نهاية هذا الهراء؟

فينظر له الشخص المجهول بتحدٍ مبتسمًا ثم يتركه ويغادر الغرفة وقبل أن يغلق الغرفة ينظر له قائلاً: إنني أحذرك ستندم.

وعندما يغادر الزعيم الغرفة يدخل شخص آخر فتجحظ عين إينو.

* * *

يدخل حاتم شكري إلى فيلته متأخرًا في العاشرة مساءً فيجد عم منصور السفرجي خارجًا من المطبخ مبتسمًا كعادته قائلاً:

- حمدًا لله على سلامتك يا دكتور.

- حاتم مبتسمًا: تسلم يا عم منصور طالما تفاءلت برؤية ضحكك الجميلة.

- عم منصور: الله يبارك لك يا ولدي لذي لك مفاجأة.

- حاتم!: خير يا عم منصور.

- عم منصور: مفاجأة كنت تتمناها كثيرًا.

- حاتم: ماذا تقصد؟

- عم منصور: أتعلم من جاءت لنا اليوم؟

- حاتم: لا... من؟

- عم منصور: الدكتور شمس.

- حاتم: حقًا... هل أنت جاد فيما تقول؟ ولماذا لم تطلب منها أن

تتظرنني؟ كنت أود رؤيتها بشدة.

- عم منصور: وهل تعتقد أنني بهذه السذاجة كي اتركها ترحل قبل

أن تراها؟

- حاتم بفرحة كبيرة: حقًا... وأين هي الآن؟

- عم منصور: بغرفتها تنتظرك لأنها تريدك في موضوع ما.

- حاتم يصعد مسرعًا إلى غرفة شمس فيسأله عم منصور: هل أقوم

بتجهيز العشاء؟

- حاتم وهو يصعد السلم المؤدي إلى الغرف: لا داعي له الآن.
وعندما يصل حاتم إلى غرفة شمس يطرق باب غرفتها فتجيب من
الداخل:

تفضل يا عم منصور، وحينما يفتح الباب فتفاجأ شمس بأنه حاتم
فتقفز مسرعة من على السرير وترتمي بين أحضانها قائلة:

- حاتم حبيبي كيف أحوالك وأخبارك؟ لقد اشتقت إليك كثيرًا.
- حاتم ينظر لها بحنان أخوي قائلاً: لو تعلمي كم أشتاق لك؟
- شمس بسخرية: لو اشتقت لي حقاً ما كنت لتتركني كل هذه الفترة
بدون أن تسأل عليّ.

- حاتم معتذراً: ليس بإرادتي يعلم الله سامحيني، أنتِ تعلمين منذ
وفاة المرحوم أبي أصبح الضغط كله عليّ، وأنا أحاول أن أحافظ على الكيان
الذي تركه لنا والدنا رحمه الله على الأقل إلى أن تنهي دراستك الجامعية
وتساعديني.

- فتبتسم له شمس مداعبة شعره: إنني أعلم كل هذا ولكنني أمارحك.
- حاتم مبتسماً: المهم الآن كيف حالك؟ وماذا تفعلين؟ وكيف
تقضين وقتك؟ أنا أريد أن أعرف عنك كل شيء الآن من بعد آخر وقت
قضيته سوياً.

- شمس مازحة: الآن!! ولكن قد تأخر الوقت جداً، غداً إن شاء الله
عندما أعود من الكلية إلى هنا أيضاً سوف أقص عليك كل شيء ولكن لا بد
أن تعود أنت أيضاً مبكراً.

- حاتم: هل تمزحين أنا لا يهمني تأخير الوقت ولن أنتظر غداً سوف
تقضين عليّ كل شيء الآن ولن أذهب إلى العمل غداً سوف نقضي اليوم
بالكامل مع بعضنا.

- شمس بابتسامة رقيقة: ماذا تقول أيها المجنون؟ أنا لذي محاضرات لا بد من حضورها غداً بإذن الله.

فيتسم حاتم لأسلوبها الجميل ومشاقتها له في التحدث قائلاً:
- ولكن عم منصور قال لي أنك تنتظريني وتريدني أن تتحدثني إليّ في أمر هام.

- شمس بخجل: ليس هام كما تعتقد.

- حاتم: وما المشكلة إذًا، قصي عليّ الآن؟

فتبتسم شمس في خجل ثم تروي له قصتها مع عمر منذ البداية وتصفه له وتخبره بكل شيء عنه وعن عائلته وأحواله المادية واجتهاده في الجامعة، وكيف تم الارتباط بينهما وعن مشاعره نحوها وحبها لها وخوفه عليها إلى أن وصلت إلى النقطة الفاصلة، والتي سببت مشاكل كثيرة بينهما وهي صداقته المستمرة إلى الآن مع صديقاته البنات القدامى.

الفصل السادس

صباح الخير يا نيفين يقولها يس المهدي وهو يدخل مكتبه ثم يستدعيها.

- نيفين: صباح الخير يا افندم.

- يس: هل يوجد أخبار جديدة اليوم؟

- نيفين: نعم... حضرتك جميع الماكينات تم تخزينها في مخازن أكتوبر وأرسلوا لي المستندات الخاصة بها، وأنا بدوري أرسلتها للقسم الفني لكي يبدأوا عملية التصنيف.

- يس: عظيم جداً سوف أتحدث إلى المدير الفني وأتابع معه.

- نيفين: تمام حضرتك، ولكن هناك شيء آخر.

- ثم تسلم إليه ملف فينظر له يس باندهاش قائلاً: لماذا طلب التوظيف هذا أليس لدينا ما يكفيننا من المهندسين؟

- نيفين: بلى حضرتك... كان لدينا ولكن تركوا العمل فجأة، والمدير الفني أرسل لي بالبريد الإلكتروني بهذا الطلب وقال لي أقدمه إلى حضرتك.

- يس: تركوا العمل فجأة، ما هذا الهراء!؟

- نيفين: لا علم لي حضرتك، أنا حينما استلمت الرسالة أعدت إرسالها إلى قسم الموارد البشرية ليحققوا في الموضوع وكان ردهم أن هؤلاء المهندسين تعاقبوا على فرصة عمل بالخليج.

- يس بانفعال شديد: خليج... ألم يعلموا حجم هذه الشركة؟ هؤلاء المهندسون يُحرموا من كل حقوقهم ولا يستلموا أي شيء من أوراقهم، أبلغني الأقسام المختصة بهذه بالتعليمات حالاً.

- نيشين: حاضر يا أفندم وماذا أفعل بطلب التعيين هذا؟ أرسل رسالة لإدارة الموارد البشرية بموافقة حضرتك عليه أم لا.

يصمت يس بضعة لحظات كاظمًا غيظه مفكرًا في حجم العمليات المسئول عنها، التي لا تحتل فقدان عامل واحد من عماله وليس مهندسًا، ثم يجيب عليها بالموافقة بإيماءة من رأسه فتخرج نيشين لتنفيذ ما أمرت به.

* * *

يتقابل عمر وطارق وشمس صباحًا بالكلية فتحاول شمس العمل بنصيحة أخيها حاتم المؤيدة لحديث طارق معها بأن تتعامل مع عمر بلطف وأن موضوع صديقاته البنات هذا سيتهي عاجلاً أم آجلاً ولكن تدريجيًا، وأن الرجل كالطفل كلما أرادت المرأة إبعاده عن شيء تشبث به كما يتشبث الطفل بلعبته أو بعناده في شيء ما، فيتعجب عمر عندما رآها تبتسم له بعد أن كانت كجمر النار لا تهدأ ولا تنطفئ من فرط انفعال أمس فيهمس لصديقه طارق:

- خير اللهم اجعله خير.
- فيسأله طارق مندهشًا: ماذا بك يا صديقي؟... إنها تبتسم.
- عمر: وهذه هي المصيبة إنها تبتسم ربنا يستر.
- شمس: صباح الخير كيف حالك يا عمر؟
- عمر مبتسمًا: الحمد لله وأنتِ كيف حالك؟
- شمس: الحمد لله... اممم... ألن تحضر المحاضرة اليوم؟

- طارق مبتسمًا بطريقة بلهاء (منشكح): بالطبع سنحضر ولكن أنا أريد عمر أن يشرح لي معمل الأحماض الماضي لأنني لم أذكره بعد.
- شمس: حسنًا اذهباً أنتم وسوف أنتظر كما هنا.
- طارق: حسنًا.
- عمر: أتريدين أن أحضر لك شيئًا وأنا قادم؟
- شمس بابتسامة رقيقة: ميرسي يا بيبي.
- فينظر لها عمر نظرة اندهاش ثم يتركها هو وطارق متجهين إلى معمل الأحماض فعندما يدخلان يستعجب عمر قائلاً:
- سبحان مغير الأحوال... بيبي!!
- طارق ضاحكًا: وما المشكلة؟
- عمر: ألم ترها كيف كانت تعاملني أمس، وكيف تعاملني الآن؟!
- طارق: لا إله إلا الله وماذا تريد إذا؟ إن الله يهدي من يشاء.
- عمر: أنت محق.
- طارق: هل ممكن أن تشرح لي سعادتك؟ قبل أن يأتي المعيد.
- عمر: أخبرني ماذا تريد بالضبط؟... بالتأكيد لن أشرح لك المحاضرة بأكملها.
- طارق: أنا كل ما أريده منك أن تقول لي ما هو لون كل حمض؟ وما هو تعريفه؟ لأنني لم أكتب هذا الكلام.
- عمر: ولماذا لم تخبرني في المنزل بهذا يا حيوان؟... كنت شرحتة لك.
- طارق: معذرة جناب الكومندا المهم.

- عمر: أنصت إلي ونظف أذنك معي، هذا (حمض ليفولنيك) ويكون لونه برتقالي داكن بعض الشيء ويحتوي على مجموعتين؛ الكربونيل والكربوكسيل وهذه أحماض كيتونية.

وهذا (حمض الدبال) ولونه رُمادى داكن يكاد يقارب الأسود ويطلق اسمه على المواد الحمضية التي تنتج من تحلل النباتات والأعشاب.

أما هذا يا أقرع (حمض الطرطريك اليميني) ولونه من... .

- فيقاطعه طارق: ما تخلص يا ابن الظريفة دا وقته المعيد المميز فاضله خمس دقائق ويجي.

- عمر ضاحكًا: والله كما قلت لك هذا اسمه (حمض الطرطريك اليميني)... ولونه تحسه كدا منجاوي يعني لا هو...

- طارق: منجاوي... منجاوي دا يبقى جوز خالتك ما تخلص يا اسطى.

- عمر يقهقه: أنا آسف لن أقول لك شيئًا آخر... واستنى لما المميز ينفخك وبعدين يقلك على الإجابة.

- طارق متحيرًا: هل أنت جاد فيما تقول؟... يا عم ماتشتغلنيش.

- عمر ضاحكًا: يا ابني والله ما باشتغلك هو اسمه ولونه كده.

- طارق: حسنًا... أكمل.

- عمر يحاول منع نفسه من الضحك: (حمض الطرطريك اليميني) ولونه منجاوي وليه قدرة على معرفة مستوى الضوء المستقطب.

وصلت ياسمين في الساعة التاسعة صباحًا إلى النادي كعادتها دائمًا هي وصديقاتها الثلاثي المرح، فغادرت سيارتها وحينما كانت تهتم بالدخول

إلى النادي سمعت أحداً يناديها باسمها فنظرت خلفها فصدمت حينما وجدته أمامها دون أن تعرف كيف ومتى حدث هذا، لأنه من المفترض لا يعلم عنها شيء سوى اسمها:

- حاتم أمعقول هذا... كيف حالك؟

- حاتم مبتسماً: بخير... وأنتِ كيف حالك؟

- ياسمين بصوت عذب كزقزقة العصافير: الحمد لله.

- حاتم: لقد ذهبتُ إلى الشركة أكثر من مرة ولم أجدك هناك، فعلمت بطريق الصدفة من حديث يس بك أنك دائماً تأتين يوم الثلاثاء إلى النادي فقررت أن آتي بنفسني لأسلم عليك.

فيتحول وجه ياسمين إلى اللون الوردى مكسواً بحمرة الخجل فترتّبك قائلة:

-رينا... احممم... ربنا يبارك لك هذا من ذوقك.

وتمر لحظات بسيطة من الصمت وهما ينظران لبعض نظرات يملؤها الارتباك تارة والإعجاب تارة أخرى، فيكسر هذه اللحظات صوت أحد كلاكسات السيارات المارة بالشارع فيتبهان لموقفهما فتشعر ياسمين بالإحراج الشديد ويتبه حاتم لهذا فيسرع قائلاً:

- ما رأيك أن نأخذ مشروباً معاً بالنادي؟

- ياسمين بخجل: لكن... أنا... أقصد لم أجلس مع شاب من قبل... بمفردني.

- حاتم: أنا أعلم ذلك ولكنني أريد أن أتحدث معك لعدة دقائق.

- ياسمين: ولكن... أنا صديقتي على وشك الوصول ولن أستطيع تركهن وحدهن.

- حاتم: ليس هناك مشكلة سنجلس سوياً إلى أن يحضرن وسأتركك معهن... وأنا أريد أن نصبح أصدقاء إلا إذا... كان هذا لا يرضيك.

- ياسمين: لا أبداً أنا لم أقصد ذلك... لي الشرف بالطبع ولكن...

- فيقاطعه حاتم قائلاً: لا تقلقي حينما يحضرن سأرحل على الفور.

فتبتسم ياسمين موافقة ثم يدخلان النادي مع بعضهما ويجلسان في أحد الكافيهات، ثم يأتي النادل فيسألها ماذا يريدان فيطلب كل منهما ما يريد، ثم بيتسمان إلى بعضهما ويرتبك حاتم ولا يعرف كيف يبدأ حديثه معها مما يجعل ياسمين تشعر بالخجل فيبادر حاتم قائلاً:

- أتعلمين هذه أول مرة أجلسُ فيها مع فتاة بمفردنا بالرغم من أن كانت دراستي كلها بالخارج ولكني لم أفكر مطلقاً أن أخرج مع فتاة... أقصد كنت مهتم جداً بدراستي وكنت من أهل العلم والعلماء.

- فتبتسم ياسمين قائلة: والآن أصبحت من أهل ماذا؟

فيشعر حاتم بعاصفة قوية يملؤها إحساس غريب تلهب جسده وتزيد من سرعة نبضات قلبه ورعشة جميلة تسري في يده ولا يعرف لها إلا تفسيراً واحداً وهو بداية اقتحام الحب لقلبه فيجيبها بمتهى الرومانسية والرفقة:
- أصبحت من أهل العشق.

فيلتهب وجه ياسمين من حُمره الخجل وكأنها على جمرة من نار وتتحرك عيناها في مقلتيها كعصفور في السماء ليس له أرض، فلا تستطيع تركيزهما على شيء ما وأخيراً تنظر إلى الأرض حتى لا يرى ما بعينها، فيكسر حاتم هذا الصمت الجميل المليء بلذة الحب والعشق الهادئ لينقذها مما هي فيه:

- أنا أول مرة رأيتُ بها صورتك تمنيتُ أن أتعرفَ عليك ولو لم أستطع... فيكفي أن أراك من بعيد... أحسستُ... أحسستُ أنك الفتاة

الوحيدة التي خُلِقَتْ في هذه الدنيا... ابتسامتك مثل سُطَّانِ البحر... الموج بينهما حائر... وبعينيك سحر جذبني لدنيا أخرى وزمانٍ غير الزمان... فلم أستطع أن أبعد عيني عنك تمنيتُ أن أراكُ وأتعرّف عليك... وأكون دومًا بجانبك أحسستُ لأول مرةٍ في حياتي أن الدنيا بها شيء جميل... شيء يستحق العناء من أجل الوصول إليه... شيء يستحق التشبُّث به... أحسستُ أنني أخفي بداخلي مشاعر لم يشاركني فيها أحد... تمنيتُ وقتها أن يعود بي الزمان وأُقابلك في الماضي... كنتُ سأضع بين أناملِك قلبي... ليقبلها دومًا في كل وقت... حتى يزيد شوقى لك... ولن أدعه حينها يتركك أبدًا... كنتُ عشتُ معك كل لحظةٍ جميلة راودتني بخيالي... كنتُ سأكسو الأرض في كل خُطوةٍ لك بالوردِ والريحان... كنتُ سأسرقُ لكِ سحابةً من السماء لتُظلل عليكِ في كل مكانٍ وزمان... كنتُ سأصبح ظلك مهما تكوني.

ثم يصمت للحظات حينما يرى وجهها كاد أن ينفجر من حُمره الخجل ولا تعلم كيف أن تجيب عليه أو تتحدث معه بعد كل هذا الحديث المعسول والإطراءات العذبة الجميلة التي أمطرها بها كما تُمطر العروس بالورد في ليلة زفافها ولكنها كانت مضطرة أن تتحدث هي هذه المرة:

- أنا... أنا أول مرة... يقول أحد لي مثل هذه الكلمات... وأول مرة أسمح لأحد أن... يغالزني بمثل هذا الكلام... أنا... لا أعرف... ماذا أقول لك... أنت... لك...

- فيقاطعها حاتم قائلاً: لا أريد أن أسمع منك شيئاً مهما كان تعليق أو رد أو عتاب أنا... آسف إذا كنت ضايقتك ولكن... أنا قلت ما يثن به قلبي منذ أن رآك أنا لا أعلم كيف قلته... ولكنني بالفعل أشعر بنارٍ تتأجج في قلبي... نارٌ لا يُطفئها شيء... نارٌ تجتاح كل كياني كعاصفةٍ في الصحراء... اقتلعت قلبي من أعماقٍ روحي... نارٌ أزهقت جمودٍ وعبثٍ... فأنتِ من ردتِ نفسي

إليّ... وأنا بالفعل لم أقل يوماً ما مثل هذه الكلمات لفتاةٍ قبلك... وكلما رأيتُ مثل هذه الكلمات تقال في الأفلام والممثلين يرددونها لبعضهم، كنتُ أضحكُ دومًا عليهم، لم أكن أتخيل أنه سيأتي يوماً ما وأقول مثل ما يقولون ولكن الفرق بيني وبينهم أنك أنت حقيقتي وخيالي... أنا اليوم فقط فهمت وأحسست لأن في هذا الوقت ليس اللسان هو من يتحدث ولكن... القلب هو الذي يحترق شوقاً بكل كلمةٍ ينبضُ بها لتصل إلي القلب الذي أحبه وأنا اليوم قلبي هو الذي يحترق بدقاته... هو الذي يتغنى باسمك في كل نبضةٍ ينبضُ بها وبالرغم من ذلك لم يستطع قول كل شيء لأن هناك مشاعر... لا تُعبر عنها الكلمات...

فتقاطعه ياسمين بخجل ورقة تنحني لها الورود من شفتيها وعذوبتها التي تخلبُ الألباب وتذيب القلوب كما تذيب الشمس الجليد:
- يكفي هذا يا حاتم أرجوك أنا... لا أعلم... أعصابي... أنا... أريد أن أتصل بصديقتي... بعد إذناك سأتصل بهن.

فيصمت حاتم هذه المرة مبتسماً وقلبه يحمل أسمى معاني الحب والإعجاب لهذه المخلوقة الرقيقة التي لا تقل في رقتها عن الفراشة زاهية الألوان عندما تحلق بين الأشجار من غصنٍ لغصن، وفي الوقت الذي لا يستطيع إبعاد عينه عنها تحاول هي الاتصال بصديقاتها الثلاثة فلا تجيب عليها إحداهن فواحدة هاتفتها مغلق والأخرى لا تجيب على المكالمة والثالثة ترفض المكالمة، فتتنظر لحاتم بخجل ولا تستطيع التحدث له فيشعر حاتم بأنها تخبئ بداخلها شيئاً ما فيبدأ هو بالحديث ليرحمها من قفص الخجل الساكنة بداخله قائلاً:

- ماذا بك يا ياسمين؟

- فترد ياسمين بياس: لم تجبني إحداهن.

فيبتسم حاتم في مكر ويشعر بأنها الآن له وحده ولا يستطيع أحد انتزاعها منه وكان الزمان أصبح ملكه وأعطاه الفرصة لكي يُعبر لها عن المزيد من مشاعره فيسألها:

- وهل تعتقدين أنهم سوف يأتين اليوم؟

- ياسمين: هذا شيء غريب إنها أول مرة يتأخرن عن مواعدهن معي وغير ذلك لا يجيبن على الهاتف أيضًا.

- حاتم: وما رأيك؟ ماذا تودين أن تفعلي؟

- ثم ينظر إلى ساعته مندهشًا: أمعقول هذا... الساعة الحادية عشر.

- ياسمين: حقًا، هل أنت جاد؟ نحن تحدثنا ساعتين وبالرغم من ذلك لم تأتِ إحداهن بعد.

- حاتم: أعتقد أن هناك شيء ما حدث.

- ياسمين: شيء ما حدث لو احدة... لاثنين منهن وليس لثلاثتهن.

- حاتم: محتمل... الله أعلم.

- ياسمين: وما رأيك في هذا؟

- حاتم مبتسمًا: أنا رأيي، لا أفضل أن تبقي وحدك.

- فتتظر له ياسمين بحيرة: ماذا تقصد؟ ماذا أفعل أنا الآن؟

- حاتم: أعتقد أن القدر أرسلني لك طوق نجاة.

- ياسمين: ماذا تقصد؟!

- حاتم: أقصد... أن أقضي معك هذا اليوم ونتعرف على بعض أكثر.

- فتتظر له ياسمين بريبة: ولكن...

- فيقاطعها حاتم قائلاً: لو هذا سيضايقك سأصرف حالاً.

- فبتسم له ياسمين: لم أقصد ذلك، أنت إنسان رقيق ومحترم
وتحمل مشاعر جميلة...

ثم تصمت لأن خجلها منعها بالتفوه أكثر من ذلك، فيشعر حاتم
بإعجابها به وأنها لا تبدي أي رفض في البقاء معه، فيعرض عليها أن يذهب
سويًا إلى مكان خارج النادي أو أن يستقلا يختًا في النيل يتناولان به وجبة
الغداء، ويقضيا وقتًا جميلًا وسط النسيم العليل فتختار ياسمين الاختيار
الثاني، لأنها كانت تعشق النيل حيث إنها حينما كانت تشعر بأي هموم
تذهب إلى النيل وتجلس أمامه بالساعات، ثم يختلفان كيف يتقلان من
مكانهما بسيارتها أم بسيارته أم بالاثنين معًا، إلى أن يفرض حاتم رأيه عليها
بأن يستقلا سيارته هو، فتخضع ياسمين في نهاية الأمر إلى رغبته بعد رفته في
الحديث معها وطريقة إقناعه لها بأنه شيء طبيعي، وبعد أن استقل الاثنان معًا
سيارة حاتم وجدت ياسمين صورة تمثال غريب بداخل السيارة:

- أسمح لي بسؤال؟

- حاتم: بالتأكيد تفضلي.

- ياسمين: لمن تكون هذه الصورة؟

- حاتم مبتسمًا: هذه صورة تمثال يوليوس قيصر.

- فتندش ياسمين لغرابة الموقف: ولماذا؟!

- حاتم: ماذا تقصدين؟!

- ياسمين: لم أفهم بعد لماذا صورة يوليوس قيصر؟ لماذا لم تكن
على سبيل المثال أحد من المشاهير المعاصرين؟ مثل عمرو دياب، محمد
فؤاد أو عبد الباسط حمودة.

- فيتسم حاتم: عبد الباسط حمودة!!!... هل تمازحيني؟

- ياسمين: حقاً أنا لا أمزح.

- حاتم: وما الغريب في هذا، شخصية تاريخية قرأت عنها وأعجبتني فأردتُ أن أعرف عنها معلومات أكثر وأثارت فضولي لذلك اشتريتُ له صورة.

- ياسمين: غريب!!

- حاتم: أعتقد أنه لا شيء غريب سواك... ما المشكلة في هذا؟

- ياسمين: أعتقد أنك طيب فمن الممكن أن تقرأ في الطب في الصيدلة وليس في التاريخ.

- حاتم: الموضوع ليس له علاقة بالتاريخ.

- ياسمين: ماذا إذًا؟

- حاتم: أقصد... إن الشخصيات العظيمة التي نسمع عنها والتي لم نسمع عنها، لماذا لا نتعلم منها؟ ونقرأ عنها محتمل أن نستفيد منها شيئاً لم نعد نراه الآن في حياتنا، ولم أقصد بحديثي هذا الشخصيات القديمة التاريخية فقط ولكن أيضاً الشخصيات الحديثة المعاصرة مثل الملك فاروق والسادات ونابليون وغيرهم كثير من العظماء.

- ياسمين: أممممم... كلام جميل... هل ممكن أن تخبرني ماذا

استفدت أنت من هذه الشخصية؟

ثم تشير إلى صورة يوليوس قيصر.

- حاتم: أعتقد أنني استفدت الكثير منه ولكن هناك أهم ثلاثة أشياء.

- ياسمين تشير بإصبعها الإبهام قائلة: ما هو أول شيء؟

- حاتم: عدم الثقة في أي كائن حي على وجه الأرض.

- ياسمين: ماذا تقول؟... ولماذا؟!

- حاتم: لشيء بسيط هو أن يوليوس قيصر كان على علاقة بأنثى من إناث كثيرات كان على علاقة بهن أيضًا، ولكن كانت هذه الأنثى حامل فكان يعتقد وليس مُتأكد أن هذا الطفل هو ابنه.

- ياسمين: وماذا حدث بعد يا سيدي الدوق؟

- فييتسم حاتم: قام بتربيته وأحبه حبًا جمًّا لدرجة أنه أوقات كثيرة كان يشعر أنه ابنه بالفعل... وأصبح هذا الطفل فيما بعد فارس عظيم له شأنه في الإمبراطورية الرومانية ولكن في النهاية قتل القيصر.

- ياسمين: كيف حدث ذلك؟

- حاتم: هل تذكرين المقولة الشهيرة التي نقولها وهي: (حتى أنت يا بروتوس).

- ياسمين: بالطبع أذكرها.

- حاتم: هذه المقولة يا سيدي الجميلة أصبحت مشهورة... لأنها بعد عودة يوليوس قيصر من مصر وبعد أن أنجبت كليوبترا ولدًا منه بالفعل هذه المرة وأطلقوا عليه اسم قيصرون، عاد إلى روما ليعلن الخبر وفي نفس الوقت لينصب كليوبترا ملكة حاكمة فعليًّا على مصر، فكان هناك مجلس اسمه مجلس الشيوخ يعتبر تقريبًا مثل مجلس الشعب لدينا ولكن مجلس الشيوخ هذا سلطته أقوى وأكبر، وخشى من العظمة والشعبية التي وصل لها يوليوس قيصر وأنه لن يقدر أحد بعد ذلك أن يقف أمامه، فكان القرار بالإجماع أن يقتلوه وبالفعل اتفقوا على أنهم سيعقدون اجتماعًا معه، وبعد أن دخل وأقفل باب القاعة أخرج كل واحد من أعضاء المجلس خنجره وطعنوه طعنةً وكان معهم (بروتوس)، ولذلك نطق هذه الجملة وتوفي بعدها على الفور بالرغم أنه يقال والله أعلم، أنه رغم كل الطعنات التي سبق وتلقاها من كل أعضاء مجلس الشيوخ لم تؤثر عليه كما أثرت به طعنة (بروتوس) فقد

كانت بمثابة طعنة في القلب، لأنه بعد أن رأى دماؤه تلتخ أيديهم ذهب إلى (بروتوس) اعتقادًا منه أنه هو منقذه ولكن... شعر بالحزن يجتاح نفسه وأن الذي أعتقد أنه ابنه يتأمر عليه.

- ياسمين: إنى حقًا أتألم لأجله... وما هو الشيء الثاني؟

- حاتم: أن الإنسان مهما عاش سواء كان عمر قليل أو كثير لا بد لا بد أن يترك بصمة على الأقل تجعل من حوله يتذكرونه بها دائمًا.

- ياسمين: ماذا تقصد؟

- حاتم: مثال بسيط وباختصار إن يوليوس قيصر أول من أنشأ مكتبة عامة في روما كلها، وغير ذلك أشياء أخرى كثيرة وكبيرة ومهمة مثل تغيير السنة الميلادية في روما بدلًا ما كانت تبدأ من شهر مارس وكانت عشرة أشهر فقط جعلها تبدأ من شهر يناير وأصبحت اثنا عشر شهرًا وهذا بالطبع بعد مناقشات ومجادلات كثيرة حدثت جعلته يتصرف هكذا.

- ياسمين: اممم شيء عظيم... وما هو الشيء الثالث؟

- حاتم ضاحكًا: لا الشيء الثالث سر لن أقوله لك.

- ياسمين تنظر له نظرة غضب مازحة: أنت تمزح... إنه شيء لا يُهمني أن أعرفه ولا أريد أن أعرفه.

- حاتم مبتسمًا: ليس هناك مشكلة سوف أقوله لك.

- ياسمين: لا أريد أن أعرف من قال لك أنني أريد معرفة ذلك.

- حاتم ضاحكًا: كل هذا ولا تريد أن تعرفي.

- ياسمين: ليست لطيفة.

- حاتم: اسمعي يا سيدتي الجميلة الشيء الثالث أنه كان أول قائد

يستخدم أسلوب الشفرة في الحروب لكي لا يكتشف أعداؤه أخباره إذا وقعت رسائله في أيديهم.

- ياسمين: شكراً.

- حاتم: أما زلتِ غاضبة... حقك عليّ... لقد وصلنا.

وبعد أن قام حاتم بوضع سيارته في المكان الذي به اليخت في المعادي، يصطحب ياسمين عابراً جسراً طويلاً ولكن كان به شيئاً غريباً أثار دهشتها أنه كان مزين بورود الياسمين التي تعشقها واليخت أيضاً كان على مقدمته زهور الياسمين، ولكن في شكل تاج ملكي جميل يشبه تاج الملكة فريدة الذي أهدها لها الملك فاروق يوم زفافهما، وعندما صعدوا إلى اليخت كانت الساعة تدق الثانية عشر والنصف فيذهبان إلى مقدمة اليخت ليستمتعا برؤية النيل الخلاب، ثم يعطي حاتم إشارة التحرك لقبطان اليخت ليصحبهما في جولة على ضفاف النيل الذي شهد آلاف الحضارات وأعظم قصص الحب، فتتظر ياسمين إلى حاتم في خجل مبتسمة فرحة لعشقتها للنيل والاستمتاع بمظهره، ثم يأتي النادل فيطلب منه حاتم أن يحضر لهما وجبتين (إسكالوب بانيه) وبطاطس محمرة وسلطات فتبتسم ياسمين له قائلة:

- لماذا اخترت إسكالوب بانيه بدون أن تسألني؟

- فيرتبك حاتم لحظياً ثم يجيبها: وأنتِ تقرأين قائمة الطعام الخاصة بالنادي وجدتكِ توقفتِ كثيراً عند الصفحة التي بها (إسكالوب بانيه) أكثر من أي صفحة أخرى فتوقعت من عيونك أنها أكلتِ المفضلة.

- ياسمين مبتسمة: هذا أمر من اثنين يا أنا مكشوفة لهذه الدرجة يا أنتِ تعرف في لغة العيون لدرجة كبيرة.

- حاتم: أنا مهتما عرفت عمري ما هاعرف عيون أحلى من عيونك ولا أرق من عيونك.

فتخجل ياسمين كعادتها ثم تنظر إلى النيل مرة أخرى، فيقطع عليهما

حياءهما النادل مقدماً لهم سرفيس الغداء وعندما يبدأ في تناول غدائهما تستمتع ياسمين بمذاق الطعام وتثني كثيراً عليه وعلى بقية الأصناف، فيخبرها حاتم أنه من صنع أحد أشهر الطباخين في مصر فتبتسم له ياسمين على مشاعره نحوها التي جعلته يفعل لها الأشياء التي تحبها كثيراً وتستمتع بفعلها، وبعد أن انتهيا من تناول الطعام وأبحر بهما اليخت مسافات وهما يتحدثان، حتى أوشكت الشمس على الغروب بأشعتها التي تبدو كسلاسل ذهبية تعكسها صفحات النيل فتظهر بريقاً لامعاً وكأنها آلاف مؤلفة من العملات الذهبية، ثم تحاول ياسمين خلق مجال للحديث بينهما لتعرف ما يدور بخلدك أكثر فأكثر قائلة:

- لماذا اخترت زهور الياسمين؟

- حاتم يتحدث بقلبه وليس بلسانه: لأنها مثلك ياسمين... رقيقة... جميلة... نسيمها هادئ... تسرق القلب بلونها الجذاب.

فتنظر بعيد عنه ياسمين من خجلها قائلة:

- ولماذا اخترت النيل؟

- حاتم: لأنه مثل قلبك... صافي... دائماً يُظهر ما بداخله... وفاتح
حضنه لمن يعشقه.

فتخجل ياسمين ولكن هذه المرة تحاول النظر إلى عينيه مباشرةً لتنفذ إلى أعماق قلبه لمعرفة ما بداخله، فتفاجأ لردة فعل حاتم بعد أن أمسك يديها بكلتا يديه ناظرًا لها ثم تفاجأ به مرة أخرى يلقي على مسامعها كلمات عذبة بشعر هادئ ورقيق:

يوماً ما لم أكن أدري وجهتي

وسرتُ وحيداً كأنني في صحراءٍ قاحلة

ووهن قلبي وتباطأت خطوتي
وخرت قواي ونزفت بأهاتٍ خافتة
وترنح جسدي وتدللت يدي
والقلب يتمنى دواكٍ بعينٍ دامعة
حتى رأيتك وكنت قبلي
وبدأت الروح حينها تستعيد العافية
بعد أن رأيت محراب سعادتني
بعد أن كاد يفتك بي اليأس كالهبة
فغدوتُ أرسلُ ترانيم حبي
وأسرع خطواني بعيونٍ متيقظة
حتى لا أحيد عنك يا قسمتي
فأنت نهر الحياة والجنة المشرمة
بكٍ أحياء ومنكٍ أرتوي
وبقلبك عرشي ومملكتي الخالدة

يدق جرس شقة المقدم صلاح رشوان فيذهب متجهًا من غرفته إلى باب شقته عبر ممر طويل، ثم يفتح الباب ليجد أمامه الرائد حسين العزازي فيعاتبه قائلاً:

- خيرًا يا مدير أين أنت؟ لقد أقلقنتني عليك.

- صلاح: لا عليك... ولكني لا أريد التحدث لأحد.
- حسين العزاي: ولماذا؟ أنت لست أول من يتم إيقافه عن العمل؟
فينظر له صلاح بنظرة عتاب فيعذر له حسين قائلاً:
- أنا آسف يا أبو صلاح لم أقصد ذلك، ولكن هون على نفسك وكل شيء سيصبح على ما يرام.
- صلاح: لم أعد أفكر في ذلك.
- حسين: لا تحزن كل شيء له حل بإذن الله.
- صلاح: ماذا تقصد؟
- حسين: أنصت إليّ يا صديقي... منذ وقت استلامي للمستند الخاص بالعملية وأنا لم يهدأ عقلي حتى أفهم كل شيء به، ولقد أثار فضولي نقطة ما لم تتبه أنت إليها، وهي ما أوضحت لي الكثير من هذه القضية، وعرفت لماذا لم تستطع أنت الوصول إلى البضاعة؟
- ينظر له صلاح بعين نصف مفتوحة مندهشاً لما يسمعه قائلاً:
- وما هذه النقطة التي تتحدث عنها؟ أرجو أن توضح لي أكثر.
- حسين: في الوقت الذي قُمت أنت فيه بالبحث في الميناء والسفن بأكملها كانت هناك سفينة من هذه السفن آتية من المانيا وبها ثلاثمائة وخمسون حاوية، هذه السفينة دخلت إلى الميناء بقدرة القادر بها ثلاثمائة وتسع وأربعون حاوية فقط، وهناك سفينة أخرى من المفترض أن تأتي من المغرب من مدينة طنجة بها مائة وست وأربعون حاوية فقط ولكنها أيضاً جاءت بها مائة وسبع وأربعون حاوية، وهذا يعني أنه يوجد حاوية زائدة في سفينة وحاوية ناقصة في سفينة أخرى، وعندما قمت بعمل ربط بين الاثنتين وجدت أن السفينة القادمة من المانيا لا بد وأن تقف في مدينة طنجة في

المغرب لأسباب خاصة بالسفينة فاستتجت من ذلك أن السفينتين حدث بينهما تبادل، وعندما بحثت في الملفات الخاصة بهم عرفت أن الحاوية التي نقصت من سفينة المانيا هي التي زادت بسفينة المغرب.

- صلاح: وإذا كان هذا الكلام صحيحًا فإنه لا يعني شيئًا أيضًا، لأنني قمت بالبحث في جميع السفن.

- حسين مبتسمًا: لا لا... يا صديقي، من هنا حدثت الفجوة.

- صلاح: ماذا تقصد؟

- حسين: سأوضح لك... السفينة التي جاءت من ألمانيا جاءت في آخر اليوم قبل انتهاء البحث بقليل وأقصد يوم الخامس عشر من الشهر الحالي بالطبع هذه السفينة تم البحث داخلها، لكن السفينة التي جاءت من المغرب جاءت في اليوم التالي للبحث يا صديقي والذي كان بتاريخ السادس عشر... يعني بعد انتهاء البحث بيوم.

- فتجحظ عينا صلاح بعد لحظة صمت وتفكير: هل تقصد أنه كان هناك من يعلم بخطواتنا؟

- حسين: بالضبط هذا ما قصدته، وللأسف كانت الخطة موضوعة على أساس البحث في عدد محدد من السفن نتيجة للمعلومات التي وردت إلينا فعندما جاءت سفينة ألمانيا تم حجزها بها مكان للحاوية وكان هناك أيضًا في نفس الوقت مكان آخر تم حجزه لها في السفينة المغربية في اليوم الذي يلي مدة البحث.

- صلاح: أتقصد أنه كان يوجد خائن بيننا.

- حسين: بالضبط هذا ما قصدته، وبسببه فشلت العملية.

- صلاح: هل لديك شك من يكون؟

- حسين: ليس هذا مهمًا الآن، ولكن الأهم من ذلك هل تعلم من هو المالك لهذه الحاوية؟

- فيحرك صلاح رأسه نفيًا: بالتأكيد لا أعلم... لمن تكون؟

- حسين: رجل من كبار رجال الدولة... يس المهدي.

فيصمت صلاح لحظيًا مسترجعًا بذاكرته أسماء رجال الأعمال التي كانت مسجلة أسمائهم بالكشوفات معه ثم ينظر إلى صلاح قائلاً:

- ولكن اسم يس المهدي لم يكن بالكشوفات التي معي، كيف يكون هو مالك هذه الحاوية؟... لا لا لا، بالتأكيد هناك شيء خطأ، لأنه رجل ذو سمعة نظيفة واسمه مثل الألماس وهو رجل عصامي بدأ كل شيء في عمله بنفسه، مستحيل أن يُغامر باسمه ومركزه وسمعته.

- حسين مبتسمًا: ولهذا تبدأ من هنا اللعبة التي طالما لعبها وربحها من سنين، ولم نستطع الوصول إليه وهو الرجل الكبير يس المهدي دائمًا كنا نهتدي إلى صغار التجار أما هو فجالس في برج من عاج ولا أحد قادر على الوصول إليه.

- صلاح: ما هذه الألغاز التي تتحدثُ بها؟ أنا لم أعد أفهم شيئًا.

- حسين: أنصت لي... يس المهدي قبل عشر سنوات تقريبًا كان يقوم باستيراد الماكينات الخاصة به وكل معداته باسم شركته، ولكن تقريبًا منذ خمس سنوات من بعد أن تضخمت تجارته وظهر اسمه ضمن أسماء رجال الأعمال الكبار وبدأ نجمه يلمع في السماء قرر أن يتعامل مع شركة استيراد اسمها العالمية ملك رجل يدعى شكري محفوظ، وهذا الرجل كان تاجرًا صغيرًا في السوق يقوم باستيراد لعب الأطفال من الصين وأشياء أخرى تدرج تحت قائمة محلات (اثنين ونصف) التي تذهب لها دائمًا البنات والسيدات، وعندما تضخمت تجارة (اثنين ونصف) أصبحت البنات

تقضي كل حاجتها منها، وبالتالي بدأ هو الآخر حجم تجارته تزيد وثروته تزيد وقام بضخ بضاعة كثيرة لدرجة أنه افتتح مجموعة محلات لحسابه هو وأصبح ينافس في السوق ويستورد لحسابه في نفس الوقت، وعندما حاول تجار آخرون تقليده قام بتدميرهم قضى عليهم وأصبح يشتري البضاعة من الصين بسعر أعلى من المعروض وبكميات أكبر بكثير ويخزنها في مخازنه إلى أن يتلطف السوق على هذه البضاعة ومرة واحدة يقوم بضخ هذه البضاعة مرة أخرى وبالسعر الذي يريده، لدرجة أن كثيرًا من هذه المحلات أصبح اسمها فقط (اثنين ونصف) وبعض المحلات الأخرى كانت تجعل بعض الأشياء بسعر غالٍ وأشياء أخرى بسعر رخيص حتى لا تخسر عملاءها وتقوم بتحميل تكاليف بند على بند في نفس الوقت... ومن هذا الوقت ولم يستطع أحد أن يقف أمامه في هذا المجال إلى أن بدأ يتخلى عن هذا الموضوع ويعمل في التجارة الكبيرة والمعدات الثقيلة، وأول ما بدأت تدر عليه المكاسب قام ببيع محلات (اثنين ونصف) التي كان يمتلكها وترك هذا المجال نهائيًا، وبدأ بعد ذلك بالتعرف على يس المهدي وبالفعل عقد معه بعض الصفقات ومن هنا كانت البداية، ولذلك أنا بدأت أستنتج أن شكري محفوظ يقوم باستيراد المعدات باسمه ثم يقوم بتخزين البضاعة بداخلها ويس المهدي خارج الإطار بحيث لا تكون له علاقة بأي شيء ويظل اسمه وسمعته نظيفة، وفي نفس الوقت لو شكري محفوظ أكتشف أمره يستطيع يس المهدي بسُلطَاتِهِ ونُفُوذِهِ أن يُخْرِجَهُ من هذا المأزق، ولكن للأسف ليس لدي أي دليل مادي على هذا الكلام غير دليل واحد فقط وليس قوياً، وهو أن التوقيت الذي تدخل فيه المخدرات البلد هو نفس التوقيت الذي يقوم فيه يس المهدي بتوزيع المعدات الخاصة به.

- صلاح بنظرة اندهاش: كيف استطعت أن تصل إلى كل هذه المعلومات في وقتٍ قصير كهذا؟

- حسين مبتسمًا: بسبب هذه الثغرة التي حدثت في نقص وزيادة الحاويات في كل سفينة وبدونها ما كنت سأصل لشيء.

- صلاح: أنت بالفعل مُحق ولكن... للأسف استنتاجك الأخير هذا ليس له أي دليل مادي قوي يُؤيده حتى تزامن التوقيت الخاص بدخول البضاعة والمعدات لا يصلح لأن يكون دليلًا نستند عليه.

- حسين: للأسف هذا صحيح ولكن... وأنا أتصفح اليوم مستندات يس المهدي وجدت هذا.

ثم يعطي حسين لصلاح بعض الأوراق فيتصفحها هذا الأخير ثم ينظر إليه قائلاً:

- لم أفهم ماذا تقصد؟ وما شأن هذا بموضوعنا؟

- حسين مبتسمًا: هذه هي الثغرة الثانية التي بها سوف نكشف باقي أوراق يس المهدي وشكري محفوظ ونضرب عصفورين بحجر واحد ونتخلص من الاثنين معًا.

- صلاح: لم أفهمك بعد؟

- حسين: لقد أصبحت متخلفًا جدًا بعد أن تركت العمل.

- صلاح: أخبرني يا حسين ليس هذا وقت الدعابة يا صديقي.

- حسين: يا سيدي الفاضل هذا الإعلان سوف يتم نشره في جريدة الأهرام الجمعة القادمة، وشركة يس المهدي هي التي ستقوم بنشره وهي تحتاج إلى مهندسين ميكانيكا خبرة في المصاعد وشركته أجرت اليوم اتصالاً بالجريدة وأرسلت لها النّص الخاص بالإعلان، فماذا نحن فاعلون؟... سنرسل لهم بالفعل مهندس مصاعد ولكن من الضباط المتخصصين الذين يُقدمون في كلية الشرطة بعد إنهاء كلية الهندسة ويكون من الدفعات القديمة وله خبرة كبيرة بحيث إنهم لا يستطيعون رفضه بأي حال من الأحوال وفي هذا الوقت يكون لنا عين في قلب شركة يس المهدي.

- صلاح باستهزاء: الله أكبر يا سيادة الرائد... إنك حقًا أبهرتني... هل صور لك خيالك المريض بأن يس المهدي بعد كل هذا الحرص سوف يُخلط بين المخدرات والماكينات ويكشف نفسه أمام مهندس من الذين يعملون لديه... ولو افترضنا أنك على حق... من أين لك اليقين بأن هذا المهندس الذي سوف ترسله سيروق ليس المهدي.

- حسين: ومن قال لك إنه سوف يخلط بين الاثنين؟

- صلاح: وبماذا تفكر حضرتك؟!

- حسين: أعتقد أن المهندسين الذين يقومون باستلام الماكينات ومطابقة مواصفاتها بالورق الذي لديهم يكونوا متواجدين أيضًا في توقيت التخزين، والبضاعة في هذا الوقت ستكون بداخل أجزاء الماكينات وبالطبع لن يظهر أحد من الأفراد الذين يقومون بإحلال الماكينات وإخراج البضاعة منها إلا بعد أن يغادر الجميع المكان، في هذا التوقيت بالفعل كل المهندسين سيغادرون المكان ما عدا واحدًا فقط هو الرجل الخاص بنا سيبحث عن أي ثغرة في المخزن ويختبأ بها إلى أن يحين موعد خروج البضاعة.

فيصمت صلاح لفترة مفكرًا في كلام حسين ثم يقول:

- أنا لا أعرض على هذا التفكير ولكنه يحتاج إلى خطة قوية ومحكمة لإمكانية التنفيذ والنجاح.

- حسين: بالطبع أنت محق فيما تقول، أنا فقط أتناقش معك فيما توصلت إليه.

ثم یرن هاتف المنزل الخاص بصلاح فيرفع السماعة مجيبًا، ثم يفاجأ بحديث على الجانب الآخر يصعق له مما يجعل الدماء تهرب من وجهه ويتحول إلى اللون الأصفر الشاحب كشحوب الموتى، مما يجعل حسين ينتفض من مكانه لما بدى على صديقه صلاح.

الفصل السابع

يعود حاتم إلى فيلته بعد أن قام بتوصيل ياسمين إلى منزلها في نهاية يوم ميلاد العشق في قلبه؛ يوماً لن ينساه مهما حيا، فقد كان يأخذ الأرض وسماءها بين أحضانه، كان يقف أمام شمس حبه وجهاً لوجه... فتلفحه نيرانها التي تأججت في صدره ولم تنطفئ ولا يريد أن يطفأها، بل يريد أن تبقى بداخله تزيد من شوقه وعشقه لأرق مخلوقة رأتها عيناه، وعندما كان يفتح الباب الداخلي للفيلا كان يدندن أغنية الهضبة (تملي معاك) فوعدت عيناه على شمس أخته فيبتسم قائلاً:

- ما هذا الجمال؟... سألت اليوم نفسي لماذا يضيء لي لي؟ فأجابني لوجود شمس الحياة بجاني.

- شمس مبتسمة: الله الله... لقد أصبحت شاعرًا أيضًا ولست طبيبًا فقط.

- حاتم بمنتهى السعادة: منذ اليوم فقط وحياتك يا شمس... آه لو رأيتها لو تحدثت إليها لو اقتربت من عينها كن...

- فتقاطعه شمس: اهدأ يا حبيبي ماذا حدث لك؟ أوقعت في الفخ؟
- حاتم: وقعت... قولني غرقت... لا أعلم يا شمس؛ شيء ليس له معنى.

- شمس: سبحان مغير الأحوال... أنت لم تفعل ذلك في أعوام المراهقة.

- حاتم: لديك الحق في كل ما تقولين... لكن صدقيني لو رأيته
هتعدرنيني هتصدقيني محتمل أن تحببها مثلي كما أحببتها.

- شمس: لا حول ولا قوة إلا بالله... من تكون؟

- حاتم: ملاك يا شمس تسرق قلبك من بعيد، ابتسامتها مثل نسيم
الربيع بلهيب الصيف تروي القلب الحائر، وشفاتها زي شيطان البحر وعيناها
آآه... عيناها مثل الفيروز تسحر وتسرق كل مشاعرك.

- شمس تنظر له بتعجب: أعتقد أنك قابلت جنية... فأصابعك مس
من الجنون! ما اسمها؟

- حاتم: ياسمين.

- شمس مستفهمه: اسمها ياسمين، أم ما زلت تتغزل بها؟

- حاتم: اسمها ياسمين، وهى ياسمين، وعطرها ياسمين، وجمالها
هو اليااسمين، ورقتها رقة اليااسمين وهو بيرفرف في الهوا.

- شمس: بيرفرف... هو اليااسمين بيرفرف... تصدق ما فيه رفر
في البيت دا غيرك... من تكون هذه الفتاة؟

ثم يقص عليها حاتم كل ما حدث بينهما منذ أول لحظة رآها فيها
حتى التقى بها في النادي، وما حدث أثناء اليوم واستجابتها له وإحساسه بها
وإحساسها نحوه ثم يأخذ رأيها في هذا الموضوع قائلًا:

- قولي لي ما رأيك؟

- شمس: رأيي... منذ اللحظة الأولى بدأ بينكم الحديث واسترسلت
معك فهذا يعنى أنك جذبتها إليك، ولكن على الجانب الآخر إنها لم تتعامل
مع أحد من قبل وأنها قضت اليوم بأكمله معك وهي لا تعرف عنك شيئًا
أو على الأقل كما تدعي هي، لأنها بالتأكيد سألت والدها عنك وحاولت

جمع أي معلومات عنك فبال تأكيد كانت منتظرة الخطوة القادمة منك أنت، لأنها كما أوضحت لي من قبل لم تتعامل مع أي شاب، وإذا افترضنا أنها تعاملت فلا بد أن تترك هذه الخطوة لك أيضًا لأنها واثقة أن هناك مقابلة أخرى سوف تجمع بينكما وبالأخص لأنك تشارك والدها في العمل، وفي النهاية أنا أقصد أنه محتمل أن يكون بقلبها شيء لك والدليل على ذلك عندما لم تأتِ صديقاتها وأنت سألتها أن تبقى معك اليوم فلم تبد أي اعتراض.

- حاتم: أعتقدين أنها تحبني؟

- شمس: هناك احتمال يكون هذا هو الحب من النظرة الأولى... وهناك احتمال آخر يكون إلى الآن مرحلة إعجاب قوية بعض الشيء... لانستطيع أن نجزم نهائيًا.

- حاتم: وما رأيك في أن أذهب إلى والدها وأطلبها منه رسميًا؟

- شمس: ليس الآن بالطبع.

- حاتم: ولماذا؟

- شمس: لم يحن هذا الوقت بعد؟ لا بد أن تتعرف عليها جيدًا وتتأكد من مشاعرك نحوها ومشاعرها نحوك وبعد ذلك اطلبها من والدها.

- حاتم: أنا متأكد جدًا من مشاعري نحوها.

- شمس: شيء رائع أنت متأكد من مشاعرك، أما هي حتى الآن لست متأكدًا من مشاعرها... لا بد وأن تعطيها فرصتها كي تقرر بالضبط.

- حاتم: وماذا أنا فاعل الآن؟

- شمس: لا بد أن تقابلها أكثر من مرة وتحدث معها كثيرًا وفي كل شيء وتقرأ أفكارها... هل هي مثقفة؟ هل ذات شخصية سطحية؟ هل

متطلعة ومتفتحة؟ أم فقط النادي والسيارة والكوافير وبابا وأمواله، لا بد أن تعرفها جيدًا يا حاتم كأنك تُذاكر مادة لديك في الكلية.

- حاتم بانفعال: ما هذا الهراء الذي تقولينه يا شمس؟ وهل يحدث هذا في الحب؟

- شمس: بالطبع يحدث، وهل تريد أن تتزوجها هكذا دون أن تعلم عنها شيئًا، وبعد انتهاء شهر العسل تشتكي وتتذمر منها وتقول لا أطيعُ الحياة معها إنها لا تفهم شيئًا إنها لا تعرف كيف تناقشني... ألسنت أخي؟ وأعلمُ عنك الكثير، فأنت لم تستطع مُصادقة أحد إلى الآن لأن لا أحد تناسبك أفكاره وآراؤه، أما هذه فستصبح زوجتك لا مفر بعد ذلك ويجب أن تتبه جيدًا لهذه الكلمة ستصبح زوجتك.

- حاتم: ولكنها لن توافق على مقابلي مرة أخرى.

- شمس: يا حبيبي ليس من الضروري مقابلتها خارج النادي، ولكن اجلس معها في نفس التوقيت الذي تذهب فيه هناك.

- حاتم: النادي غير متاح أيضًا.

- شمس: ولماذا؟ النادي مكان عام وكأنك صديق لها.

- حاتم: هنا تكمن المشكلة لأنها معروفة في النادي، ولا تريد أن يراها أحد مع شاب لا علاقة لها به.

- شمس: إمممم... وجدتها أيها العاشق الولهان دعني أتعرف عليها وأنا سأجمع بينكما.

- حاتم: هل أنتِ جادة فيما تقولين، أنتِ أجمل أخت في الدنيا.

- شمس: شكرًا شكرًا... وبهذه المناسبة لدي لك مفاجأة أخرى.

- حاتم: خيرًا.

- شمس: أنا... سأقيم معك في الفيلاaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaaa.
- حاتم بفرحة كبيرة كالأطفال: ياااااااه أخيرًا... يا ما تمنيت ذلك.
ثم يأخذها بين أحضانه ويربط على كتفيها ويقبلها من خدها قائلاً:
- ولماذا لم تأتي من قبل؟
- شمس: لقد أتيت بالفعل.
- حاتم: ولكن ما دهالك؟ لماذا تخليت عن عنادك وأتيت لتقيمي معي؟
- شمس بخفة ظل: اشتقتُ إليك فعلمني أن لا أشتاق.
- حاتم: الله عليك يا عندليب.
- شمس مازحة: ألا تريد أن أقيم معك؟
- حاتم: نعم فهذه إحدى أمنياتي يا حبيبتي، فأنتِ تجلسين على عرش قلبي.
- شمس: لا يا أخي العزيز هذا العرش ليس ملكي وإنما ملك ملكة أخرى.
- ثم يضحك الاثنان معًا من قلبيهما فيسألها حاتم عن عمر قائلاً:
- وما أخبار حبيب قلبك؟
- شمس: يرسل لك التحية والسلام.
- حاتم: أرسلني له سلامي أيضًا... ألم يحزن الوقت لكي أتعرف به؟
- شمس: إنه حقًا يريد أن يتعرف عليك، ويجلس معك وبالأخص لأنك زميل مهنة.
- حاتم: لا يا صغيرتي، أنا دكتور جراحة، ولستُ بائع أدوية وچل وكلام فارغ من هذا القبيل.

- شمس: حقاً... لو لم تكن هذه الأدوية متوافرة يا معالي الطبيب لم كنت استطعت سيادتك معالجة المرضى الخاصة بك.
- حاتم ضاحكاً: معذرةً يا صغيرتي، أنا فقط أمارحك.
- شمس: شكرًا يا أخي العزيز.
- ثم يضحك حاتم قائلاً: اتفقي معه يا حبيبتي على الموعد الذي يناسبكما.

* * *

تعود ياسمين إلى فيلاتها فتجد والدها يتحدث في الهاتف الجوال فتشاور له من بعيد ثم تصعد إلى غرفتها لتغيير ملابسها واستبدالها بملابس النوم، وبعد أن ينهي والدها مكالمته يصعد إلى غرفتها فيجد الباب مفتوحاً وياسمين تدور حول نفسها فيراقبها من بعيد ويستعجب لحالتها، فيقترب من الغرفة دون أن تشعر ثم يقف فجأة أمامها فتلاحظه ياسمين أثناء دورانها حول نفسها فتبتسم في خجل قائلة:

- أبي!!!... متى أنهيت محادثتك الهاتفية؟
- يس مبتسماً: منذ ساعة تقريباً.
- ياسمين: ساعة... كيف ذلك يا أبي؟ أنا قمت بتغيير ملابسني في خمسة دقائق فقط، ثم وجدتك فجأة أمامي.
- يس: حقاً... أنا هنا حضرتك منذ أن بدأتِ تدورين حول نفسك مثل النحلة.

- فتضحك ياسمين: حقاً... أتراقبني؟
- يس: بالطبع لا، ولكنني جئتُ أسألك تناول العشاء معي؟
- ياسمين: أشكرك يا مليك قلبي لقد تناولتُ عشائي.

- يس: تناولتِ عشائك!!!... متى؟ ومع من؟ إنكِ لم تفعلي ذلك منذ وقتٍ بعيدٍ؟

- ياسمين: لا... لا شيء ولكنهُ... تستطيع أن تقول... تغيير للروتين.

- يس: ماذا بك؟ أنك لستِ كعادتك؟ أين كنتِ اليوم؟

- ياسمين: اممم... كنت... كنت في النادي ثم... رفهت عن نفسي بعض الوقت.

- يس: وأين كنتِ ترفهين عن نفسك؟

- ياسمين: حقاً تريد أن تعرف.

- يس: وهل تريدان إخفاء الأمر علي؟

- ياسمين: ماذا تقول يا سن سن؟... ومنذ متى أخفيتُ عليكِ أمراً

ما؟

- يس: شيء رائع... وأنا أسألكِ وأنتِ لم تخبريني إلى الآن...

وحالتكِ ليست على ما يرام اليوم.

- ياسمين: لا شيء هناك ولكني... سعيدة.

- يس: جميل جداً أتمنى أن تكوني دوماً سعيدة، وُسعدُني أكثر أن

تسعديني معكِ.

- ياسمين: حسناً ولكن أجبني أولاً على بعض الأسئلة التي سوف

أطرحها عليكِ.

- يس: حسناً، ولكن لا تحاولي الهروب من سؤالي الأول.

- فتضحك ياسمين: لا تخف لن أهرب وسأقُصُّ عليكِ كل شيء،

ولكن هل أنتِ على علاقة جيدة بـد/ حاتم.

- يس: هل تقصدين حاتم شكري؟!

- ياسمين: نعم.

- يس: وماذا تريد من هذه المرة الثانية التي تتحدثين عنه.

- ياسمين: ياااااه يا سن سن... أكلما سألتك سؤالاً أجبتني عليه

بسؤالٍ آخر؟

- يس: حقاً إنه شيء غريب، إنك لا تعرفينه ولم تلتقي به من قبل غير مرة واحدة فقط وبالرغم من ذلك لا تكفي عن الحديث عنه.

- ياسمين بابتسامة طفولية: أجبني وسوف أُجيبُ عليك.

- يس: نعم يا جميلتي... إنني أعرفه حق المعرفة لأنني مثل والده

تقريباً، إنسان مجتهد وعصامي ويحاول دائماً التعمق في كل شيء صغير أو كبير خاص بمجال عمله.

- ياسمين: ألدیه شخصية رزينة حقاً؟

- يس: يا الله... نعم يا صغيرتي نعم نعم.

- ياسمين بابتسامة من أعماق قلبها: حسناً شكراً جزيلاً يا سن سن

يا حياتي.

- يس: انتظري مكانك، ماذا دهاك؟

ثم ينظر لها نظرة فاحصة فتخجل ياسمين منه ثم توليه ظهرها مبتعدة فيلحق بها قائلاً:

- ياسمين.

فتلفت له ياسمين ببطء وهدوء وتنظر له فيشاور لها بيده قائلاً:

- أقدمي عليّ.

فتشاور ياسمين بإصبعها السبابة على نفسها بدلع طفولي قائلة:...

أنا.

- يس: نعم يا صغيرتي أنتِ... تقدمي.
فتقرب منه ياسمين في خطوات متقطعة كطفلة أخطأت وخائفة من عقاب والدها وعندما وقفت أمامه مباشرة وجهاً لوجه سألهما يس:
- كم مرة تقابلتما؟
فتحرك ياسمين رأسها نفيًا في حركة طفولية بريئة.
- فيسألها يس ثانية: كم مرة تقابلتما؟ ولن أعيد سؤالك مرةً أخرى.
- فتشاور ياسمين بإصبعها السبابة مرةً أخرى كالأطفال: مرة...
واحدة فقط.

- يس: هل حقًا مرة واحدة... فقط؟
- فتحرك ياسمين رأسها إيجابًا: نعم، بالله مرة واحدة فقط.
- يس: حسنًا... متى؟
- فتنظر له ياسمين لحظات ثم تجيب: اليوم.
- يس: حسنًا... ولماذا لم تخبريني؟
- ياسمين: بالله أنا لم أكن أعلم أنه سيأتي إلي وقد قال...
- فيقاطعها يس قائلاً: ماذا تقصدين بـ(يأتي) إليك؟... أنا لم أفهم شيئًا.

- ياسمين: حسنًا هل تسمح لي بأن أقص عليك كل شيء بمنتهى الصراحة.

- يس: إنني بالطبع أرغب في ذلك... تفضلي... قصي عليّ ما تشائين.
فتقص عليه ياسمين كل ما حدث منذ اللحظة الأولى التي ذهب بها حاتم النادي، حتى وصولهما إلى اليخت الخاص به وتناولهما للغداء والشعر الرقيق الذي ألقاه على مسامعها إلى عودتها للمنزل.

بعد لحظات من الصمت التي مرت بين صلاح وحسين وبعد المكالمة المفاجأة في هذا الوقت من الليل وما أصبح عليه هيئة صلاح من تأثيرها استطاع حسين أن يسأله في شيء من التردد:

- ماذا بك يا صلاح؟ لماذا تبدو متجهماً هكذا؟ من كان المتحدث؟

- صلاح بمتتهى الذهول: إنه العميد رأفت فهمي.

- فيندهش حسين: وما المشكلة في ذلك؟... ماذا قال لك لتذهل

هكذا؟

- صلاح: لقد وجدوا الصول عبد الفتاح قناوى.

- حسين بفرحة تعقبها لحظة اندهاش: شيء رائع... وما الغريب في

ذلك!؟

- صلاح: الغريب... أنهم وجدوا... جثته مُلقاة في الشارع.

فتحفظ عين حسين لما سمع وتنطبق شفتاه ببعضهما دون أن يتفوه بكلمة، ويقف الاثنان معاً يتحدثان في بعضهما ولا يعلم كل منهما بماذا ينطق أو يتكلم، وتمر لحظات صمت ثقيلة كدهرٍ كامل إلى أن يفيق صلاح من شروده ويدخل غرفته ليرتدي ملابسه، ثم يذهبان إلى المكان المتواجد به جثة الصول ولم ينطقا بكلمة مع بعضهما أثناء تواجدهما في السيارة معاً، وكان صلاح يقود بأقصى سرعة دون أن يشعر ودون أن يتفوه أيضاً حسين معقّباً على هذه السرعة الجنونية التي هو يخشاها دائماً، وعندما وصلا إلى مكان الحادث حيث كان يقف الكثير من العساكر مصطفين حول الجثة لحراستها أثناء فحص الطبيب لها، يقترب صلاح وحسين من الجثة فلم يستطع حسين تحمل رؤيتها بهذا المشهد البشع وتراجع مسرعاً، حيث كان وجه الجثة مشوهاً بطريقة بشعة وإحدى عينيه بها عاثة ومكان شعر رأسه محروقاً وجسده به طعنات كثيرة، وعندما رأى صلاح هذا المشهد انحصرت

بعينه دمة ألهمت قلبه على هذا الشاب الذي توفى نتيجة الأمانة والإخلاص في أداء واجبه من أجل تراب بلده وحماية شعبها، في حين أنه لن يعلم أحد عن بطولته التي أنهت حياته بهذا المنظر الرهيب الذي تختلج له القلوب وتتشعر له الأبدان، وتزف العيون من الدموع ما يملأ مجاري الأنهار وحينما يلتفت صلاح متراجعاً للخلف يجد أمامه العميد رأفت فهمي ينظر له شزراً معاتباً محاسباً، يجد في عينيه محكمة كاملة قد اصطفت بقاضيها ومستشاريها ليحكموا عليه بالتخاذه والإهمال في أداء واجبه الذي كانت نهايته حياة رجل من أشجع الرجال وأخلصهم في الشرطة المصرية، وبعد أن تم نقل الجثة من مكانها إلى المشرحة وعودة الضباط إلى مكاتبهم لمناقشة ما حدث هذه الليلة، كان من الطبيعي أن يقوم صلاح بتوصيل حسين إلى مكتبه ثم يعود هو إلى منزله لأنه موقوف عن العمل، وبعد أن يغادر حسين سيارة صلاح وقبل أن يرحل هذا الأخير إلى منزله، يسمع صوت العميد رأفت فهمي ينادي عليه من الخلف فيتك صلح سيارته ليلبي نداء قائده قائلاً:

- تحت أمر سيادتك يا افندم.

- العميد رأفت: أرأيت نهاية الإهمال يا سيادة المقدم ماذا كانت نتيجتها؟... استشهد فيها أسد من أسودنا وكلنا مكتوفي الأيدي لا نستطيع فعل شيء له.

فنظر له صلاح برهة ثم تركه عائداً إلى سيارته، فتعجب رأفت لرد فعله وكان يراقب الموقف من بعيد حسين وبعض العساكر فنادى مرة أخرى العميد رأفت على صلاح:

- أين أنت ذاهب يا حضرة الضابط، ألم أتحدث إليك؟

- صلاح بمتهى الهدوء: ليس بيننا حديث سيادتك؟ أنا موقوف عن العمل إلى أن تتم محاكمتي، وإلى أن يتم ذلك فلا داعي للتحدث في القضية وبالأخص ونحن الآن في قارة الطريق وليس في المكتب.

- العميد رأفت بانفعال زائد: كيف تجرؤ على التحدث معي بهذا الأسلوب؟ ألا تعلم من أكون؟
- ثم يتقدم من صلاح ويحاول أن يُجذبه من ذراعه فيبعده هذا الأخير عنه وعندما يرى حسين هذا المشهد يسرع للفصل بينهما قائلاً:
- يا افندم لا يصح ذلك نحن في قارعة الطريق حضرتك، من الأفضل أن نتحدث في المكتب.
- العميد رأفت: أنا سأعطيك درسًا لن تنساه طيلة حياتك لتعرف من أكون.
- حسين: انصرف الآن يا صلاح.
- فينظر له صلاح ببرود فيعيد حديثه ثانية: يا صلاح قلتُ لك انصرف.
- ثم يوجه حديثه للعميد رأفت قائلاً: وسيادتك تفضل معي نأخذ أي مشروب في المكتب.

الفصل الثامن

يدخل عمر وطارق الكلية صباحًا فيجدان شمس جالسة مع صديقاتهما الفتيات التي لم تكن تريد أن تتعامل معهن من قبل، فيندهش طارق وعمر وينظران لبعضهما لفترة بسيطة فاغرين فميهما، ثم يقتربان من صديقاتهما ويلقيان عليهن التحية فيجدونهن منسجمات في الضحك والحديث، لدرجة أنهن في بادئ الأمر لم يلتفتن إليهما ولم يشعرن بوجودهما إلا بعد أن وضع عمر يده على كتف شمس حتى تعلم أنه أتى، فتندهش شمس لوجود عمر قائلة:

- عمر: ... متى أتيت؟

- طارق: منذ اللحظة التي بدأت فيها السخرية على أساتذة الجامعة؟

- شمس: اجلس... لماذا تقف هكذا؟

- عمر: حقاً... إنه لشيء غريب... أليس لدينا محاضرة الآن؟

- شمس ضاحكة: بالطبع لدينا... هيا بنا.

ثم تلقي شمس التحية على صديقاتها الجديديات وتتجه نحو قاعة المحاضرات مع عمر ويقي طارق واقف مكانه مع الفتيات فينتبه عمر لعدم وجوده فينادي عليه:

- طارق: ... ألن تأتي معنا؟

فيبتسم طارق ابتسامة بلهاء وهو ينظر لصديقاته وهن يرتدين ملابس

قصيرة:

- لا... أنا فأقضيها مراجيح النهاردة.
- فتركه عمر ويأخذ شمس ويذهبان لقاعة المحاضرات، وأثناء سيرهما يسألها:
- إنه شيءٌ غريب حقاً.
- شمس: ماذا تقصد؟
- عمر: أقصد... لماذا جلستِ معهن اليوم وليس هناك علاقة طيبة بينكن؟ وبرغم المشاكل التي بيننا من أجلهن.
- شمس: لأنني قررت أن لا أغضبك.
- فينظر لها عمر بريبة وهو يضع إصبعه على قلبه قائلاً: قلبي ليس مطمئن لك.
- فتبتسم شمس: لا حول ولا قوة إلا بالله... ألم يعجبك تصرفي هذا أيضاً.
- عمر: لم أقصد ذلك، ولكن هذا التحول المفاجئ أدهشني صراحةً، لأنه لم يمر غير يومين فقط على آخر مشكلة بيننا لأجلهن، واليوم أجدهن تجلسين معهن وتتبادلن أطراف الحديث والابتسامات أيضاً... أعتقدين أن هذا شيء طبيعي.
- شمس: وما المشكلة؟ صراحةً بعد أن أرهقني الفكر، سألت نفسي ما هي نهاية المشاجرات التي تحدث دومًا بيننا؟ وجدت أنه لا شيء، ووجدت أنك تريد أن تجلس معهن فقررت أن أجلس معكم أنا أيضًا وهذا العام هو الأخير في الدراسة ولن نتقابل مرة أخرى.
- عمر: ما شاء الله، ما هذه الحكمة التي هبطت من السماء عليك فجأةً.

- شمس: هل تسخرُ مني؟
- عمر: لا بالله، ولكن لم يكن هذا تفكيرك من قبل، لذلك أصدقيني القول ولا تخجلي وقولي لي مع من تحدثت يا شمس الحب؟
- شمس: أنا... لم... لم أتحدث مع أحد؟
- عمر ضاحكًا: لا داعي للارتباك... فأنا أصدقك.
- شمس بانفعال: كفى مزاحًا الآن، لأنني أريدك في أمرٍ هام.
- عمر: تأمرني عيونك يا حلوة الحلوين.
- فتبتسم شمس: بالله إنني جادة فيما أقول، أنت تعلم أن لي أختًا اسمه حاتم وأنه كل شيء لي بعد والدي رحمه الله، فأنا أخبرته بما بيننا ويريد أن يراك ويتعرف عليك.
- عمر: ولكنك تعلمين أنني لن أستطيع أن أتحدث معه في أي شيء رسمي الآن إلى انتهاء فترة الدراسة.
- شمس: يا حبيبي أنا لم أطلب منك أن تتقدم لي ولكن هو فقط يريد أن يتحدث معك ويتعرف عليك.
- عمر: حسنًا ليس هناك مشكلة... ومتى يريد مقابلتي؟
- شمس: الموعد المناسب لك وأنا سأنسق معه كل شيء.

يدخل الرائد حسين العزازي صباحًا مكتب العميد رأفت فهمي، ثم يضع أمامه ملفًا يحمل الخطة الجديدة لمعرفة الثغرات التي يتم دخول المخدرات عن طريقها والتي تتيح الفرصة للقبض على هؤلاء التجار، فينظر العميد رأفت فهمي إلى الملف ويقرأه جيدًا متفحصًا كل كلمة فيه ما يقرب من ساعة، والرائد حسين جالسًا أمامه في صمت منتظر بعض التعليقات كما

تعود على ذلك دائماً من قادته، وبعد أن انتهى العميد رأفت من قراءة الملف ينظر إلى الرائد حسين قائلاً:

- مبدئياً ليس لدي اعتراض، ولكن كيف ستضمن موافقة إدارة الموارد البشرية على الرجل الخاص بنا؟... هذا أول شيء، الشيء الثاني كيف ستضمن أيضاً موافقة اللجنة الفنية؟

- فيتسم الرائد حسين في هدوء قائلاً: لقد اتخذت بعض الاحتياطات سيادتكم، لقد قمت بعمل بحث على الإعلانات القديمة التي كانت تقوم بنشرها شركة يس المهدي ووجدت أن أي إعلان لهم لا يتجاوز ثلاثة أيام في استقبال الراغبين في الوظيفة، فنحن في اليوم الأول سنرسل ضابطاً صغيراً الساعة التاسعة صباحاً وسيكون معه هذا القلم.

العميد رأفت فهمي ينظر إلى القلم الذي في يد الرائد حسين قائلاً:

- ولماذا هذا القلم بالتحديد؟

- الرائد حسين: هذا القلم حضرتك له القدرة على التصوير والتسجيل لمدة ثلاثة ساعات متواصلة، سيضعه في جيبه وهو في قسم الموارد البشرية وسيجيب على أسئلتهم أكثر إجابة منطقية لكي يجتاز هذه المرحلة، ثم يدخل على اللجنة الفنية لنعرف ما نوع الأسئلة الفنية التي ستسأل، ثم بعد ذلك نُسلمها للرجل الحقيقي الذي سنزرعه في الشركة.

فيصمت العميد رأفت لحظات قصيرة ثم يسأله:

- وإذا افترضنا أن هذا الرجل الذي سنرسله أولاً، لم يستطع اجتياز مرحلة الموارد البشرية؟... في هذه الحالة لن يصل للجنة الفنية وسنفقد هذه الخطوة.

- فيتسم الرائد حسين: هذه أيضاً سيادتكم لها حل.

- العميد رأفت: كيف؟... ولا تقل لي أنك ستجعل له بديل آخر، لأنك ستكشف هكذا أمر رجلين.

- الرائد حسين: بالطبع لا يا افندم ليس هذا ما تعلمناه من سيادتك.

- العميد رأفت: وما هي إذا الخطوة البديلة في هذه الحالة؟

- الرائد حسين: حضرتك في كل مقابلات العمل نادراً أن يكون المتقدمين للوظيفة معهم أقلام ليمثلوا بيانات استمارة التوظيف، فإذا افترضنا أن الرجل الخاص بنا فشل في اجتياز المرحلة الأولى سيكون المفترض أن يغادر في الحال... ولكن لن يتم ذلك... في هذا الوقت سيظل هو متواجداً في قاعة الاستقبال، وكأنه يريد أن يطمئن على أحد زملائه الذين تعرف عليهم في قاعة الانتظار، وبعد أن يتأكد من الشخص الذي اجتاز هذه المرحلة سيعطي له القلم لربما يحتاجه معه في اختبار اللجنة الفنية، ويظل منتظره بحجة القلم إلى أن ينهي الشخص الآخر الذي قابل اللجنة الفنية امتحانه وتصبح لدينا الآن كل الأسئلة.

- العميد رأفت: إمامم فكرة لا بئس بها... أنا متفق معك في نهاية الموقف لكن بدايته ليست قوية محتمل أن السكرتارية هناك تطلب منه مغادرة المكان بعد أن ينهي مقابله مع قسم الموارد البشرية لأنه تم رفضه.

- الرائد حسين: في هذه الحالة قبل أن يدخل هو إلى لجنة الموارد البشرية سيكون قد تعرف على بعض الشخصيات وتقديراتهم، وبعد نهاية المقابلة الأولى إذا وجد نفسه مرفوضاً يُسلم القلم للشخص الذي يستتج من مستواه الفكري أنه يستطيع اجتياز هذه المرحلة، ثم ينتظره خارج المبنى وعندما ينهي الشخص الآخر مقابله يأخذ منه القلم.

- العميد رأفت: لا لا لا... أنا لست مقتنع بهذا الهراء.

- الرائد حسين: لماذا يا افندم؟

- العميد رأفت: لأن خطتك كلها يا سيادة الرائد بُنيت على الاستنتاجات، لأن في النهاية بعد كل هذا محتمل ألا يختاروا الرجل

الخاص بنا لأي سبب من الأسباب، محتمل الراتب أو احتمالات أخرى كثيرة لا نعلم منها شيئًا، وإذا فشل أي استنتاج من كل هذه الاستنتاجات ستكون نهاية الخطة، فلا بد من وجود خطة مدروسة ومُحكمة بمتتهى الدقة وليست بها أي ثغرات، فهل هذا هو الأسلوب الذي تعلمته في الكلية للتعامل مع أمثال هذه المنظمات، لذلك ستظل دائمًا مُتأخر عن دفعتك برُتبة لأنك لا تُجيد استخدام الأساليب الصحيحة في التعامل مع أمثال هؤلاء المجرمين.

يصمت الرائد حسين بعض لحظات وهو ينظر نظرة شرسة للعميد رأفت لهجومه العنيف وتوبيخه بكلام جارح قائلاً:

- حسنًا سيادتك... أرجو إعفائي من هذه القضية.

- العميد رأفت: حقًا... أنا لا أطلب منك أن تقوم بعمل شخصي لي لتطلب مني أن أعفيك منه، هذا أمر يا سيادة الرائد يُنفذ بدون مناقشة.

- الرائد حسين: سيادتك... وهذه هي الخطة التي استطعت أن أضعها لحل هذا اللُغز، لأننا ليس لدينا أحد داخل شركة يس المهدي لكي نعتمد عليه في توظيف أحد من أتباعنا، هذا بالإضافة إلى أن الوقت الذي لدينا ضيق جدًا لكي نجد الضابط الكفو الذي يستطيع القيام بهذه المهمة.

فينظر له العميد رأفت مفكرًا بعض الوقت ثم يجيبه:

- وأنا ليس لدي مشكلة ولكن بشرط واحد إذا فشلت هذه الخطة من أول مرحلة لها سأحملك أنت المسئولية وستكون هذه آخر فرصة لك معي، وبعدها سأقوم بنقلك من الإدارة هنا إلى حلايب.

- فينظر له الرائد حسين بغضب قائلاً: وأنا موافق سيادتك.

عندما يصل يس المهدي إلى مكتبه صباحًا يستدعي سكرتيرته نيئين ويسألها عن الإعلان الخاص بالمهندسين، فتبلغه بأنها أبلغت إدارة التوظيف المسئولة عن ذلك، ثم يسألها عن مدير الإدارة الفنية، فأجابته بأنه يقوم بتنفيذ المشاريع المؤجلة بسبب تأخر الشحنة، ثم تنصرف عائدة إلى مكتبها، ويقوم هو بالاتصال بحاتم من هاتفه الخلوي فيجيبه هذا الأخير قائلاً:

- صباح الورد يا قائد.

- يس المهدي: صباح الخير... أين أنت؟

- حاتم: الله الله الله... ما هذه المعاملة الجافة؟

- يس: أليس من المفترض أن تكون هنا في مكنتي الآن لننهي

العمليات المؤجلة بحساباتها؟

- حاتم: إني قادم في الطريق أيها الرجل العجوز؟ ماذا بك؟

- يس: لا شيء، ولكنني أريد إنهاء بعض المسئوليات لدي.

- حاتم: خمسة دقائق وسأكون بمكنتك يا مدير.

وتمر الخمس دقائق ويصل حاتم إلى مقر شركة يس المهدي فيصعد

إلى مكتبه ثم يلقي التحية على نيئين ويفتح الباب ويدلف إلى الداخل

وعندما يراه يس:

- أهلاً أهلاً بمعالي وزير شؤون الدولة.

- فيتسم حاتم: ماذا بك يا مدير؟ لماذا تتعامل معي هكذا اليوم؟

- يس المهدي: لأنك تعلم أننا لدينا مسئوليات ضخمة، ومع ذلك

تأتي دائماً متأخراً عن موعدك؟

- حاتم: يا مدير نحن لدينا أسطول موظفين قادر على إنهاء العمل

بدلاً منا.

- يس: هناك فرق بين إنهاء العمل في موعده أو متأخرًا، نحن لدينا مناقصات كبيرة جدًا لا بد أن نشترك بها، ولقد قمت بتأجيل كل هذا لحين إنهاء الأعمال المتراكمة علينا.

- حاتم مبتسمًا: أنصت إليّ فيما سأقوله لك الآن، لأن لدي أمرًا هامًا أريد التحدث معك بشأنه... وتناس كل ذلك الهراء.

- يس: وهل يوجد أهم من العمل؟

- حاتم بهدوء: ياسمين.

- يصمت يس لحظات: ياسمين!!!... ماذا تعني بـ(ياسمين)؟

- حاتم: ابنة حضرتك.

- يس مصطنع الدهشة: وما علاقتك بـ(ياسمين) ابنتي؟

- حاتم: أنصت لي أيها الرجل العجوز، سوف أتحدث إليك مباشرة دون أي مجاملات أو مقدمات، إنني أحب ياسمين ابنتك وأرغب في الزواج بها.

فيصمت يس لحظات ثم يتسم ابتسامة دهشة:

- وأين رأيتها لكي تحبها هكذا؟

- حاتم: المرة الأولى التي رأيتها بها كانت هنا في الشركة منذ بضعة أيام، فتحدثت معها بضع دقائق وأعجبتُ بها، ثم يُقص عليه ما حدث بينه وبينها في المقابلة الأولى، وما فعله من أجل أن يصل إليها ويتحدث معها محاولًا النفاذ إلى قلبها إلى أن أعادها إلى منزلها أمس.

تستيقظ ياسمين صباحًا فتقوم بالاتصال بصديقاتها ندى ولارا في مكالمة جماعية لكي يتقابلن كعادتهن في النادي، وتسالهن عن دينا حيث

إنها لا تجيب على الهاتف، فتجد أنهم أيضًا لا يعرفان شيئًا عنها منذ أمس، فيتفقن على أن يذهبن إلى منزلها، وترتدي كل واحدة منهن ملابسها، ثم يتجهن إلى منزل صديقتهن ويجتمعن تحت منزلها، ثم يصعدن إليها فتفتح لهن الباب والدة دينا قائلة:

- حبيباتي الغاليات... إني غاضبة منكن... لقد اشتقتُ إليكن؟
- ياسمين: كيف أحوال حضرتك؟
- والدة دينا: الحمد لله كثيرًا... إني دومًا أطمئن عليكم من دينا.
- ندى: ونحن أيضًا نطمئن عليك منها.
- لارا: أين دينا حضرتك؟... إنها لا تجيب على هاتفها.
- والدة دينا: ألا تعلمن ما حدث؟
- فينظر الثلاثة إلى بعضهن ثم إلى والدة دينا قائلتين في نفس الوقت:
- ماذا حدث؟
- والدة دينا: بالأمس وهي ذاهبة إلى النادي في الصباح وبالطبع في يدها حقيبتها الخاصة، جاء اثنان على دراجة بخارية مُسرعين وسرقا منها حقيبتها، وانطلقا بعيدًا فتملكها الخوف وصعدت إليّ وهي تبكي، وظلت اليوم بأكملها في غرفتها نائمة، ولم تستيقظ إلا الآن لأعطيها كوبًا من الحليب.
- فينزعجن كلهن وتُسرع ياسمين: هل تسمحين لنا أن ندخل غرفتها لنطمئن عليها؟
- والدة دينا: تفضلي يا حبيبتي.
- تطرق ياسمين باب غرفة دينا فتجيب الأخيرة من الداخل: لا أريد شيئًا يا أمي؟
- فتفتح ياسمين باب الغرفة وتدخل هي وصديقاتها قائلة: ماذا بك يا صديقتي؟

- فتفرح دينا لرؤيتهن وتنفعل قائلة: كيف أحوالكن يا بنات؟ هل علمتن ما حدث لي؟

- لارا: والدتك قصت علينا ما حدث لك باختصار... أخبرينا أنت ماذا حدث باستفاضة؟

فتعيد دينا على مسامعهن نفس الحديث التي قالتها والدتها ولكن باستفاضة فتتظر لها ندى باندهاش حيث إنها هي المحللة النفسية في هذا المجلس قائلة:

- شيء غريب حقاً... هل يوجد أعداء لكم؟

- دينا: ماذا تقصدين؟

- ندى بانفعال: ليس سؤالاً كيميائياً... أقصد هل يوجد مشاحنات أو مشاجرات قديمة بين والدك وأحد ما؟

- لارا: لا بد أن توضحي لها بطريقة هادئة؟... يعني براحة عليها ياب أنت هي زيك جاية من عند أبو جاموس.

- ندى تجذب لارا من شعرها: ليس لدي غير هذه الطريقة ألا تعجبك؟... وأنا اللي جاية من عند أبو جاموس يا زبالة يا امو شراب مقطوع.

- فتضع ياسمين أصبعها في فمها وتصفّر قائلة: سكووووت... هاف تايم.

- دينا: نحن لسنا على علاقة بأحد منذ فترة طويلة؟

- فتوجه ياسمين حديثها إلى ندى: ليس بالضرورة أن تكون هناك عداوة بينهم وبين أحد، لأنها كما روت لنا أن هذين الرجلين كانا مستقلان دراجة بخارية، وهذا الأمر قد انتشر كثيراً هذه الفترة في القاهرة.

- ندى: أنا لا أخالفك الرأي بأن هذا الأمر قد انتشر، ولكن ليس الساعة التاسعة صباحًا، ممكن أن يحدث ساعة الذروة أو ليلاً وليس في الصباح المبكر، إلا إذا كان هذا السارق نشيطاً يمارس تمارين رياضية.

- دينا: الحمد لله على كل شيء، ليس هناك مشكلة... الأهم ماذا فعلتن بالأمس؟

- ياسمين بسخرية: لا شيء لقد انتظرتن طويلاً بالنادي وبالرغم من ذلك لم تأتِ إحداكن، وفي النهاية عدتُ إلى منزلي.

- فتنظر ندى ولارا إلى بعضهن ويقلن في نفس الوقت: ألم تذهبي إلى النادي أمس؟

- فيصمت الأربعة لحظيًا ناظرات إلى بعضهن فتتحدث دينا:

- شيء غريب حقًا... لماذا لم تذهبي يا لارا؟

فتروي لهم لارا ما حدث لها وكلهن يستمعن لها:

- لقد حدث لي شيء غريب جدًا، جاءني بالأمس مكالمة الساعة الثامنة ونصف صباحًا من شركة فودافون، وقال لي المتحدث هل أنتِ الآنسة لارا؟ فقلت له: نعم أنا لارا، فقال لي: إن رقم هاتفك المحمول قد اختير عشوائيًا من مجموعة أرقام لتفوزي معنا بسيارة بي إم دابليو الفئة الخامسة موديل عام ٢٠١٧، ولا بد أن تأتي إلينا في المقر الرئيسي في السادس من أكتوبر خلال ساعة ونصف ومعك صورة بطاقتك لكي تستلمي السيارة، فقلت لهم هل يوجد رسوم أو أي أموال مقابل ذلك، لأنني بالطبع لم أصدق هذا الهراء، فقال لي ليس هناك أموال مقابل ذلك، ولكن ستقومين بعمل بعض الدعاية معنا لعدة أيام للشركة، وعندما تأتين سنوضح لك كل شيء، فبالطبع حين أنهيت المحادثة قفزت من فوق السرير وارتديت ملابسني وانطلقت على السادس من أكتوبر و...

- فتقاطعها ياسمين: ومن أجل عربية تتركيني وحدي... هانت عليك العشرة من أجل سيارة.

- ندى ضاحكة: صراحةً إن لديها حق في ذلك.

- دينا توجه كلامها لـ(لارا): لا تهتمي لحديثهن هذا، أكملني وهل أعطوك السيارة بالفعل.

- لارا مبتسمة: انتظري وأنصتي إلى نهاية الحديث، لقد استقلت سيارتي بالفعل، وذهبتُ إلى الشركة وصعدتُ إلى الإدارة ورويت لهم ما حدث، وكلما رويت لأحد ما حدث وجدته يضحك ملء فمه إلى أن فقدتُ صبري، وقلتُ لهم أريدُ أن أفهم ما هذا الهراء؟ ما المضحك في حديثي؟ إلى أن جاء لي المدير وقال لي خير يا افندم ما هي مشكلة حضرتك؟ فرويت له مرة أخرى ما حدث والهراء الذي فعله موظفوه على حديثي، فوجدته هو الآخر يريد أن يضحك ولكنه تماسك خوفاً من ثورتي عليه، ثم أخذني إلى مكتبه وقال لي هل تسمحين لي بمعرفة اسم هذا الموظف الذي قام بالاتصال بك؟ فقلتُ له الحقيقة لم أنتبه عندما أخبرني به، فقال لي: هل ممكن أن أرى هذا الرقم الذي قام بالاتصال بك؟ فأعطيته الهاتف المحمول وعندما نظر إلى الرقم وجدته انتبه لبعض لحظات ثم ضحك فجأةً، فقلتُ له: ما المضحك في ذلك؟ فأعطاني الهاتف وقال: انظري حضرتك إلى هذا الرقم، فنظرتُ له ثم قلتُ لم أفهم ماذا تقصد؟ فقال لي حضرتك هذا رقم من شركة موبينيل وليس فودافون، فأنا بالطبع أحسستُ بنارٍ تتأججُ في وجهي من الخجل، وقلتُ له أتقصد أن هذه المسابقة في شركة موبينيل وقد اختلط عليَّ الأمر، ولكنني أسرعُ قائلة إن الموظف أخبرني أنه من فودافون وعنوانها في السادس من أكتوبر، فقال لي: يا افندم حضرتك أنا أسف ليست فودافون ولا موبينيل ولا حتى اتصالات أعتقد أنه أحد أصدقائك ويمزحُ

معك، فقلت له ماذا تعني؟ فقال لي: يا افندم لم تتم أي مسابقة في أي شركة من الثلاثة، لأنه إذا أرادت شركة من هذه الشركات أن تقوم بذلك، فلا بد وأن تبلغ الشركات الأخرى قبلها بفترة ما للتنسيق فيما بينهم، فبالأكيد هذا أحد أصدقائك يمزحُ معك، فاعتذرت له وانطلقت مسرعة خارج الشركة وجميع الموظفين ينظرون إليّ ويضحكون.

- فتنظر ياسمين ضاحكة إلى لارا: شيء غريب حقًا... ومن يكون هذا الشخص السخيف؟

- لارا: لا أعلم لدرجة أنني عندما عدتُ إلى المنزل ورويتُ لوالديّ ما حدث، ظلا يسخران مني طوال الليل.

- ندى: هذا الأمر ليس طبيعيًا، بالتأكيد هناك خطأ ما.

- دينا: وهل يوجد لديك تحليل لكل شيء؟

- ندى: حسنًا أفتينا أنت في أمرنا هذا وما حدث بالأمس، أنت سُرقتُ حقيبتك، ولارا حدث لها هذا الموقف الغريب، وأنا أيضًا سيارتي سُرقتُ أو حدث أيضًا لي موقف سخيف مثل ما حدث لـ(لارا).

- ياسمين: حدث لك موقف سخيف... أو سُرقتُ سيارتك!! لم أفهم شيئًا بعد... هل هذا لغز؟

- ندى ساخرة: بالله لا أعلم.

- لارا: حسنًا قصي علينا ما حدث لك.

- ندى: بالأمس كعادتي وأنا خارجة من المنزل لمقابلتك، ذهبتُ لأستقل سيارتي، ولكنني فوجئتُ بأنها ليست بمكانها فنظرتُ بحقيتي لعل يكون أحد إخوتي أخذ المفتاح الخاص بها ولكنني وجدته ما زال بالحقيبة، فقمْتُ بالاتصال بوالدي وكل إخوتي ولكن لا أحد يعلمُ عنها شيئًا، فتقابلتُ مع أبي عند قسم الدقي وذهبنا للضابط المُختص لعمل محضر بسرقتها،

فطلبوا مني رخصة السيارة ورخصتي الخاصة، فبالطبع لم يكونا معي ولكن في السيارة، فقالوا لي لا بد من شيء يُثبت ملكيتي للسيارة التي تنطبق عليها هذه المواصفات، فبالطبع عدت إلى المنزل لأحضر الأوراق الخاصة بها، ثم ذهبتُ إلى القسم مرة أخرى وكان هناك مشاكل كثيرة، المهم انتظرتُ تقريباً ساعتين أنا وأبي إلى أن نفذ صبره وافتعل مشكلة مع الضابط، وفي النهاية عندما أنهيت كل شيء كانت الساعة تقريباً الواحدة ظهرًا، وعندما خرجتُ أنا وأبي من القسم وعبرنا إلى الجهة الأخرى من الطريق لكي نستقل سيارة أجرة ونعود للمنزل، لم تقطع السيارة الأجرة مسافة أكثر من عشرة أمتار إلا ووجدت سيارتي أمام البنزينة التي أمام القسم، فبالطبع بعد أن تأكدت أنها هي عدنا مرة أخرى أنا وأبي إلى القسم وأنهينا المحضر وعدنا إلى المنزل تقريباً الساعة الثانية، وكنْتُ فقدت أعصابي تمامًا فخلدتُ إلى النوم ولم أستطع الاتصال بإحداكن.

فنظر الأربعة إلى بعضهن غير مصدقات ما حدث لهن ومرت لحظات صمت لم يعرفن كيف يعاودن الحديث مرة أخرى إلى أن قالت ندى:

- أما أنت فأين كنتِ بالأمس يا ياسمين؟

فارتبكت ياسمين في إجابتها فلاحظت هذا دينا ولكنها لم تتفوه

بشيء:

- أنا... أنا!!!! انتظرت كثيرًا وعندما قمت بالاتصال بكن ولم ترد إحداكن جلستُ بعض الوقت في النادي ثم عدتُ إلى المنزل.

فنظرت دينا في عينها مباشرة فارتبكت ياسمين لحظياً إلى أن اصططح وجهها بحمرة الخجل ثم أدارت بصرها نحو ندى مصطنعة المرح قائلة:

- وما هو رأي شارلوك هولموز صديقنا في هذه الجريمة المعقدة التي حدثت لنا بالأمس؟... أفئتنا أيها المفتش كرومبو.

- فنظرت لها ندى متفحصاها قائلة: أنا لذي إحساس يُراودني أن الذي افتعل هذه المقالب بيننا هو شخص واحد، وهذا الشخص يعلم كل شيء عن حياتنا.

- لارا: ماذا تقصدين؟

- ندى: أقصد يعلم مواعيد خروجنا من منازلنا اهتمامتنا عناوينا بالتحديد، وبالتأكيد يعلم أرقام هواتفنا.

- ياسمين بقلق: هل تقصدين أن أحد يراقبنا؟

فتقوم ندى من على مقعدها وتتمشى بداخل الغرفة كالمحللين أو ضباط التحقيق قائلة:

- لا لا لا، ليس هذا ما قصدته.

- لارا: وما قصدك إذًا؟... يا ترعة المفهومية.

- ندى: لا داعي للألفاظ الخارجة... وإلا والله أسيبكوا للصفحة اللي في دماغ كل واحدة فيكوا هي اللي تفكر مع نفسها.

لارا بانفعال كالعادة ودائمًا وأبدًا مع ندى أخذت زهرية الزهور من على الكوميدينو المجاور لسرير دينا وقذفت بها ندى قائلة:

- أنتِ لا تستحقين سوى هذا.

فاصطدمت زهرية الورد بالحائط وانكسرت على الأرض فانتفضت دينا واقفة على سريرها:

- إنها زهرية الورد التي أهداها أبي إلي في عيد ميلادي... لا بد أن أقتلكن.

وانقضت دينا فوق لارا لتجذبها من شعرها فأصدرت ندى صوتًا عاليًا بغمها (زغروطة) ثم قفزت فوق الاثنتين ووجهت إليهما ضربات باليد

ولم تستطع ياسمين منع نفسها من الضحك وقفزت هي الأخرى فوقهن ولم تستطع لارا تحملهن قائلة:

- سوف ألفظ أنفاسي الأخيرة.

- وحاولت إزاحتهم من فوقها فنجحت وهربت منهن قائلة:

- ماذا بك يا دينا يا حبيبتى... ماكنتش حتة أولة ديه يا ماما اللي تحولك عليّ كدا مانت طول عمرك هادية وكيوت.

- دينا بغیظ: أولة... دانا هجيب زير وادشده فوق دماغك... ديه هدية بابا.

- فتصفر ياسمين: هاف تايم خلاص... يكفي هذا المزاح، نحن إلى الآن لم نعرف كيف حدث ذلك بالأمس.

- ندى تشاور بيدها بانفعال على دينا ولارا: أنا أعتقد أن واحدة منكن هي التي افتعلت كل هذه المقالب، وواحدة أيضًا هي التي اخترعت رواية من خيالها على نفسها لتبعد الاشتباه عنها.

- لارا: بالله إني أشك بك، وأنت تقولين هذا مسبقًا لتفادي التصاق الأمر بك.

- ندى: إذا كنتُ فعلتُ أنا مثل هذا الأمر ما كنتُ لأخفيه بل كنتُ سأفتخر أني فعلتُه بك مثل ما تفعلين بي دائمًا.

- ياسمين بعصبية موجهة حديثها لندی ولارا: أتقصدن أنه لم تكن واحدة منكن، إذًا من تكون؟

- فتجذب ندى شنطة يدها قائلة: انظري إلى هذه الورقة هي نسخة من محضر أمس حتى تصدقني.

- فينظرن جميعهن إلى لارا شذرًا فتتحدث هذه الأخيرة قائلة: لما... لما تنظرن لي هكذا؟

- فتقول ياسمين: والآن ندى أثبتت بالدلائل أنها كانت في القسم أمس، ودينا لن تتفق مع والدتها لاختلاق أكذوبة علينا، إذًا لم يبق غيرك فما هو دفاعك؟

- لارا بارتباك: وماذا أفعل لكن؟ أتريدن أن أحضر لكن مستند تحركاتي من هيئة المرور؟

- فتتظر دينا لها ولياسمين باستهزاء قائلة: يا الله إنها تمزح حقًا...
إذًا فلنقم عليها الحد، ولتدقّ الطبول وأملئي المرحاض بالماء يا زمردة...
وشرف سيدي المحاميحي مانا سايباكي النهاردة.

ثم تجذبها من شعرها وتجلس فوقها وتذهب ياسمين وندى إلى الحمام لملء حوض الاستحمام بالماء ثم تعودان ليحملن لارا بأيديهن ويضعنها داخل حوض الاستحمام بملابسها ثم يرفعن رأسها من الماء ثم يضعنها مرة أخرى وتصدر لارا أصوات استغاثة كي تنقذها والدة دينا وتقول ياسمين:

- ليكون هذا درسًا لك... وأين حقيبة دينا أيضًا.

ثم تصدر ندى صوتًا بفمها وتضربها دينا على مؤخرتها فتدخل والدة دينا عليهم الغرفة قائلة:

- ماذا بكن؟ لماذا تصدرن هذه الأصوات؟

- فترد عليها دينا: ليس هناك شيء يا أمي، ولكننا نظهر لارا من سيئاتها.

- فتبتسم والدتها قائلة: هناك شيء آخر غريب حدث الآن.

- فتسألها دينا: ما هو إذًا؟

- والدة دينا: لقد دق جرس المنزل الآن وعندما فتحت الباب لم أجد أحدًا، ولكنني وجدت حقيبتك التي سُرقت أمس.

وعندما يسمع الصديقات الثلاث هذه الجملة يتوقفن عن تعذيب لارا ناظرات إلى بعضهن في ذهول، ثم يخرجن مسرعات في اتجاه باب الغرفة والدة دينا ممسكة بحقيبة ابتها فتأخذها منها دينا لتتأكد منها وتتأكد من محتوياتها فتجدها كاملة لم ينقص منها شيء فتقول:

- لم ينقص منها شيء.

- فتقول لها والدتها: الحمد لله يا حبيبتى... محتمل يكون السارق ربنا تاب عليه وقرر أن يعيدها لك... هل تحبين أن أحضر لكن مشروباً؟
- ياسمين: لا... شكراً لحضرتك.

ثم تنصرف والدة دينا من الغرفة وينظر ثلاثتهن إلى بعض في ذهول غير مصدقات ما حدث وتخرج لارا من الحمام مبتلة تماماً بالماء من رأسها حتى أخمص قدميها قائلة بصوت تمثيلي كالدموع:

- يا كلاب... يا كلاب... كيف أعودُ إلى منزلي الآن؟

وعندما تجدهن واقفات يحدقن بحقيبة في يد دينا ولا ينطقن بأى كلمة قالت:

- ماذا بكن؟... لماذا تحدقن بي هكذا؟

- ياسمين: لقد وجدت والدة دينا حقيبتها خارج المنزل ولا أحد بجانبها.

- فتندهش لارا: هل أنتِ جادة؟... ما هذا الهراء الذي يحدث؟... لحظة واحدة... لقد تذكرت.

ثم تذهب في اتجاه مقعدها وتخرج من حقيبتها فاتورة لشراء حذاء ذي كعب نال إعجابها في أحد متاجر البيع وتعطيها لهن قائلة:

- اقرأوا يا بهائم... متى كان هذا التاريخ؟ وأين المكان؟

فينظر الثلاثة إلى الفاتورة مذهولين وعندما لم تجب إحداهن تقول
لارا:

- هذا التاريخ أمس، والمكان أيضًا أكتوبر.

خرج عمر وشمس من قاعة المحاضرات متجهين إلى الكافيتريا
ليأخذا مشروبًا قبل أن تبدأ المحاضرة الثانية وعندما وصلا إلى المكان وجدا
صديقاتهما البنات ولم يجدا طارق فسأل عمر:

- أين طارق يا أصدقائي؟

- سمر: لقد اتصل به أحد من عائلته وقال له إن والده ذهب لإجراء
عملية بالمستشفى.

- عمر: لا حول ولا قوة إلا بالله... ما نوع العملية؟ وأين هذه
المستشفى؟

- سمر: لا أعلم هو انطلق مسرعًا خارج الكافيتريا وقال لي أن أخبرك
بهذا وأن تتصل به؟

- عمر: بالتأكيد سأتصل به... حسنًا عن إذنكم.

- يتصل عمر بطارق على هاتفه الجوال فيرد هذا الأخير:

- مرحبًا يا عمر... هل أنهيتما المحاضرة؟

- عمر: لا عليك الآن... والدك ماذا به؟ وبأي مستشفى هو؟

- طارق: الحمد لله بخير... خرج الآن من غرفة العمليات.

- عمر: حسنًا... أين هذه المستشفى؟

- طارق: مستشفى الجنزوري بجوار قصر الطاهرة.

- عمر: سوف آتي لك الآن... سلام.
- شمس: هل آتي معك؟
- عمر: لا داعي لذلك ابقني لتكتبي المحاضرات لناخذها منك
وسوف أطمئنك عليه.
- شمس: حسناً... اهتم بنفسك.
- عمر: حسناً... سلام.
- يصل عمر إلى المستشفى بعد مرور ساعتين بسبب ازدحام المرور،
ثم يذهب إلى الاستعلامات ليعرف رقم الغرفة المحجوز بها والد طارق،
وعند صعوده السلم يجد فتاة جميلة الملامح هادئة الابتسامة ترتدي عباءة
سوداء كبنات الحارات توقفه قائلة:
- أعتقد أنك عمر صديق طارق.
- فيتسم عمر بسهوكة كعادته: بالضبط هو أنا... أعتقد أننا تقابلنا
من قبل.
- عفاف ضاحكة: لا هذه أول مرة نتقابل.
- عمر: هذا ليس معقولاً، لا لا أنا واثق أننا تقابلنا قبل ذلك، وأنت
تريدين أن تفاجئيني... وهذه العباءة التي تتألاً عليك أنا واثق أنني رأيتها من
قبل.
- عفاف مبتسمة بجرأة: أعتقد أنك مشاغب كثيراً عكس صديقك.
- عمر مداعباً حواجه: صديقي... صديقي من... دا خبؤ... دا آخره
يلعب حواجه.
- عفاف ضاحكة ملء فمها: أنت مصيبة.
- عمر مبتسماً: لكن دمها خفيف.

- عفاف: ماذا تقصد؟
- عمر: المصيبة... أقصد أنا.
- فتبتسم عفاف: حسناً... اذهب لترى صديقك ووالده فإنهما في انتظارك.
- عمر ينظر لها باندهاش: أنت من تكونين؟
- عفاف: أنا زوجة أبو طارق يا مصيبة.
- عمر: طب وحياتك علبة بسبعة ونص وكتري الدقة.
- عفاف ببواخة: خلاص شطبنا يا خفيف.
- عمر: انتظري... إلى أين أنت ذاهبة؟
- عفاف: سأعودُ إلى المنزل لأحضر بعض الاحتياجات.
- يدخل عمر غرفة والد طارق بعد الاستئذان فيجد طارقاً وأقاربه ملتفين حول صديقه فيتقدم بالسلام ثم يقوم بتقديم نفسه لهم ثم يجلس قائلاً:
- ألف سلامة على حضرتك يا عمي.
- والد طارق: سلمك الله من كل شر يا حبيبي... ما كان هناك داعي لتعبك.
- عمر: كيف تقول هذا يا عمي؟... طارق أخي وليس صديقي إن شاء الله تكون في أفضل حال.
- والد طارق: الله يبارك لك يا حبيبي.

* * *

بعد أن أتمت عفاف كل ما تحتاجه هي وزوجها والد طارق، واستعدت لمغادرة الشقة سمعت أحداً يطرق الباب، وعندما سألت لم تلتق

جوابًا فأعادته تكرار السؤال ولكن لم يجب أحد، فاضطرت إلى أن تفتح الباب، فوجدت أمامها مفاجأة أسكتتها عن الحديث فبادرتها الشخصية التي أمامها قائلة:

- كيف أحوالك يا عفاف؟ بالله اشتقتُ إليك ألم تشتاقي إلينا كما اشتقنا إليك؟

- عفاف بارتباك: كي... كيف... كيف تقولين هذا يا خالتي أم مطهرة؟ بالتأكيد اشتقتُ لك تفضلي يا حبيبي.

فتدخل (أم مطهرة) إلى المنزل فاحصة متفحصة غرفة الاستقبال ثم تغلق عفاف الباب وتنظر إلى ضيفتها قائلة:

- ماذا تودين أن تشربي؟

- أم مطهرة: لا داعي يا حبيبي لذلك... أنا لست ضيفة إن المنزل منزلي.

- عفاف بارتباك: بالتأكيد يا خالتي ولكن لا بد أن تتناولي شيئًا ما.

- أم مطهرة: لا يا حبيبي أشكرك أقدمي علي واجلسي بجانبني فأنا حقًا أشتاقُ لك كثيرًا.

ثم تنظر إلى عفاف وإلى المصوغات الذهبية التي ترتديها ثم تكمل حديثها قائلة:

- لقد ازدادتِ جمالًا يا عفاف... هل هذه هي آثار الزواج؟

- عفاف: تقريرًا الحمد لله.

- أم مطهرة: ولكن لماذا لم تخبرينا لكي نقوم معك بالواجب؟

- عفاف: معذرة يا خالتي... ولكن للأسف تم الأمر سريعًا.

- أم مطهرة: ليست هناك مشكلة... ولكن هل أنت سعيدة الآن؟

- عفاف بلهفة: نعم يا خالتي... الحمد لله إنه رجل طيب وكريم.
- أم مطهرة بنظرة غيظ: إنه شيء رائع حقًا... وكم يبلغ من العمر؟
- عفاف: في بداية العقد السابع من عمره.
- أم مطهرة: العقد السابع... ياما شاء الله ياما شاء الله وهل لديه صحة للزواج؟
- فتبتسم عفاف مصطنعة الخجل: لا تُخجليني يا خالتي... ولكن كيف عرفت عنواني؟
- أم مطهرة: ولماذا؟ ألا تريد أن نعلم عنك شيئًا؟
- عفاف: بالتأكيد لا يا خالتي... لقد نلتُ البركة بقدمك... أنا أقصد كيف عرفتِ أنني أقيم هنا؟
- أم مطهرة: الطفل مدقوق ابن حرقاهم رآكي وأنتِ راحلة من مستشفى الجزوري، فراقب خطواتك وجاء ليخبرني لأنه يعلم مدى اشتياقي إليك.
- عفاف تضغط على أسنانها: بارك الله فيه... وخالتي حرقاهم كيف أحوالها الآن؟
- أم مطهرة: إنها ترافق رجلاً جديدًا الآن.
- عفاف: ربنا يهديها.
- أم مطهرة: آمين يا حبيبي... جميل حقًا هذا العقد الذي ترتدينه.
- عفاف: تفضلي يا خالتي... ليس بكثير عليكِ.
- أم مطهرة: أنا أعتقد ذلك أيضًا... أريني هذه الدلاية.
- عفاف: تفضلي يا خالتي إنها هدية من زوجي أبو طارق.
- أم مطهرة: ما شاء الله إنها تزن خمسين جرامًا تقريبًا، أعتقد أنها غالية الثمن يا عفاف.

- عفاف: ما تغلى عليكِ يا خالتي.
- أم مطهرة ترتدي السلسلة حول عنقها قائلة: أعتقد إنها حلوة علي... والمثل يقول: (النبي قبل الهدية).
- فتجحظ عين عفاف وتزدرد لعابها قائلة: ماذا؟
- أم مطهرة: وأنا قبلتها.
- عفاف بخوف: ولكن يا خالتي إنها هدية من... أبو طارق وماذا سأقول له إذا سألني عليها؟
- أم مطهرة: وما المشكلة هنا؟... كما أهداكي أول مرة يهديكي مرة ثانية وإذا سألك قولي له أي شيء سُرقَتْ أو فُقدت.
- عفاف: ولكن يا خالتي هو يعلم أنني دائماً أرتديها في رقبتي.
- تنظر لها أم مطهرة وعيناها تبرق شراراً: ماذا تعنين يا عفاف؟... هتغلى علي!
- فتلاحظ عفاف نظراتها الشرسة فتصمت بضع لحظات ثم تقول:
- بالتأكيد لا يا خالتي.
- فبتبسم أم مطهرة ابتسامة كيد النساء: تسلمي لي يا غالية، ابتتي حبيبتي لن تستخسر بي شيئاً... هل تريدني مني شيئاً الآن؟
- عفاف: شكراً يا خالتي.
- ثم تغادر الضيفة الثقيلة المنزل وتترك خلفها عفاف جالسة فوق مقعدها ورأسها يدور لا تعرف ماذا تقول لزوجها عن عدم ارتدائها للسلسلة.

يصمت يس المهدي بضعة لحظات بعد أن انتهى حاتم من حديثه عنه وعن ياسمين وعن ما حدث بينهما يوم التقيا.

- فينظر له حاتم: ما رأي حضرتك بالموضوع؟

- ينظر له يس ثم يتحدث بهدوء: وكيف لي أن أتأكد أنك تحبها بالفعل كما تقول رغم أنك لا تعلم عنها شيئاً؟

- حاتم بصوت حالمٍ: ومن قال لك ذلك يا يس بك؟ أنا أعلمُ عنها كل شيء... كل شيء في حياتها ما هي أكلتها المفضلة، مشروبها، مكانها، لونها، أغنيتها المفضلة، حتى الورد الذي تضمه لأحضانها قبل أن تخلد للنوم، ما الشيء الذي يُفرحها، وما الذي يُزعجها، كل شيء يا يس بك، ياسمين احتلت قلبي، أصبحت هي ملكته وهو أسيرها، أصبحت هي شمسهُ وهو كونها، هي وردته وهو بستائها، هي شاطئ بحره الذي يداوي نسيمهُ الجروح، هي وردة حبه الذي تذوبُ بعطرها الروح، هي النعمة الجميلة التي يرقص عليها قلبي كل ليلة... ماذا تريد أن أصف لك أيضًا لكي تصدق أنني فعلاً أحبها منذ أن رأيتها.

- فيبتسم يس المهدي: حسناً هذا ليس قراري وحدي، وإنما قرارها أيضًا معي وأنت تعلم أن مثل هذه الأمور لا بد وأن يكون بها مناقشات كثيرة، وأنا سأخبرها بالأمر وبأنك طلبت يدها مني وأنا...-

- فيقاطعها حاتم: بعد إذن حضرتك يا يس بك ليس الآن.

- فيندهش يس: بالله لا تُحيرني معك... لماذا؟

- حاتم: افهمني حضرتك لقد تحدثت إلى أختي في هذا الأمر وقلت لها أنني سأطلبها منك، ولكن هي رفضت أن أطلبها منك أو من نفسها الآن إلى أن أتأكد من مشاعرها نحوي، وقالت لي أيضًا هي ستساعدني في هذا الأمر، ولكن أنا فضلت أن يكون كل شيء بعلمك، وأن أحاول التقرب لها

ومعرفة ما بقلبها نحوي وأختي معي، وأنا أقصد لن أكون وحدي، ووعده مني
لن أتجاوز حدودي معها، وسأحافظ على احترام العلاقة التي بيننا، وأنا الآن
أريد الإذن منك قبل كل شيء.

- فييتسم يس لبقاء قلب حاتم ثم يصافحه قائلاً: وأنا موافق ولكن
بشرط واحد.

- حاتم: أمرك يا كبير.

- يس: تخبرني بكل شيء بعد كل مقابلة لك معها.

* * *

الفصل التاسع

- بعد فترة صمت طويلة تنظر ياسمين إلى صديقاتها قائلة:
- ماذا حدث؟ سنظل ننظر إلى أنفسنا كثيرًا هكذا!
- دينا: وهل لديك تفسير لما حدث؟
- ندى: هل قامت إحداكن بافتعال أي مشكلة مع أحد لا تعرفه؟ ...
- أو هل أقامت إحداكن أي علاقة جديدة مع أحد؟
- فينظر الأربعة إلى بعضهن ثم تقول لارا بسخرية: ولماذا يا هذا؟
- ندى: سأعيد حديثي مرة أخرى، يا صديقاتي العزيزات الذي قام بكل هذه الأعمال، شخصٌ يعلمُ عنا كل شيء، وأراد أن ينفرد بوحدة منا ولكنه لم يستطع.
- دينا: ولماذا تعتقدين ذلك؟
- ندى: ما هو الأمر الذي بسببه يرسل لارا إلى أكتوبر إلا إذا كان يريد على سبيل المثال سرقتها.
- ياسمين: وإذا كان الغرض من ذلك هو السرقة فلماذا أعاد سيارتك؟ ولماذا أيضًا أعاد حقيبة دينا؟
- ندى: لديك الحق فيما تقولين، ولكن هذا لا يمنع أيضًا أنه يعلم عنا الكثير و...
- فتقاطعها دينا قائلة: لحظة واحدة... أنا بدأت أفهم ولكن ليس بالضبط.

- فينظر لها الثلاثة الأخريات قائلات في نفس واحد: ماذا

تقصدين؟

- فتتظر لهن دينا قائلة: منذ عدة أيام جاءتني محادثة هاتفية من فتاة تُدعى سلمى، مُنسقة حلقات برنامج (أنا وأنت وكل يوم جديد) من قناة إم بي سي مصر، وقالت لي أنهم يقومون بتصوير حلقة عن الصداقة، وتم عمل اختيار رقم عشوائي بالتنسيق مع شركة فودافون وكان رقمي هو الفائز معهم بهذه الحلقة، فطلبوا مني تحديد موعد لكي يقوموا بتصوير الحلقة في منزلي، فقلتُ لهم لا مانع، وجاءت هي ومعها شخص تقول إنه المصور، ولكنه كان ضخم الجثة كأنه حارس شخصي وليس مصورًا، وظلا يسألانني عن أشياء كثيرة خاصة بنا وصورنا وذكرياتنا وكل شيء، وقالوا لي: ألا أخبركم من أجل عنصر المفاجأة... هذا ما حدث.

- لارا: أتعقدن أن هؤلاء النصابين هم من فعلوا بنا كل ذلك؟

- ندى: مرة أخرى لقد قلت من قبل أنهم ليسوا نصابين، ولكن لهم هدف محدد، وإلا ما أعادوا لنا أشياءنا مرة أخرى.

وأثناء حديثهن كانت ياسمين شاردة الذهن، وفاقت من شرودها على

صوت دينا قائلة:

- ياسمين... أين شردتِ بخيالك؟

- ياسمين مستفسرة: دينا... ألم تطلبي منهما أي إثبات أنهم يتميان

لقناة إم بي سي؟ أو أنهما موظفان في مجال الإعلام؟

- دينا: أنا لم أسألهم عن أي شيء؟

- ندى: حقًا، هل تمزحين؟

- دينا: وما هي الإجراءات المتبعة في مثل هذه الحالة؟

- ندى: كان لا بد أن تطلبي منهم تحقيق شخصيتهما أو أي شيء
يثبت صحة كلامهما.

- لارا: كل هذا ليس هاماً الآن، فنحن ما زلنا لم نفهم شيئاً بعد.

- ياسمين: أنت قلتِ اسم المذيعة سلمى والمصور ما اسمه؟

- دينا: علي... ولكن لماذا؟

- ياسمين: سترين الآن.

ثم تقوم ياسمين بالاتصال بوالدها على هاتفه الجوال فيجيبها فتطلب
منه أن يبحث عن المعلومات الخاصة بهذين الشخصين (سلمى وعلي) عن
طريق سلطاته وأصدقائه وتغلق معه الهاتف فتتظر لها صديقاتها ثم تسألها
ندى:

- لماذا أخبرتِ والدك بهذا الأمر؟

- ياسمين: لأن هناك شيء بفكري إذا كان صحيحاً سنكون حصلنا

على حل هذا اللغز.

- لارا: لغز ماذا بالضبط؟

- ياسمين: هل تعلمن كيف قضيت يومي أمس عندما لم تأتن إلى

النادي؟

- دينا: ألم تقولي أنك عدتِ إلى المنزل؟

- ياسمين: لا... ليست هذه الحقيقة.

- دينا: ماذا فعلتِ إذا؟

- ياسمين: أنصتن لي، سأقص عليك ما حدث منذ البداية؟

ثم تقص عليهن ياسمين قصتها هي وحاتم منذ اللقاء الأول لهما

في شركة والدها إلى ما حدث أمس وما فعله من أجلها، وتصفه لهن وصفاً

دقيقًا نابع عن حب عميق دون أن تشعر؛ فتبتسم لها دينا ثم تنظر لها لارا
قائلة:

- شيء غريب... هذه أول مرة تلتقين بشاب وبدون أن أعلم أيضًا.
- فتحمر وجنتا ياسمين وترتبك قائلة: أنا... لم أكن أعلم، لقد
فاجأني وأنا لم أعرف ماذا أفعل؟ كان لطيفًا جدًّا ولا يريد أن يتركني وحدي
بعد أن تركتني وحدي.
- فتتظر لهن ندى قائلة: أعتقد أن هذا قد يكون تفسيرًا خطيرًا لما
نحن بصده.

- دينا بانفعال: أنت إنسانة غريبة... هي تقول ذهبًا سويًّا في يخت
وسط النيل، وأمر الشيف يُجهز لها الطعام الذي تفضله، وألقى على مسامعها
شعرًا عذبًا وراقيًا... ليس لديك أدنى إحساس بالحب.

- ندى بانفعال: إنني جادة فيما أقول.

- ياسمين: ماذا تريدن أن تقولي يا ندى؟

- ندى: كل ما حدث لنا في هذا اليوم يؤكد أن لـ(حاتم) علاقة به.

- دينا بانفعال: أتقصدين أن شابًا بهذه الصفات التي قالتها، طيب،
ورجل أعمال، وإنسان مُرهف الحس والمشاعر سيفعل هذه الأفعال
الطائشة، يسرق سيارة وحقيبة ومثل هذا الهراء.

- ندى: حسنًا أفئتنا أنت يا جهيد... كيف عرف الطعام المفضل
لديها وشرابها المفضل وموعده وصولها النادي؟ هذا غير ورد الياسمين وغير
تاج الملكة فريدة، ولماذا فريدة تحديدًا؟ لماذا لم يختار تاج الملكة ناريمان
أو كليوترا؟ وهى قالت أنه أخبرها بعشقه للشخصيات التاريخية، ولماذا
النيل؟ ويقضي معها أيضًا اليوم حتى وقت الغروب الذي تعشقه ياسمين
وتفضل السير فيه وحدها كل يوم.

- لارا باستهزاء: ما شاء الله... هل قُمتِ بتركيب مسجل في أذنيك، كيف استطعتِ حفظ كل هذا الحديث؟... ده أنتِ كائن مُتكلمكع.

- دينا توجه حديثها لـ(ندى): يا شارلوك هولموز عصرك أولاً أمر الطعام هذا فقد قالت لكِ أنه قوي الملاحظة، وأثارت انتباهه أنها ظلت تنظر إلى صفحة الإسكالوب بانيه تحديداً، ثانياً كل واحد منهما طلب مشروباً مختلفاً.

- ثم تنظر إلى ياسمين قائلة: هل ما قلته صحيح؟

- ياسمين: نعم... إنه صحيح.

- دينا توجه حديثها لندى: ثالثاً محتمل أنه كان يراقبها لعدة أيام ليتأكد أن هذا موعد وصولها، رابعاً موضوع ورد الياسمين هذا يكفي أن اسمها ياسمين لتعشقه لأنه على اسمها هذا غير أننا كفتيات كلنا نفرح عندما يهدينا أحد ورداً، فهو اختار الشيء الذي يناسبها لأنه مثلها، أما قصة التاج هذه كما أخبرتنا أنه رجل مثقف ويحب القراءة في التاريخ فمحتمل أن تكون صدفة، وهذا أيضاً لأن الملكة فريدة كانت رمزاً للأنوثة الطاغية وراقية جداً في اختياراتها، أما النيل ووقت الغروب فهذا أكثر مكان وزمان مناسبين للحظة رومانسية تهز القلب وتأثر على المشاعر ليستميل قلبها نحوه، فهل توافقني الرأي؟

- فتنظر ياسمين ولارا لها ثم تقول هذه الأخيرة: باللهِ حديث منطقي يا دندوتي.

- ندى: هل أقنتعتن بهذا الهراء؟... حسناً أنتِ قلتِ الآن أن الغروب والنيل والورد هم أكثر لحظة رومانسية يستميل بهم قلبها نحوه، صحيح هذا.
- دينا: نعم... صحيح.

- ندى بانفعال: شيء رائع وهذا يعني أن كل ذلك قد سبق تجهيزه من قبل، وكان واثق أنه سيأخذها معه وأنها ستوافق، فمن أين أتى بهذه الثقة؟

- فينظر الأربعة في صمت ثم تكمل ندى قائلة: هذا أول شيء، أما الشيء الثاني بما أنه كان واثقاً أنها ستذهب معه فبالأكيد قد قام بإعداد قصة الورد هذه، وقام بالاتفاق مع أفضل شيف في مصر لعمل الإسكالوب بانيه إلا إذا كان أفضل شيف هذا (صايغ) وليس لديه عمل وكل يوم مقيم على يخت الأمير حاتم... وأما الشعر الذي ألقاه على مسامعها بالتأكيد كان مُعداً من قبل، أم تعتقدن أنهما عبلة وعتر والوحي والإلهام تساقط عليه أثناء الرحلة.

فينظرن إلى بعضهن في صمت ثم تتحدث لارا قائلة:

- حقاً إنه كلام منطقي، كيف كان واثقاً لهذه الدرجة بأنها ستذهب معه ليرتب كل شيء هكذا، إلا إذا كان يعلم أن هناك شيء سيحدث يجبرها على الموافقة.

- دينا بسخرية: وما المشكلة إذا؟ ولنفترض أنه قام بكل هذا وترك الأمر للعبة الاحتمالات بأن توافق أو ترفض، فإذا وافقت يُكمل الأمر... وإذا لم توافق يقوم بإعادة المحاولة مرة ثانية أو بطريقة أخرى؟

- لارا: أعتقد أن هذا أيضاً شيء منطقي.

- ندى بانفعال موجهة حديثها للارا: وهل ينفق كل هذه الأموال على لعبة احتمالات توافق أو ترفض، أنا لست مقتنعة بهذا الهراء.

- دينا: أموال!! ألم تقل لك من يكون، وأعني أن هذه الأموال التي نتحدثين عنها بالنسبة له مثل ثمن حقيبة بالنسبة لك.

- ندى: لماذا تدافعين عنه هكذا؟ هو كان جوز أمك.

في موقع حيوي داخل القاهرة ولكن لن ولم يتوقعه أحد إلا إذا تم الإرشاد عنه، ويطرق شخص الباب ثم يدخل عليهم فيجدونه زعيمهم فيقفون جميعاً احتراماً له، فيشاور بيده لهم بالجلوس ثم يجلس هو الآخر مبتدئاً الحديث:

- مساء الخير عليكم جميعاً.

- فيرد أحد كبار التجار: مساء الخير عليك يا زعيم.

- الزعيم: الآن وبعد أن تم توزيع البضاعة وكل تاجر منكم أخذ نصيبه، لم يدفع أحد منكم الديون المتركمة عليه؟ ألا ترون أن الأمر أخذ أكثر من وقته بكثير؟

- كبير التجار: يا زعيم نحن دائماً نلتزم بالدفع ولم تتأخر قبل ذلك عن موعد السداد، ولكن السوق هذه الأيام ليس على ما يرام، والشرطة متيقظة الآن وثلاثة من أكبر التجار لدينا في السوق نصب لهم الفخ وكُشف أمرهم، فكان لا بد أن تسود حالة من الهدوء والتراخي من جانبنا، ولذلك لم نستطع توفير المال اللازم.

- الزعيم: كيف تقول هذا الحديث يا معلم؟... هل تريد إقناعي بأن جميع أموالكم عبارة عن بضاعة فقط وليس لديكم رصيد في البنوك... هذا كله هراء وأنا لن أسمح بذلك... البضاعة الجديدة ستصل الميناء بعد شهر ونصف، وقبل أن تأتي أرجو أن تكونوا قد سددتم ما عليكم، وإلا أي تاجر لم يسد ما عليه لن يأخذ منها جراماً واحداً.

- كبير التجار: ولكن يا زعيم بهذه الطريقة ستخفض سعر البضاعة بالسوق، والبضاعة التي أخذناها من خمسة عشر يوماً لم نتدبر أمرها إلى الآن، فكيف نستقبل شحنة جديدة بعد شهر ونصف فقط؟... وكما تعودنا أن بين كل رسالة وأخرى ثلاثة أشهر شهر للتوزيع وشهر للبيع والثالث

للتحصيل، ولكن الآن سيكون الفرق شهرين فقط ولدينا بالفعل أزمة داخلية فالأمر صعب، فما الداعي للعجلة إذًا؟

- الزعيم: التجار الأجانب أرسلوا لي رسالة بالبريد الإلكتروني أن الشحنة القادمة ستكون بعد شهرين من الآن، هذا إذا أردت شراءها، لكن إذا رفضت لن يتم إرسال شحنة جديدة قبل ستة أشهر من الآن.

- كبير التجار: ولماذا هذا الأمر الغريب؟

-الزعيم: لأن المخازن التي أرسلوا لنا منها آخر شحنة اكتشفتها الشرطة، وقامت بحرقها بالكامل كلها فالآن السوق لديهم في أشد الحاجة لكل جرام، فلا بد أن أعطيهم المال لحجز الشحنة القادمة لكي يقوموا بتعويض ما فقدوه، وفي نفس الوقت لن يرسلوا أيضًا الكمية المعتاد إرسالها ولكن لمجرد أن يصبح لديهم ما يكفيهم من المال لكي يستمروا في الإنتاج، فإذا لم أستطع الدفع لن يرسلوا لي شحنة أخرى إلا بعد ستة أشهر، وهكذا يكون قد مضى موعد شحنتين ويكونون قد استطاعوا بذلك إشباع احتياج السوق لديهم.

فينظر كبير التجار إلى زملائه ليعرف ردود أفعالهم، فيقترح أحدهم بأن المبلغ المتبقي عليهم يدفعون نصفه والنصف الآخر حين يتم توزيع البضاعة، فيوافقون جميعًا على هذا الرأي فينظر كبير التجار إلى الزعيم قائلاً:
- ما رأيك يا زعيم.

-الزعيم: ولكن بهذه الطريقة أنا سأدفع مبلغ كبير جدًا، لأن كل تاجر منكم سيدفع النص الخاص به فقط، أما أنا فسوف أدفع كل المال المتبقي من كل تاجر منكم.

- كبير التجار: يا زعيم بهذه الطريقة أنت ستدفع النصف ونحن أيضًا النصف وهذا أيضًا بالنسبة لنا كثير.

فينظر له الزعيم ويحييه بالموافقة بإماعة من رأسه ثم ينتهي الاجتماع ويغادرون جميعهم الغرفة عبر عدة أنفاق ضخمة عددها ثمانية، فيخرج اثنان من كل فرع مؤدٍ إلى فيلا مختلفة عن الثانية وعندما يصلون جميعًا إلى نهاية النفق توجد بصمة لعين كل واحد من الاثنين للنفق الخاص بهم، بجانب لوحة في مكان خفي بها ثمانية لمبات وجميع اللوحات متصلة ببعضها، فعندما تكون البصمة صحيحة لكل من يصل إلى نهاية النفق تضيء اللمبة الخاصة به في الثماني لوحات إلى أن تكتمل الإضاءة في الثماني لمبات، فيعلم الجميع أنهم عبروا الأنفاق جميعًا بسلام فتم المغادرة في نفس الوقت، وإذا لم تتم إنارة اللمبة المخصصة لكل نفق تفهم باقي المجموعات أن هناك من عثر على المخبأ الرئيسي لأفراد المنظمة فيتم إغلاق النفق الذي تم الاستيلاء عليه بحائط وهمي عن طريق الغرفة الرئيسية الخاصة بالزعيم حتى لا يتم الاستدلال على باقي الأنفاق.

يصل عمر وطارق الجامعة صباح السبت فيبحث عن شمس في الكافيتريا فلم يجدها هناك فيتصل بها على هاتفها الجوال فتجيبه بصوت واهن:

- مرحبًا... عمر كيف حالك؟

- عمر: مرحبًا حبيبي... ماذا بك؟

- شمس: لا أعلم استيقظت صباحًا فوجدت حالي على غير ما يرام، وليس لدي قدرة على الحركة فخلدت مرة أخرى إلى النوم؛ فلن أستطيع أن آتي اليوم.

- عمر: هل أحضر لك دكتور؟

- شمس: لا داعي حبيبي لذلك... حاتم اهتم بأمرى وسيظل اليوم بجانبى.

- عمر: هل أنت مقيمة لدى حاتم أم جاء هو إليك؟

- شمس: مقيمة معه.

- عمر: حسناً... سوف آتى إليك الآن.

- شمس: لا داعى لذلك بالله حبيبي فساكون بخير قريباً.

- عمر: لا لا لا،... سأتى لك الآن سلام.

- شمس: انتظر اكتب العنوان... فيلا ٢٦ الياسمين التجمع الخامس.

- عمر: حسناً... سلام.

- طارق: ماذا بها؟

- عمر: لا أعلم تقول إن لديها وعكة صحية وحاتم أخيها بجانبها.

- طارق: حقاً وماذا ننتظر إذًا... هيا بنا نذهب إليها الآن.

- عمر: وهل ستأتى معى؟

- طارق: بالطبع... يلا بينا يا اسطى... مش وقت لغة عربية فصحى.

وبعد مرور ساعة يدق جرس البوابة الرئيسية لفيلا حاتم شكري، فيفتح حارس الأمن لهما ثم يستعلم عن هويتهم ويبلغ حاتم شكري، فيعطيه الإذن بدخولهما ويخرج حاتم لاستقبالهما من على الباب الداخلى للفيلا قائلًا:

- مرحباً د. عمر... كيف أحوالك؟

- فيقدم عمر صديقه طارق: مرحباً بحضرتك يا دكتور حاتم كنت

أود أن أتشرف بمعرفة حضرتك، ولكن لم يكن هناك مناسبة لذلك... دكتور طارق صديقى الصدوق وصديق شمس.

- حاتم: مرحبًا بكما تفضلاً.
- عمر: شكرًا لحضرتك... ماذا حدث لشمس؟
- حاتم: لا أعلم لقد استيقظتُ صباحًا كعادتي أستعدُّ للذهاب للشركة، وسألتُ عم منصور المسئول عن الفيلا هل شمس ذهبت إلى الكلية؟ فقال لي لا... ثم ذهبتُ إلى غرفتها فوجدت ضغطها منخفضًا، فأحضرتُ لها مشروب الكركديه، وقلت لها أن تستريح اليوم وتكون فرصة لأجلس معها أيضًا.
- عمر: وهل هي بخير الآن؟
- حاتم: نعم، الحمد لله... هي أفضل الآن.
- ثم يصعدون إلى غرفة شمس ويطرق حاتم على الباب فتجيبه شمس من الداخل:
- تفضل يا حاتم.
- فيدخل حاتم وطارق وعمر قائلًا: شموسة... لقد قلقت عليك كثيرًا.
- فتبتسم شمس: تسلم يا عمر أنا الحمد لله.
- طارق موجهًا حديثه لـ(عمر): ليس بها أي شيء يا صديقي...
- لقد أفلقتنا بلا داعي، فهي كالبدن وأجمل أيضًا.
- فينظر له عمر: ولماذا أتيت يا أفرع؟
- حاتم: يا الله... ماذا حدث؟
- شمس: لا تهتم فهما دائمًا مثل القط والفأر يمزحان ويتشاجران، اجلسا أنتما الاثنان لسنا بالروضة هنا.
- حاتم: آسف جدًّا... لقد نسيت أن أسألكما ماذا تتناولان؟

- عمر: لا، ربنا يبارك...
- فيقاطعه طارق: ألدركم طعام؟
فينظر حاتم إلى شمس فتبتسم هذه الأخيرة فيوبخ عمر طارق قائلاً:
- لا داعي للفضائح يا صديقي العزيز، فنحن غرباء إلى الآن، ماذا سيقول عنا يا بغل؟
- حاتم مبتسمًا: لا داعي لذلك فما زال الوقت مبكرًا وبالتأكيد لم تتناولوا إفطاركم، أنا سأخبر عم منصور يجهز الفطار.
- طارق: ماذا لديكم من الطعام؟
- فتضحك شمس فيوبخه عمر مرة أخرى: يا الله... الله يخرب بيتك ما تهمد بقي.
- طارق: ماذا حدث؟... هو أنا قلت حاجة غلط.
- عمر: أتمزح حقًا... أنت أصلاً كلك غلط، وجودك في الدنيا غلط.
- حاتم ضاحكًا: لا... لا داعي لذلك دعه على راحته، يقول ما يشاء.
- عمر: لا!!!!!! مستحيل... دا ماينفعش يتساب على راحته هيزروت الدنيا.
- فيبتسم حاتم موجهًا حديثه لطارق: ماذا تريد أن تأكل يا دكتور طارق؟
- طارق: ألدركم أنواع من اللحم؟
- حاتم باندهاش: وهل يتناول أحد اللحم على الإفطار؟!
- عمر: بالتأكيد... هذا الكائن الهولامي... دا كانوا بيرضعوه زبالة مش بيفطر لحمة، قوم امشِ ياض من هنا.
- حاتم مبتسمًا: ليس هناك مشكلة؟ يوجد لدينا اللحم ولكن لا أعتقد أنه جاهز الآن.

- فيجلس طارق على المقعد واضعاً ساقاً فوق الأخرى: حسناً ليس هناك مشكلة؟ إذا كان متوفراً فلا مانع من البدء في تجهيزه... سأنتظره.
- عمر: يا ابني هو أنت في بيت جوز أمك... أنت كلحش كدا ليه يا ض.

- فتضحك شمس: كلحش ماذا تعني هذه الكلمة.
- طارق: هي اختصار لكلمتين... كلح وجحش.
- حاتم: يا ما شاء الله... أعتقد أنها ليست المرة الأولى التي تقال لك.

- طارق: بالطبع لا فأنا معتادٌ عليها.
- فيضحك حاتم: ما شاء الله أعتقد أنك تفتخر بها... ما رأيك أن نذهب أنا وأنت لنرى ماذا لدينا من طعام؟
- طارق مبتسماً: أعتقد أن هذا حل ممتاز.
ويتركان شمس وعمر مع بعضهما ويغادران الغرفة فيبتسم عمر:
- لا أعرف ماذا أقول لك؟
- شمس: لماذا؟

- عمر: تقلقيني هكذا وتنطفئ الأنوار من الجامعة بدونك يا شمس الشموس وأبقى وحيداً شريداً مثل الفائزة من غير ورد يوم العيد.
- فتبتسم شمس: حقاً... فائزة وورد وعيد، ما كل هذه الرومانسية؟... ههههههه.

- فيضحك عمر: بالله لقد قلقتُ عليك كثيراً.

- شمس: كيف حال والد طارق؟

- عمر: الحمد لله بخير.

- ثم يطرق باب الغرفة فيجيب عمر: تفضل.
 - فيدخل طارق وحاتم قائلاً: استمعوا لي... سيأخذ الفطار بعض الوقت ليكون جاهزاً ما رأيكم أن نذهب إلى النادي ونقضي اليوم معاً.
 - عمر: ليس هناك مشكلة ولكن ألم نزعجك؟
 - حاتم: لا أبداً هذا اليوم سنقضيه في حب شموسة حبيتي.
 - شمس موجهة حديثها لحاتم: تسلم يا حبيب قلبي.
 - طارق: إذا كان يوجد في الأمر طعام فأنا جاهز للانطلاق.
 - عمر: أنت جاهز للانفجار وليس للانطلاق.
- ثم يتوجهون جميعاً إلى نادي الصيد في سيارة حاتم وتكون شمس مرتدية أزهى فساتينها متألقة كنجمة سينمائية بجوار فارس أحلامها عمر وحاتم يسير ضاحكاً بجوار طارق بسبب خفة ظل هذا الأخير، وقد حدث بينهم ألفة بسيطة في هذا الوقت القصير.

* * *

تجهزت قاعة استقبال المرشحين لوظيفة مهندس التركيبات بشركة يس المهدي، وتجتمع اللجنة الفنية لاختيار المهندس المناسب لهذه الوظيفة وبالغرفة المجاورة لها إدارة الموارد البشرية، فتقوم السكرتيرة ببناء الأسماء واحداً تلو الآخر حتى جاء دور المهندس زاهر منير، وحينما ذكر اسمه تقدم إلى غرفة الموارد البشرية، وتم اختباره في اللغة الإنجليزية ومعلومات عامة وتم سؤاله عن حياته الاجتماعية وكيفية مواجهته للمشكلة والخطوات الصحيحة لحلها، وإذا حدثت مشكلة بينه وبين أحد زملائه كيف يكون رد فعله وإذا كانت هذه المشكلة بينه وبين مديره المباشر ماذا سيكون رد فعله، وحينما انتهى من تسلسل الإجابات غادر الغرفة منتظراً نتيجة الاختبار

الأول، وبعد مرور نحو نصف ساعة تقريباً قامت السكرتيرة بسرد أسماء من اجتازوا الاختبار وكان من ضمن هذه الأسماء زاهر منير، وعندما جاء دوره للاختبار في اللجنة الفنية برئاسة يس المهدي كان هذا الأخير من بدأ بطرح الأسئلة عليه قائلاً:

- المهندس زاهر منير، أهلاً بك.

- زاهر: أهلاً بحضرتك يا افندم.

- يس: السيرة الذاتية الخاصة بك ما شاء الله بها تدريبات كثيرة ومهارات في التعامل مع ستة برامج هندسية وفترة عملك في المصاعد تدل على خبرة كويسة.

- زاهر: بالضبط يا افندم.

- يس: حسناً أنا يعجبني المهندس الواصل من نفسه... نبدأ الأسئلة الفنية... إذا أردنا تركيب مصعد في مبنى على سبيل المثال... وهذا المبنى لم يكن به مكان يصلح للتخزين، ولكن أمامه بالعرض شارع طوله عشرة أمتار خاص به في حين أن العمارة بها إنشاءات كثيرة وبها عمال في كل وقت، كيف تستطيع تخزين أعمدة المصعد بالتحديد؟

- يندهش زاهر لهذا السؤال فيصمت بعض لحظات ثم يجيب: في هذه الحالة لن أستطيع إرسال الأعمدة إلا في وقت التركيب مباشرة.

- يس: وإذا كان لا بد من التوريد لكي تأخذ جزءاً من المبلغ المتعاقد عليه.

- زاهر: في هذه الحالة سأضطر لوضع الأعمدة على الأرض بجانب بعضها وفوق بعضها كل عمود عكس الآخر ويكون هناك مسافة تسمح للدخول والخروج من المبنى.

- يس: ولماذا لم تقم بتخزينهم في بئر المبنى؟

- زاهر: لأنه في هذه الحالة سيصيب العمود بعض الالتواءات ويصبح غير صالح للتركيب.

- يس: ما هي أقل مسافة مسموح بها بين الثقل وحاملة الركاب.

- زاهر: سبعة سنتيمترات.

- يس: إذا وقف المصعد أعلى من الدور المطلوب بقليل، ما هو أول

سبب يبادر إلى ذهرك لهذه المشكلة؟

- زاهر: المغناطيس الذي يلامس المقابل له في حاملة الركاب

أعلى من مكانه المطلوب، لذلك صعدت حاملة الركاب أعلى من الدور المطلوب، ولم تقف إلا عندما تلامس الاثنان معًا.

- يس: كيف تستطيع تحديد وزن الثقل؟

- زاهر: عبارة عن وزن حاملة الركاب فارغة بالإضافة إلى نصف

حمولة الأفراد الذين بها.

وتتوالى أسئلة يس للمهندس زاهر الواحد تلو الآخر؛ حتى استمرت

المقابلة ما يقرب من ساعة وربع الساعة.

يصل حاتم وأخته شمس وحبیبها عمر وصديقه طارق إلى نادي

الصيد، ثم يجلسون في أحد المطاعم داخل النادي لتناول الإفطار، وبعد

الانتهاء يغادرونه للجلوس بعض الوقت على حمام السباحة، فينتهز

حاتم الفرصة ويبدأ حديثه مع عمر عن مشروع ارتباط هذا الأخير بشمس

قائلًا:

- أخبرني يا صديقي ما هي طموحاتك بعد أن تنال الشهادة الجامعية؟

ماذا تود أن تفعل؟

فيشعر عمر بمغزى كلمات حاتم، وأنه يريد التحدث عن ارتباطه
بشمس فينتسم قائلاً:

- الحمد لله والذي له بعض الأصدقاء في بعض شركات الأدوية
بالقاهرة وخارجها، ومنتظر فقط إلى أن أنهى دراستي الجامعية، وبعدها
سأقارن بين العروض التي ستكون أمامي والأجور وحينها سأقرر...
وبإذن الله إذا وفقت في اختيار عقد جيد إن شاء الله هاطلب من حضرتك
شمس أختك.

- فينتسم حاتم قائلاً: هذا شرف لي أن أناسب شخصية محترمة
مثلك يا دكتور عمر، رغم أنني سيحزُنني أن تبتعد حياتي عني وتروح لغيري
بعدها قررت الإقامة معي.

- فينتسم عمر: شكراً ل حضرتك هذا الشرف لي أنا، وهي أيضاً ستظل
بجانبك لبعض الوقت إلى أن أبدأ حياتي.

ينظر حاتم بمتهى الحب والحنية إلى أخته شمس كنظرة والد لطفلته
التي سيفارقها ويشتاق لها قائلاً: لو لم تكوني أختي ما كان لأحد أن يأخذك
مني.

- فينتسم عمر قائلاً بمرح: احم احم نحن هنا.

- فيضحك حاتم: لا لا... أنا من حقي أنا أغازلها كما أشاء مصرح
لي بكل هذا.

فيضحك طارق موجهًا حديثه لشمس: الجمال لا يختلف عليه
أحد... والعة معاك يا قمر أنت يا مدلع يا محلو النهاردة كدا ليه يا واد.

- فيضحك حاتم وتخجل شمس وتحمر وجنتيها ويوبخه عمر:

- حقاً... إذا تفوهت بكلمة مرة أخرى سأقتلع عينيك من محجر بهما.

- حاتم: ولكن أنا لي بعض التعليقات على أجزاء من حديثك يا دكتور عمر بعد إذنك.

- عمر: تفضل حضرتك.

- حاتم: لقد قلت إن شاء الله ستحصل على أكثر من عرض عمل... هل أنت متمسك بالفعل بمجال الصيدلة؟... ألا تريد أن تعمل في مجال آخر حتى إذا كان جيدًا.

- عمر: كيف بعد مجهود خمس سنوات بالجامعة وثلاثة سنوات أخرى بالثانوية العامة أن أترك هذا المجال؟

- حاتم: أنصت إليّ... باختصار شديد أنت تعلم بالتأكيد أن والدي أنا وشمس كان تاجرًا كبيرًا ولديه شركة لها اسم كبير في الشرق الأوسط، وكان يُديرها وحده لأنني كنت حينها في ألمانيا وشمس كانت وما زالت في مرحلتها الدراسية، فقد كان هو من يدير كل شيء، وفجأة توفاه الله وأصبحت أنا المسئول عن كل هذا وحدي، فأنا أفضل أن تعمل معي ولا تعمل لدى أحد غريب، وتبذل مجهودًا في شيء ليس لك في النهاية منه سوى المقابل المادي، ولذلك أفضل أن تدير معي الشركة وأقصد الجزء الخاص بشمس وذلك بما أنها ستكون زوجتك باعتبار ما سيكون، وكأنك تعمل في شركتك والشركة تكبر أكثر بنا.

- عمر: حقيقةً يا دكتور حاتم الموضوع غريب بالنسبة لي، لأنني أحببت التخصص الذي اخترته، وكنت أمل أن أعمل به، ولكن حضرتك تتحدث في مجال بعيد كل البعد عن مجالي، بالطبع هذه ثقة كبيرة جدًا مُنحت لي مبكرًا، وبالتحديد لأنك تأمني على شركتك، ولكن الأمر صعب بالنسبة لي صدقني.

- حاتم: وما المشكلة في أن تعمل معي في الشركة، وتحاول بناء شيء خاص بك بعد فترة ما بمجالك وتكبر أيضًا، ومحتمل أن تُديرها لك شمس وأنت تتابعها فقط، وفي نفس الوقت تكون أنت بجانبي... استمع لي... لو لم أكن رأيت أنك شاب ذو معدن جيد لم أكن لأقترح عليك مثل هذا الاقتراح، وغير ذلك فأنا أثق في اختيار أختي، ثم إنى سأتمنك عليها بذاتها فكيف لا أتمنك على مالها.

- عمر: أنا مقدر جدًا شعورك هذا ولا أعلم...

- فيقاطعه حاتم: أنا لا أريد منك أي رد الآن، ما زال أمامك الوقت للتفكير في الأمر إلى أن تُنهي دراستك، وبعدها تناقش مع شمس ثم اتخذ قرارك.

ثم يعرض عليهم حاتم أن يقوموا بالسير بعض الوقت بجانب حمام السباحة للاستمتاع بالديكور الخاص بالنادي وجمال تصميمه.

تخرج ياسمين من ملعب التنس هي ودينا ليقوما بتغيير ملابسهما، ثم يصطحبا لارا وندى إلى إحدى الكافيات بالنادي لتناول إحدى المشروبات فتوجه دينا حديثها إلى ندى قائلة:

- عم شارلوك هولموز لماذا لم تؤدِ التمرين معنا اليوم أنت والتُّحفة الأثرية التي بجوارك؟

- ندى: حقًا إنى أصبحت كالمجنونة، منذ يومين وأنا أفكر فيما حدث معنا، ولا أستطيع إيجاد تفسير له.

- دينا: يا الله... أما زلتِ تفكرين بهذا الأمر؟

- لارا: حقيقةً إن لديها الحق في ذلك، أنا لم أعد أفهم شيئًا.

- دينا: إذا كان والد ياسمين أخبرنا في النهاية أن كل شيء حقيقي.
- ندى: نعم... ولكن أنا لم أسمع عن هذا البرنامج من قبل.
- لارا: وهل تجلسين دوماً أمام التلفاز حتى تتأكدي من وجوده أو عدمه؟
- ياسمين: أرجوكن لا داعي لهذا الهراء... وأنهن مشروباتكن لكي نسير قليلاً.
- لارا: لقد انتهيت.
- دينا: حسناً، هيا بنا.
- ثم يتجهن قاصدين حمام السباحة للاسترخاء بجانبه بعض الوقت.
- فترى دينا فتاة ترتدي فستاناً وردي اللون واضعة ذراعها في ذراع شاب برومانسية فتوجه انتباه ياسمين لهما قائلة:
- ما أجمل هذا الفستان، انظري يا ياسمين إليه، إنه أكثر من رائع
- أعتقد أنهم عشاق... كم تمنيتُ أن أكون مثلها.
- وحيثما تنظر ياسمين لهما تقف مكانها من هول المفاجأة في صمت، وتدمع عيناها فتلاحظ دينا ما طرأ عليها من تغيير فتحاول معرفة ما بها:
- ماذا بك؟ لماذا تقفين هكذا؟
- ياسمين بصوت متقطع: ألا تعرفي من يكون هذا الشاب؟
- دينا: وكيف لي أن أعرف؟... من يكون إذاً؟
- ياسمين: دا حاتم الـ...
- دينا: الذي قضى معك يوماً من قبل؟
- ياسمين: نعم،.
- دينا باندهاش: ومن تكون هذه الفتاة التي معه؟

وفى هذه اللحظة يقترب حاتم من المكان الذي تقف فيه ياسمين ودينا، فتقوم هذه الأخيرة بنطق اسم حاتم فيلتفت هذا الأخير ناظرًا لها باندهاش، لأنه لم يرها من قبل وهي تعرفه، وتكون ياسمين في هذه اللحظة مستديرة بظهرها في وجه حاتم فلم يعرفها، ولكن عطرها يثير بذاكرته أنه استنشقه من قبل فيسأل دينا:

- أتناديني حضرتك؟

- دينا باستهزاء: تقريبًا، شيء من هذا القبيل.

- حاتم باندهاش: لستُ أفهم شيئًا... هل تقابلنا من قبل؟

- دينا تنظر لشمس باحتقار: من هذه الفتاة؟

فتثار شمس من طريقة دينا وتهم بالانفعال عليها فيمنعها حاتم قائلاً:

- عن إذن حضرتك.

- فتستوقفه دينا: لماذا لم تجب يا دكتور حاتم؟

فيندهش حاتم أكثر لمعرفة بنوع عمله واسمه معًا فيستدير لها قائلاً:

- الآن أعتقد أنك تعرفيني جيدًا، هل تسمحين لي أن أعرف من

تكونين؟

- دينا باستفزاز: لن أقول لك قبل أن تخبرني من هذه؟

- حاتم مبتسمًا بهدوء: إنها دكتورة شمس أختي حضرتك وهذا

دكتور عمر خطيبها، هل أخبرتيني الآن من أنتِ؟

فتصمت دينا بضع لحظات من الخجل، وتستدير له ياسمين ببطء في

خجل كي يراها فيبتسم حاتم وينطق اسمها بمنتهى الرقة:

- ياسمين.

فتبتسم ياسمين وعيناها شبه دامعتين:

- كيف حالك يا حاتم؟

فيلاحظ حاتم أن عينيها يصبغهما اللون الأحمر فيقلق عليها:

- ماذا بك؟ هل من شيء يزعجك؟

- ياسمين مبتسمة: لا أبداً... أعتقد أنه شيء في الهواء اصطدم بعيني
لكن الآن الحمد لله.

فتبتسم شمس لأنها استنتجت ما حدث وما فعلته صديقة ياسمين من
أجلها فتقدم نفسها لهن قائلة:

- كيف حالك يا ياسمين؟... أنا شمس أخت حاتم، لقد تحدث
عنك كثيراً، ووصف لي جمالك لكن وصفه لا شيء أمام الحقيقة.
- فتخجل ياسمين قائلة: أشكرك جداً... وأنتِ مثل القمر.

ثم تقوم ياسمين بتقديم صديقاتها لهما، ويقوم حاتم بتقديم شمس
وعمر وطارق لياسمين وصديقاتها، ويقترح حاتم بأن يجلسوا معاً حول
حمام السباحة للتعارف ومشاركة الحديث، ثم ينظر طارق إلى دينا بإعجاب
فتلاحظ هي نظراته المتكررة لها فتخجل منه، وتوجه نظرها في اتجاه آخر
بعيداً عنه.

يطرق الرائد حسين باب مكتب العميد رأفت فيجيبه هذا الأخير من
الداخل، فيتقدم الرائد حسين بالتحية العسكرية ثم يعطي للعميد رأفت ملفاً
به تقرير عن ما حدث مع الملازم أول زاهر منير، والذي ينص على أن هذا
الأخير تم قبوله بالفعل في شركة يس المهدي، وتم رفض الضابط الآخر
الذي كان من المفترض أن يقوم بالمهمة فيقرأه ثم يستطرد قائلاً:

- اممممم... وهل هذا الاحتمال كان من ضمن خطتك يا سعادة
الرائد؟

- الرائد حسين: لا، سيادتك.

- فيسخر منه العميد رأفت: وما هي الخطوة التالية إذا التي يجب
اتباعها سعادتك؟

- الرائد حسين: سأجعل الملازم زاهر منير هو الذي يقوم بالمهمة
يا افندم.

فيضرب العميد رأفت بيده المكتب بقوة قائلاً:

- هل تمزح يا سعادة الرائد؟... إنه ليس لديه الخبرة الكافية التي
تؤهله للقيام بهذه المهمة.

- الرائد حسين: يا افندم نحن سندربه إلى أن يصبح أهلاً لهذه
المهمة، وسنكون معه خطوة بخطوة دائماً.

- العميد رأفت: لقد قلت لك منذ البداية أن الخطط التي تُبنى على
الاستنتاجات يُصاحبها الفشل دائماً يا سعادة الرائد، وأنت بالرغم من ذلك
لم تتعظ أيضاً.

- الرائد حسين: يا افندم الأمر ما زال بأيدينا، ما زلنا نستطيع إعادة
رسم الخطة كما نشاء.

- العميد رأفت: استمع إليّ، هذا الضابط إذا حدث له أي مكروه
ستكون أنت المسئول عنه، فهو ما زال صغير السن وحديث العهد بالشرطة،
ولا يعلم شيئاً عن العالم الذي سيذهب إليه، محتمل تجده متحمساً ومنفعلاً
لأداء المهمة، ولكن لن يكون بحجم المخاطر المقدم عليها... إنني أحملك
كامل المسؤولية هل تفهمني؟... كامل المسؤولية.

- الرائد حسين: يا افندم أنا مستعد أن أضع كل مستقبلي بين يديك وأراهن على هذه القضية.
- العميد رأفت: نحن لسنا في صالة قمار يا سعادة الرائد، إذا خسرت ستخرج وكان شيئاً لم يكن، بالطبع لا؛ هذه روح إنسان.
- الرائد حسين: أنا توكلت على الله يا افندم، واتخذت قراري وأريدك أن تعاوني عليه.
- يحرك العميد رأفت رأسه باستياء دليلاً على عدم الاقتناع: لن تتغير سنتظن كما أنت، وتفكيرك هذا سيجعلك دوماً متأخراً عن زملائك.

* * *

- يحاول طارق افتعال حوار بينه وبين دينا حتى يجذبها إليه، بعدما لفتت انتباهه برقتها وهذوئها وجراءتها في نفس الوقت، وأحس بالإعجاب نحوها، أو كما يقولون الحب من أول نظرة فيبدأ الحديث:
- ما هو تخصصك يا باشمهندسة؟
- دينا بخجل لأنه اختصها هي في الحديث بالتحديد: ميكاترونيكس.
- طارق: لا أنا لم أقصد هواياتك المفضلة ولكن تخصص
- دراستك.
- فيشعر عمر بالحرَج فيوكزه بساعده في جانبه، ويوضح له القسم بدون ما يحرجه قائلاً:
- إن طارق يحب المزاح قليلاً، وهو يعلم أن هذا التخصص يجمع بين دراسة الميكانيكا والإلكترونيات.
- طارق مبتسماً ببلاهة: أعتقد أن هذا التخصص له علاقة بأطباق الأقمار الصناعية والتلفاز وهكذا.

- دينا: تقريبًا ما تقوله له علاقة بجزء من تخصصي.

فيحاول عمر تغيير دفة الحديث موجهه إلى ندى حتى لا يفضحهم طارق، فتشعر دينا بهذا فننظر إلى طارق، وتبتسم له برقة دليل على أنها على استعداد للتحديث معه دون حرج قائلًا:

- ندى، هل تقومين بتحليل المواقف التي تمرين بها في حياتك اليومية؟ أم بعد انتهاء الدراسة لم تمارسي مجالك... حيث إن لي أصدقاء كثيرين أهملوا تخصصاتهم بعد إنهاء حياتهم الدراسية.

- فتتدخل لارا في الحديث: لا تقلق من هذا الجانب نهائيًا، فهي دومًا تمارس كل ما تعلمته في الجامعة وتجعل منا فتران تجارب.

- عمر: هذا شيء رائع أنها ما زالت تمارسه.

- فتضحك ياسمين فتسحر قلب حاتم بضحكتها ثم تقول: أعتقد أنك إذا توطلت العلاقة بينكما ستكره كل شيء في حياتك حتى تخصصك أنت، واحتمال تتركه وتعمل كهربائي.

- فيضحكون جميعًا ثم تعتذر له ياسمين قائلة: أستمحيك عذرًا، إنني فقط أمزح معك.

- عمر: لا عليك... أنا أحب المزاح ولكن لماذا تقولين هكذا؟

- لارا: أنصت لي... سأقص عليك موقفًا ما.

ثم تقص عليهم ما حدث لهن الأربعاء منذ يومين من سرقة سيارة ندى، والمكالمة الخادعة وسرقة حقيبة دينا وعودتها، وكيف قامت ندى بتحليل الموقف بدقة، فتلاحظ ندى تغيرًا غريبًا على وجوه أحد الحاضرين ثم يقوم عمر بالرد:

- أعتقد أن هذا شيء رائع.

- دينا: أنت تقول هذا الآن؛ لأنك لم تقنع معنا في حقل التجربة،
انتظر وسترى كل شيء.

- فيوجه طارق حديثه إلى ندى ببراءة طفولية قائلاً: يااه... أعتقد أنه
بإمكانك التسجيل بموسوعة جنس.

فتحمر وجتتا ندى، وتضحك ياسمين ملء فمها، ويبتسم حاتم
واضحاً يده على وجهه من هذا الموقف المحرج، فيضع عمر يده على فم
طارق، ثم يسرع في إصلاح الكلمة قائلاً:

- إنه يقصد موسوعة (Guinness) جينيس يا آنسة ندى التي تضم
إليها الأفراد الذين يقومون بتسجيل أرقام قياسية في أي شيء، ولكنه
لا يستطيع نطق حرف الجيم مُعطشاً.

- ثم توجه لارا حديثها إلى حاتم قائلة: لقد أخبرتني ياسمين أنك
تُحب الشخصيات التاريخية أو القراءة عامةً في التاريخ يا دكتور حاتم.
- حاتم: أنا أحب القراءة عامةً ولكني أفضل التاريخ والألغاز
بالتحديد.

- فتدخل ندى في الحديث: أعني أنك لديك القدرة في حل الألغاز
التي تواجهك في حياتك؟

- حاتم: ليس دائماً، فقد يكون هناك مفاتيح مختفية عن الأنظار.

- ندى: وهل بإمكانك حل هذا اللغز الذي حدث لنا؟

- فيصمت حاتم بعض لحظات ثم يبتسم: حقيقة محتمل أن أقدر
على ذلك، ولكني لم أنتبه بالقدر الكافي لما رويته منذ قليل.

- عمر: لا ترهقي عقلك بالتفكير في هذا الأمر، قد يكون أحد يريد
المزاح معكن.

- ندى: وهل أنت أيضًا تقرأ كتب الألباز يا عمر؟
- عمر: حقيقة لا، أنا أشاهد فقط أفلام مثل ذلك.
- ندى: وما هي نوع الأفلام التي تشاهدها؟
- فيتدخل طارق في الحديث بمنتهى البلاهة: أفلام سيكس.
- فيركله عمر بقدمه ثم يصلح الكلمة سريعًا: يقصد أفلام شيكس.
- فيتسمون جميعًا وتندهش شمس قائلة: وماذا تكون أفلام الشيكس هذه يا عمر؟
- عمر: إنها مجموعة من الأفلام الصينية التي تذكر تاريخ القدماء الصينيين، وكيف كانوا يتصدون لهجمات الغرب عليهم...
- ثم يتتهز طارق فرصة شرح عمر لهم جزء من تاريخ الأبطال الصينيين فيتحدث إلى دينا قائلًا:
- ما رأيك في أن نسير مع بعض قليلًا؟
- دينا بخجل: حسنًا، ولكن كيف ستركهم هكذا؟
- طارق: لا تقلقي، الآن سترين كل اثنين يتحدثان إلى بعضهما، ولن يتبقى غيرنا... هنقعد زي اليتامي كدا مالناش حد.
- دينا بابتسامة رقيقة: ماذا تقصد بكل اثنين؟
- طارق: انظري إلى عمر وشمس بدأ يتحدثان سويًا، وياسمين حاتم سيأخذها من يدها وسيتركونها، وندى ستبدأ الآن بتحليل الموقف لـ(لارا) وتأكل أذنيها، أما أنا فإني أحب الفشار ما رأيك هل تتناولين معي فشار؟
- دينا بأسلوب طفولي: الله، إنا أحب الفشار كثيرًا.
- طارق: حسنًا هيا بنا.

وبالفعل يحدث الموقف الذي استنتجه طارق وكل اثنين يأخذان جانبًا وحدهما، ويذهب طارق ودينا في طريقهما إلى بائع الفشار وتبدأ دينا الحديث قائلة:

- دينا: هل لديك هوايات؟
- طارق: نعم... الغناء.
- دينا: هل أنت جاد فيما تقول؟
- طارق: بالتأكيد ولكن بالورقة والقلم.
- دينا: هل تقصد أنك تكتب الشعر؟
- طارق: لا، إنني أجيد فن الرسم، وأقصد أنني أستطيع رسم أي شيء حتى إذا رأيته مرة واحدة فقط.
- دينا: أعطيني مثال لذلك؟
- طارق: مثل عيونك، حينما رأيتهما رسمتهما بقلبي، جمالهما لا أستطيع وصفه ولا أستطيع النظر لغيرهما، كلما حاولتُ النظر لشيء آخر يوبخني قلبي لذلك، وتنزعجُ روعي مني، فأجدهما يسرقاني من ذاتي.
- فتخجل دينا لحديثه فتحاول تغيير مجرى الحديث إلى المرح: الله الله... هل تغازلني حقًا؟
- طارق: أتعلمين... أنا من اليوم لن أرسم شيئًا غيرهما، سأرسم كل يوم لوحة لهما، وأضعها في كل مكان في غرفتي لكي لا ترى عيني شيئًا غيرهما، حينما أدخل إلى النوم أحلم بهما وحينما أستيقظ أجدهما أمامي.
- دينا برقة: أودُّ أن أخبرك أنني أخجلُ من هذه الكلمات.
- طارق: وأنا أعشُّقُ تفاح وجنتيك.
- فتضحك دينا من قلبها لإطراؤه على حمرة وجنتيها.

الفصل العاشر

يتصل الراحل حسين العزازي بالضابط زاهر منير، ثم يطلبه إلى مكتبه هو وصديقه المقدم صلاح رشوان فتمر نصف ساعة ويصل هذا الأخير إلى مكتب الراحل حسين، فيعرض عليه هذا الأخير آخر تفاصيل الخطة، فيصمت صلاح بضع دقائق فيستحثه حسين على الحديث قائلاً:

- ماذا بك يا صلاح؟ لماذا لم تخبرني برأيك فيما توصلت إليه؟
- صلاح بعد تردد: يا صديقي أنا لا أعلم ماذا أقول لك؟
- حسين بتوتر: أنا أريد رأيك بمتهى الوضوح.
- صلاح: أنصت إليّ يا حسين... ما توصلت إليه ربما يكون جيداً، ولكن تقريباً سبعون بالمائة منه بُني على الاستنتاجات وهذا خطأ، لأنني لا أريد ما حدث للوصول عبد الفتاح أن يحدث لظاهر أيضاً، لأنك الآن تسير على نفس خطواتي وبنفس الأسلوب الذي كنت أنتهجه أنا، وإذا حدث لظاهر مكروه لا قدر الله ستكون كارثة بحق.
- حسين: حسناً... إذا كانت لديك أي أفكار بالله عليك أخبرني بها؟
- ليس بيدي الآن سوى ما عرضته عليك.
- في هذه اللحظة يطرق الملازم أول زاهر منير باب المكتب فيأذن حسين له بالدخول فيدلف إلى الداخل ويغلق خلفه الباب قائلاً:
- تمام سيادتك يا أفندم، حضرتك استدعتني.

- حسين: تفضل يا زاهر استريح.
- ثم يقوم بتقديم صلاح له وأنه كان الضابط المسئول عن ملف القضية من قبله، وأن له خبرة سابقة بهذه القضية فيتحدث زاهر:
- هذا شيء رائع لكي أستفيد من خبرة حضرتك.
- صلاح: يتضح لي أنك شاب طموح ومغامر.
- زاهر: شكرًا لسيادتك يا افندم.
- صلاح: لكن هل المغامرة عندك لها حدود؟ أم...
- زاهر بارتباك: لم أفهم ماذا تقصد سيادتك؟
- صلاح: أنا أقصد إذا كانت المغامرة مأمنة ومعلوم نهايتها لن يكون هناك مشكلة في تنفيذها، ولكن إذا لم تكن مأمنة ونهايتها مجهولة هنا المعنى يختلف والمضمون أيضًا يختلف، وتتحول لمخاطرة وليست مغامرة.
- زاهر: سيادتك أنا على أتم استعداد لتنفيذ المهمة مهما بلغت خطورتها و...
- فيقاطعه صلاح فيصدمه قائلاً: حتى إذا كانت نهاية المخاطرة حياتك... ستذهب ولن تعود... بداية ليس لها نهاية.
- فتمر لحظات من الصمت وزاهر مذهول من عبارة صلاح فيعاود هذا الأخير حديثه مرة أخرى:
- لماذا لم تجبني يا حضرة الضابط؟
- زاهر: يا افندم ما تقوله حضرتك هذا يوحي بأن الخطة ليست مأمنة بدرجة كافية، وأنها مليئة بالثغرات.
- صلاح: شيء رائع... لقد استتجت ما أريد قوله؟
- زاهر: أتقصد... أن استتاجي هذا صحيح؟!

- صلاح: أنصت إليّ يا زاهر... المعلومات التي لدينا بها نسبة شك كبيرة جدًّا، وهذه المنظمة قامت بتأمين نفسها بطريقة غير طبيعية، وهذه القضية غير كل القضايا التي تعرضنا لها قبل ذلك، أو اكتشفناها من قبل... وأنا أقصد أنهم يستطيعون إدخال البضاعة بأسلوب غريب ونحن إلى اليوم لم نستطع كشفهم، أسلوب غير الذي تشاهده في الأفلام العربي الخاصة بنا، لدرجة لم يعد أماننا غير طريقة واحدة نكتشف بها أسلوبهم هذا، وهو أن هذه المنظمة كما تعلم تعمل في المصاعد بالفكرة التي استتجها الرائد حسين أن البضاعة ستكون مُخزّنة بداخل ماكينات رفع المصاعد في الأجزاء الخاصة بالموتور الداخلى حتى يصبح الأمر من الصعب أن يشك به أحد، أو يحاول فتح ماكينة كبيرة مثل هذه لمجرد الشك بدون دليل، وبالرغم من ذلك في نفس التوقيت التي كانت ستصل فيه الشحنة الماضية أصدرنا قرارًا وكان هذا القرار على مسؤوليتي الشخصية بالبحث في كل المنتجات الواردة لبعض رجال الأعمال المشكوك في أمرهم، وكان منهم شركة يس المهدي والتي بالطبع أنت تعمل بها الآن، ولكن قرار البحث هذا تم تسريه لأحد أفرادهم، وقاموا بعمل حركة تنقلات للحاوية الخاصة بهم من سفينة لسفينة أُخرى كان من المفترض أن تصل بعد فترة البحث التي حددناها والتي موعدها تم تسريه أيضًا لهم، وقد اكتشف حركة التنقلات هذه الرائد حسين، فنحن أملنا الوحيد الآن أن نبحث في الماكينات القادمة في الحاوية الجديدة التي ستصل ميناء الإسكندرية بعد شهر، ولكن بأسلوب غير مباشر وهو عن طريقك وتكون في مخازنهم.

- زاهر: كل ما قلته حضرتك شيء رائع، ولكن كيف أستطيع البحث في الماكينات داخل المخازن، وهذه بالتأكيد ستحتاج موافقة من يس بك؛ لأنه بالطبع ممنوع العبث بها.

- صلاح: ما تقوله بالفعل صحيح، ولذلك نحن نريدك خلال هذا الشهر أن تبذل مجهودًا مضاعفًا لدرجة أن يشعروا بأنك لست مهندسًا عاديًا، بل أنك خبير، وأعتقد أن هذا الأمر يسير بالنسبة لك؛ لأنني علمت من الرائد حسين أن تقديرك امتياز، وأنت متفوق وباحث علمي شاطر، وتمتاز بمهارات كثيرة فأنا واثق فيك جدًا... فمن هنا عندما تصل هذه الماكينات ستحاول أنت أن تختلق أي مشكلة في ماكينة قديمة تكونوا قمتم بتركيبها بالفعل قبل ذلك، وتقدم تقريرًا بأن بها عطب ناتج عن مشكلة في الصناعة، وأنه لا بد من إحلال مكوناتها لتعرف ما هي مشكلتها، والتي بالطبع أنت تعلم حلها لأنك أنت من افعلتها... ومن هنا تكون هذه هي بداية التنفيذ، عندما تأتي الماكينات الجديدة تقدم طلبًا بالكشف على كل هذه الماكينات حفاظًا على سمعة الشركة وأرواح الناس وكل ذلك إلى آخره، وتكون الفرصة حينها بين يديك.

فتمر لحظات صمت فيلاحظ حسين التوتر البادي على وجه زاهر فيسأله:

- ماذا بك يا زاهر في أي شيء تفكر؟

- زاهر بارتباك: أفكر... حضرتك في أكثر من شيء.

- حسين: مثل ماذا؟... نحن نود مشاركتك هذه الأفكار.

- زاهر: أنا ليس لدي أي اعتراض على تنفيذ المهام المطلوبة مني والتي أوضحها لي سيادة المقدم، ولكن هناك شيء هام الآن، إذا كان يس المهدي يقوم بتخزين المخدرات داخل أجزاء الماكينات، فكيف سيسمح لمهندس جديد مثلي أن يقوم بإحلال مثل هذه الماكينات ويكتشف ما بداخلها؟ فمستحيل بالطبع أن يوافق على شيء كهذا، لتظل طريقته سرية كما هي... الشيء الثاني فلتفترضوا أنني رفضوا أن يقوم أي مهندس حتى

إذا كان كبير المهندسين بذاته أن يعبث بالماكينه، وأنهم سيرسلون تقريراً بالمشكلة للشركة الرئيسية لكي يصلحوا هذه المشكلة، ومحمّل أن تُكذب الشركة الرئيسية كل هذا، بالطبع لأن لديها قسم اسمه تأكيد الجودة والذي يحمل شهادة الأيزو وهذه شهادة جودة عالمية، وأنهم قاموا بالاختبارات اللازمة لكل الماكينات قبل أن يتم إرسالها، وأن المشكلة بالتأكيد بسببنا وهذا على سبيل المثال... الشيء الثالث أنهم قد يستدعون الخبراء الأجانب من الخارج لكي يبحثوا هذا الأمر ويتوصلوا إلى حل في النهاية، فاعذروني إنني أرى أن هذا الموضوع ليس منطقياً أن يقبله يس المهدي... حينها ستكون خطتنا فشلت.

فينظر حسين وصلاح إلى بعضهما ويتسم هذا الأخير ابتسامة هادئة في لحظة يرتبك فيها حسين ولا يعلم كيف يجيب على زاهر، فيندهش حسين لهدوء صلاح ويسأل هذا الأخير:

- بماذا تفكر يا صلاح؟

فيعاود صلاح الابتسام بهدوء ثم يوجه حديثه إلى زاهر:

- لا شيء... لا تشغل بالك بأمر التقرير هذا والخبراء الأجانب يا زاهر، أنا أريدك فقط أن تنفذ ما قلته لك، وهم لن يحتاجوا للأجانب إذا أنت أثبت كفاءتك كما قلت لك.

- فيتعجب حسين من رد فعل صلاح لأن حديث زاهر منطقي حول هذه النقطة فيعترض قائلاً: كيف لا يشغل باله يا صلاح هو يبي...-

- فيقاطعه صلاح: سأوضح لك كل شيء فيما بعد، المهم الآن أن تنفذ ما أقوله لك يا زاهر.

- زاهر: حسناً يا افندم ولكن حضرتك لم تخبرني كيف سيوافق يس أن يعبث أحد بماكيناته وهي بها البضاعة؟

- صلاح: هذا الأمر هام جدًّا، إذا رفض يس بالفعل الكشف على الماكينات سيصبح لدينا احتمال من ثلاثة، الأول أن البضاعة بالفعل داخل الماكينات واستنتاج الرائد حسين صح، والثاني أنه خائف على الماكينات وسيرسل عبر البريد الإلكتروني رسالة للشركة الرئيسية بما حدث... وإذا أرسل بالفعل هذه الرسالة للشركة الرئيسية فمحمتم أن تكون الماكينات قد تم تخزينها في مخازن أخرى، وتم إحلال مكوناتها لأخذ البضاعة منها وسيستتج من هذه المشكلة أن هذا حدث أثناء الفك والتركيب... أما الثالث والأخير وهذا ما أخشاه... أن تكون البضاعة لم تدخل البلد بهذه الطريقة، وأن استنتاجاتنا كلها خاطئة وحينها ستكون كارثة محققة.

- زاهر: وكيف لنا أن نعلم هل بالفعل أرسل الرسالة أم لا؟... وإذا لم يرسلها، ثم وافق أن أكشف على الماكينات أعتقد بالطبع لن يكون بها شيء... حينها أيضًا لن نستطيع الوصول للمكان الذي تم التخزين به.

فيصمت صلاح وحسين لحظات وينظران إلى بعضهما ثم يتردد زاهر

قائلًا:

- اسمح لي يا أفندم أنا أفكر في شيء أعتقد أنه ممكن يلائم قضيتنا

هذه.

- صلاح: تفضل يا زاهر.

- زاهر: حضرتك اسمح لي بتغيير سياق الخطة نوعًا ما... أنا سأطالب بأن أذهب لأستلم شحنة الماكينات بنفسني من الميناء، بحيث أكون أكثر حرصًا في حركة انتقال الماكينات من الميناء إلى سيارات الشحن، وأعتقد أنهم لن يعترضوا على ذلك، إلا إذا كانوا بالفعل يقومون بتخزين الماكينات على مرحلتين ليفرغوا منها المخدرات، في هذا الوقت ستأكد أن هناك شيء غير طبيعي، ومن هنا نبدأ عملية المراقبة لهم منذ لحظة دخولها

الميناء ثم تتابع خط سيرهم... وإذا وافقوا سيكون هناك احتمال آخر، هو أن الماكينات بعدما تصل مكان التخزين الرئيسي لها، يأتي الطاقم الخاص بالمخدرات ويبدأ في تفريغها بعد فترة العمل الطبيعية والناس المسئولة عن المخازن تذهب إلى منازلها.

- صلاح: حسناً... وفي هذه الحالة ما الذي تقترح فعله؟

- زاهر: في هذا الوقت ستكون هناك قوة سيادتك محاصرة للمكان ومُتَّفَق معها من قبل، إذا دخلت مجموعة من الأفراد المخازن بعد مواعيد العمل الخاصة بالدوام الأصلي، يقومون بالهجوم مباشرة وفي حذر بعد توقيت محدد.

- حسين: أعتقد أنك لست شاطر فقط في الهندسة، وإنما شاطر في أشياء أخرى أيضاً.

- صلاح: أتمنى أن يكون هذا التفكير صحيحاً.

ثم يعطي صلاح لزاهر بطاقة إئتمان وكما رآها زاهر واعتقد ذلك فيسأل باندهاش:

- ما هذا يا أفندم.

- صلاح: ماذا تعتقد أنت؟

- زاهر: إنها بطاقة إئتمانية.

- صلاح: هذا ما أردت أن أسمعه منك... ما بيدك الآن بالفعل هي

تشبه البطاقة الائتمانية ولكن الجزء النحاس هذا عبارة عن خط هاتف وهذه من الوسائل الحديثة للاتصال بدون أن يشعر أحد أنك تتحدث في الهاتف.

- زاهر: لست أفهم شيئاً، وكيف استخدمها... أعني كيف أستقبل

المكالمات أو أسمعها أو أتحدث منها.

- فيضحك صلاح قائلاً: كيف تكون مهندس وتقول ذلك... خذ هذه أتعلم ما تكون؟

- زاهر: إنها سماعة بلوتوث.

- صلاح: شيء رائع هذه السماعة مبرمجة مع البطاقة الإثمانية تلقائياً، وهذا يعني عندما أتصل بك ستستقبل السماعة الإشارة تلقائياً، ويبدأ الحديث بدون أوامر منك، وستضعها في أذنك في وقت محدد سأقول لك عليه، والذي سأحدثك فيه أنا أو الرائد حسين كل يوم، مع العلم أن شحتهم حسب تقارير حالة ركود وانتعاش السوق بالمخدرات تتم كل ثلاثة أشهر، فأنت من اليوم معك شهرين تقريباً.

- زاهر: ولماذا لا يكون التواصل بيننا طبيعياً عن طريق الهاتف المحمول ومواقع التواصل الاجتماعي.

- صلاح: لأنه بسبب هذا الموضوع قُتِلَ قبلك... رجل كان من أكفأ الرجال لأنهم استطاعوا أن يخترقوا هواتفه ويكشفوا تواصله معنا... وآخر شيء مهم أريد أن أقوله لك لا تقبل من أي فرد شيئاً شخصياً وتجعله دائماً معك وتحديداً في الوقت الذي سنحدثك فيه.

الفصل الحادي عشر

- مساء الخير يا زعيم.

يقولها النائب الخاص بهذا الأخير فيرد عليه قائلاً:

- مساء النور... خير، لماذا أردت أن تقابلني؟

- النائب: سيادتكم لم تقل لي على الطريقة التي ستدخل بها البضاعة القادمة بعدما علمت الشرطة بأمر الميناء آخر مرة... هذا غير أنك قمت بتغيير موعد الاستلام دون أن تناقشني.

- الزعيم: لم يكن لدي الوقت الكافي لكي أبلغك، كان لا بد أن أتخذ قراري في أسرع وقت... أما بالنسبة لموضوع دخول الشحنة، فسيكون بنفس الطريقة الماضية، ولكن بشكل جزئي لكي يعلم ضباط الشرطة أنهم مجموعة من الفشلة، بعد هذه الخطة التي اقترحوها... وهذه الكلمات ليست بالطبع موجهة لك، وإلا ما كنت لأتركك تقف أمامي الآن.

- النائب: ماذا تقصد بشكل جزئي؟... لم أفهمك بعد.

- الزعيم ضاحكاً: ليس من الضروري أن تفهم، وقت الاستلام ستفهم كل شيء.

- النائب: ولماذا هذه المرة لم تقل لي؟... ألم تعد تثق بي؟

- يصمت الزعيم لحظات: الموقف لم يعد يحتمل الثقة بأحد، أنت متأخر عن ترقيةك والجيش والشرطة الآن أصبح لهم قيمة، محتمل أن تضرب عصفورين بحجر واحد مال وترقية وسُمنة ورتبة جديدة.

- فيقف منفعلًا النائب قائلاً: كيف تتحدث إل...
- فيخرسه الزعيم بإشارة من يده قائلاً بهدوء: أنا هنا من يعطي المال وألعب بكم كالشطرنج، فلدي الحق لأقول ما أريد لأي كائن.
- النائب محاولاً تهدئة نفسه: ولماذا أصبحت ترتاب بي بعد كل هذا الوقت؟
- الزعيم ضاحكًا: حُسن الختام.

* * *

- يعود طارق وعمر إلى منزل الأخير بعد أن قضيا يومًا ممتعًا برفقة صديقات ياسمين فيجلسان كل منهما على مقعد ثم يبدأ طارق حديثه:
- أتعلم يا عمر المهندسة دينا رقيقة جدًا.
- فيتسم عمر: أنت... أنت منك لله لقد شوهدت صورتنا أمامهن، وما زالت العلاقة بيننا لم تتوطد بعد.
- طارق: أنا كلما تفوهت بشيء لا بد أن يكون خطأ.
- عمر مندهشًا: ألم تشعر بأنك تفعل أشياء غير منطقية لا تليق بك كطيب... دا أنت يا ابن المفلحة حتى المصطلحات اللي بتحاول تستخدمها بتنطقها غلط.
- طارق: يا صديقي زلة لسان، لم أقصد ذلك.
- عمر: ربنا يهديك... هيا اخلد إلى النوم الآن لنستيقظ مبكرًا حتى لا نتأخر على باص الجامعة.
- طارق: هل محتمل أن نراهن مرة أخرى.
- عمر يقذفه بالوسادة في وجهه: لا أعلم وقلت لك دعني لأنام.

تعود ياسمين وصديقاتها إلى فيلاتها فيسهرن يتحدثن حول ما حدث اليوم، ولقائهن بحاتم وعمر وشمس فتقول لارا:

- ولكن لماذا لم تخبريني أنه وسيم هكذا؟

- فتبتسم ياسمين: ليس لهذه الدرجة.

- ندى: وطارق صديق عمر عقله ليس طبيعياً مستحيل أن يكون

طبيعياً.

- فتتظر لها دينا باستغراب: ولماذا؟

- ندى: ألم تري كيف يتحدث؟ وطريقة نطقه للكلمات أيضاً كلها

خاطئة... إنه يحتاج أن يذهب لدكتور تخاطب... دا دماغه في البلالة بتلؤ

من جوه.

- فتوجه لارا حديثها لدينا: لحظة واحدة من فضلكم، ماذا بكِ

يا قطتي الصغيرة؟ لماذا تدافعين عن كائن الروك هذا؟

- فتذفها دينا بحقيبة يدها: حرام عليكِ لا تقولي عليه هكذا إنه

إنسان ذو قلب نقي، وما المشكله أن يكون جسده رياضي ورشيق؟!... لا بد

أن يكون مثلك يا أنثى البطريق لكي يُعجبك.

- لارا بانفعال: أنا أنثى البطريق؟ إذاً ماذا تكونين أنت؟

- فتضحك ياسمين: إذا كتتن تريدن المشاجرة اخرجن من المنزل.

- لارا: هي من بدأت أولاً؟

- ندى: لا لا لا، لحظة واحدة، أنت أخطأت في حق حبيب قلبها

وهي لا بد أن تدافع عنه.

- ياسمين: ما شاء الله هذه المقابلة الأولى بينكما، أعتقد أنك تسيرين

على نهج سيد درويش... ليلة امبارح مجاليش نوم وإحنا لسه في أول يوم.

- دينا: يا الله يكفي هذا، أنا... أنا لا أريد أن يظلمه أحد ونحن ما زلنا لا نعرف عنه شيئاً.

- لارا: لا داعي للتمثيل صديقتي العزيزة، أخبرينا بما في قلبك.

- دينا: ليس هناك شيء.

- ياسمين: يا دينا يا حبيبتي لا تخجلي فكل شيء واضح بعينيك، قصي علينا ما حدث لأنك ستكونين قرطاس تسالي هذه الليلة من كثرة الاستهزاء؟

- دينا: حسناً... سأقص عليكم ما حدث، ولكن لا أحد يستهزأ بي.

- ندى: يبقى أكيد عك في الكلام.

ثم تقص عليهن دينا ما حدث بينها وبين طارق، وما اتفقا عليه فيضحكن لأسلوب طارق العفوي الذي يتحدث به.

* * *

بعد مرور عدة أيام توطدت فيها العلاقة بين حاتم وياسمين وأصبحا يلتقيان تقريباً يوماً بعد يوم، يتحدثان ويتبادلان الكلمات العذبة على ضوء الشموع في أحد المطاعم تارة وعلى غروب الشمس في صفحات النيل العذب تارة أخرى، تنمو وتزدهر علاقة أخرى ويزداد عمق الحب بين دينا وطارق، وأصبحت تزوره أحياناً في جامعته وتقضي معه بعض الوقت في المزاح والمرح، وتسخر من كلماته العفوية فيعشقها أكثر وأكثر، ويتمنى لو تنتهي دراسته اليوم قبل غد حتى يستطيع اقتناص هذه اليمامة الهادئة لقلبه إلى الأبد، فيبدأ جدياً في رسم مستقبله وكيف سيكون بعد أن وجد أجمل وأسمى أهدافه، التي أعادت له الحياة وأزهرت فيها بابتساماتها الجميلة، فيتحدث إلى عمر صديقه وشمس بعد خروجهما من المحاضرة الأولى قائلاً:

- عمر كنت أريد أن أتحدث معك في أمر ما أنت وشمس.
- عمر: تفضل يا صديقي كلي آذانٌ صاغية.
- طارق: في الوقت الحالي الحمد لله أبي قد سُفي وُردت إليه صحته من جديد... فأنا كنت أريد أن أتحدث معه في أمر ميراثي من أمي رحمها الله لكي أبدأ حياتي.
- شمس: ولما العجلة لم يعد باقيًا على انتهاء الدراسة سوى شهرين فقط وبعدها تحدث معه كما تشاء.
- طارق: أنتم لا تعرفون ما أعرفه، المشكلة هنا أنه يوجد مجوهرات خاصة بأمي رحمها الله، كانت تحتفظ بها لأجل يوم زفافي لأهادي عروستي بها، ومنها أهم شيء أيضًا عقد الملكة فريدة، هذا العقد كان جدي رحمه الله والد أمي اشتراه من مزاد أعلنه الجيش عن المجوهرات الخاصة بالعائلة المالكة بعد رحيلها، ثم أهدها إلى أمي يوم زفافها وظلت محتفظة به إلى أن توفاه الله، وأنا يساورني القلق من والدي أن يضعف أمام سحر زوجته ويهديه لها... ساعتها أنا ممكن أقلب مجنون وأخلص عليها وعلى اللي خلفوها كمان.
- عمر ضاحكًا: اهدأ يا مجنون... استمع إليّ... اذهب إلى والدك واجلس معه واطمن على أخباره، وقل له إنك أوشكت على إنهاء دراستك وأنت تفكر في مستقبلك الآن، وتريد أن تعرف ماذا يود أن يفعل معك، ومن خلال مناقشته معك ستصل إلى ما تريد.

* * *

يخرج حاتم من مكتبه متجهًا إلى أحد المطاعم بالتجمع الخامس لتناول وجبة الغداء برفقة حارسه الخاص، فيدخل إلى مول الداون تاون

ويتجه إلى مطعم الفرائي دايز ثم يجلس على الطاولة المخصصة له دائماً
ويأتيه النادل ياسر قائلاً:

- حاتم بك، أشرفت الأنوار بوجودك يا افندم... كيف أحوال
حضرتك؟

- حاتم: الحمد لله يا ياسر... كيف أحوالك أنت؟

- ياسر: الحمد لله يا افندم.

ثم يقدم ياسر له قائمة الطعام ولحارسه الخاص وينصرف تاركاً لهما
بضع دقائق لكي يختارا الوجبات.

- حاتم يسأل حارسه: ماذا ستأكل يا علي؟

- علي: شكراً يا افندم لست جائعاً الآن؟

- حاتم: أنا لا أخيرك، أنت ستأكل معي.

ثم يأتي النادل ويسجل طلباتهما وينصرف لتجهيزها وإحضارها،
وبعد عشرين دقيقة تقريباً يحضر النادل الطعام، ويتناولاه علي وحاتم وأثناء
ذلك يرن الهاتف الجوال الخاص بالأخير فيجيب مازحاً:

- يس بك، مرحباً أيها الرجل العجوز.

- يس: مرحباً بك... هل ياسمين معك؟

- حاتم: لا، لم أقابلها اليوم... هل هناك شيء ما؟

- يس: لقد اتصلت بها أكثر من مرة ولم تجبني؛ فأعتقدت أنها معك.

- حاتم: أعتقد أنها لم تتبه لهاتفها.

- يس: حسناً... شكراً.

- فيقوم حاتم بالاتصال بـ(ياسمين) فتجيبه: حاتم كيف حالك؟

- حاتم: الحمد لله يا أجمل ياسمين في الدنيا.

- فتبتسم ياسمين: أين أنت؟
- حاتم: إني أتناول وجبة الغداء الآن... يس بك اتصل بي وأخبرني أنه اتصل بك كثيرًا وأنت لا تجيبين.
- ياسمين: لم أنتبه للهاتف، وعندما انتبهت كنت سأتصل به فوجدتك تتصل بي.
- حاتم: حسناً... اتصلى به حتى لا يقلق.
- ياسمين: حسناً ماذا ستفعل بعد الغداء؟
- حاتم: سأذهب إلى المكتب؛ لأنهي بعض الأعمال.
- ياسمين: ما رأيك أن نتقابل جميعًا اليوم؟
- حاتم: أين؟
- ياسمين: في المقطم هناك كافيه رائع عندما تجلس داخله تجد نفسك بأعلى القاهرة.
- حاتم: ما اسمه؟
- ياسمين: فيرجينا.
- حاتم: ما عنوانه؟
- ثم يخرج قلمًا وورقة ويسجل العنوان ويضع الورقة في جيبه ويغلق المكالمة فتأتيه مكالمة أخرى من يس المهدي فيجيب:
- مرحبًا يس بك.
- يس: حاتم أريدك بمكتبي الآن.
- حاتم: هل هناك مشكلة؟
- يس: نعم،... وأرجو أن لا تتأخر.

فينهي حاتم طعامه على عجلة ثم ينادي النادل لدفع الحساب ويغادر المطعم تاركًا خلفه عليًا حارسه الشخصي يكمل طعامه.

يدخل حاتم إلى مكتب نيثين فتسمح له بالدخول فورًا إلى مكتب يس المهدي حسب تعليماته فحينما يراه:

- خير يا يس بك، ما المشكلة إذًا؟

- يس: هناك شيء غريب لم أفهمه بعد.

- حاتم مندهشًا: ما هو؟!

- يس: ظهرت مشكلة في الماكينات الجديدة التي نقوم باستيرادها من ألمانيا في سرعة الرفع، وعندما أرسلت رسالة للشركة الرئيسية بهذه المشكلة، قالوا لي مستحيل أن تخرج الماكينة من مصنعهم وبها هذه المشكلة، وأرسلوا لي رسالة أخرى بها فيلم خاص بكل ماكينة وعليها الرقم السري الخاص بها أثناء اختبارها ونتائج الاختبار، وعندما أرسلت رسالة للمصنع لكي أتأكد من الرقم السري الخاص بهذه الماكينة، وجدته بالفعل متطابقًا، وبالطبع هنا الشركة أخلت مسؤوليتها عن أن المشكلة ليست منهم وأكدوا لي أن هذه الماكينة تم العبث بها.

- حاتم: هذا يعني أننا إذا أرسلناها لهم ستكون تكلفة الشحن علينا أو إذا استدعينا أحدًا من خبراءهم ستكون أيضًا التكلفة علينا.

- يس: بالطبع هذا ما سيحدث... ولكن هناك شيء حدث مؤخرًا... أنا منذ ثلاثة أيام قمت بتوظيف ثلاثة مهندسين جدد منهم واحد حاصل على تقدير امتياز وحاصل أيضًا على المركز الأول في دفعته ومتفوق جدًا.

- حاتم يقاطعه: ما شاء الله... ولماذا لم توظفه الجامعة أستاذًا بها؟

- يس: أنا أيضًا تملكنتي الدهشة وسألته نفس السؤال، فقال لي إنه ليس لديه موهبة الشرح ويريد أن يمارس الحياة العملية أكثر... المهم هذا

المهندس بالفعل مجتهد جدًا وهذه شهادة مدير الإدارة الفنية للمجموعة وكبير المهندسين وكبير العمال، وأنه لا يدخر مجهوده في العمل، وأنه عندما اكتشف أن هناك مشكلة في الماكينة قام بإرسال طلب للمدير الفني بأن يصلحها وبالطبع من أجل الضمان تم رفض طلبه، ولكنهم أخبروني بكل هذا وبعد مناقشتي مع المدير الفني اقترح أن نعطي له هذه الفرصة لأنه بالفعل حدثت أعطال كثيرة في ماكينات المقص والتنايات بالمصنع وكان هو الذي يصلحها بدون أمر مباشر من رئيسه، وبالتالي قام بتوفير بعض الأموال على الشركة لأنه كان لا بد من استدعاء المهندسين المختصين بهذه الماكينات، فأنا بالطبع بعد كل ما حدث أعجبت به أكثر وأردت أن أعطي له هذه الفرصة، وقبل أن أتخذ القرار النهائي كان لا بد من مشاركتك فيه... ما رأيك؟

- حاتم: أعتقد بناءً على ما أخبرتني به، يتضح لي أنه مهندس ممتاز بالفعل، وإذا كان بهذه الكفاءة فانا أحترم هذا النوع من الشباب، ورأيي الشخصي حتى إذا لا قدر الله لم يستطع إصلاحها، تكلفه خروجها من الضمان لن تكون كبيرة، لكن إذا ربنا أكرمه واستطاع بالفعل إصلاحها أعتقد سيكون وفر علينا الكثير... وأصبح له قيمة كبيرة بالمصنع وفي الشركة.

- يس مبتسمًا: ذلك كان رأيي أيضًا، ولكن أردت أن أستفيد منك.

- حاتم: العفو يا يس بك.

وبالفعل يصدر يس قرارًا بإعطاء الفرصة للمهندس زاهر في إصلاح الماكينة التي حدثت بها المشكلة، ويغادر حاتم مكتب يس المهدي بعد انقضاء ثلاث ساعات بينهما في التحدث في أمور أخرى خاصة بشحنة الماكينات الجديدة القادمة، ثم يذهب إلى ياسمين وباقي أصدقائه لقضاء باقي اليوم معهم.

بعد أن أثبت زاهر كفاءته العملية في شركة يس المهدي في أيام قليلة، وإصلاحه لعيوب كثيرة في الماكينات الخاصة بالتصنيع والماكينات الخاصة بالمصعد، والتي كان هو السبب في هذه العيوب حتى تحدث تأثيرها في نفوس من حوله، أصبح الكثير من العمال والمهندسين يحترمون عقليته وأسلوبه في التفكير، وطريقته السلسة في حل المشاكل والأخطاء دون معاقبة أحد المخطئين وإعطائهم فرصة أخرى دون جزاء، مما أكسبه حب واحترام كل من حوله لطريقته الودودة في العمل، حتى أصبح قريباً جداً من مدير عام الإدارة الفنية الخاصة بمجموعة شركات يس المهدي، فتصل هذه المعلومات لهذا الأخير فيطلب مقابلة زاهر، وبناء على ذلك يتوجه ذلك الأخير صباح اليوم التالي للإدارة لمقابلته فتطلب منه نيفين الانتظار لإبلاغه:

- يس بك، المهندس زاهر منتظر حضرتك بقاعة الاستقبال... حسناً.

- نيفين: تفضل يا باشمهندس يس بك في انتظارك.

- زاهر: صباح الخير يا افندم... ما أخبار سيادتك؟

- يس بإعجاب ظاهر: بالطبع أولاً أحب أن أهنئك على مجهودك العظيم في حل المشكلة الخاصة بآخر ماكينه، وتأكيداً على ذلك طلبت منهم أن يكافئوك مكافأة ممتازة على ما قدمته للشركة، لأنني أحب أن أقدر الذين يعملون معي حق قدرهم ولا أبخس قدراتهم في شيء.

- زاهر مبتسماً: يا افندم يكفيني شهادة حضرتك، إنها وسام أعتز به

على صدري.

- يس: أنت بالفعل مهندس ممتاز، وأنا أحترم عقلك، وأنت تستحق

هذا... أخبرني إذًا... ما أخبار العمل معك والمواقع المسئول عنها؟

- زاهر: كله الحمد لله سيادتك وهذا بالطبع بفضل توجيهاتك

وتوجيهات مدير الإدارة الفنية.

- يس: ومنتجع الضحاح... ما أخباره؟ كم مصعد متبق لم يتم تركيبه إلى الآن؟

- زاهر مندهشاً: أسف... سيادتك موقع الضحاح هذا تم الانتهاء منه منذ ثلاثة أيام وتم تسليمه إلى الاستشاري أيضاً والحمد لله بدون أي ملاحظات.

- يس باستغراب: حقاً ما تقول... لم يخبرني أحد بأنه تم تسليمه أو حتى الانتهاء منه.

- زاهر: لا تقلق سيادتك يا افندم... كل شيء على ما يرام والموقع تم السيطرة عليه.

- فيتسم يس: إن طريقتك غريبة يا باشمهندس.

- زاهر: معذرة... لم أفهم سيادتك.

- يس: أقصد أنها مثل طريقة ضباط الجيش (سيادتك) و(يا افندم) و(تم السيطرة عليه) هل سبق لك الخدمة في الجيش من قبل؟

- فيتجهم وجه زاهر ويحاول إخفاء ارتبائه: لا... ولكن... كان هناك ضباط فنية عسكرية يقومون بتدريس بعض المواد لنا، فكانت هذه الطريقة هي التي يفضلون التعامل بها عن سواها، فتقريباً ما زالت عالقة بذهني إلى الآن.

فيتسم يس معجباً بأخلاق زاهر وتدخل إلى المكتب في هذا التوقيت ياسمين مبتسمة لتحيي والدها، فتخلب لب زاهر حينما يراها من جمالها الفتان وتتركز عيناه على تفاصيلها ويتفحصها من أسفل قدميها لرأسها ثم يقدمه لها يس قائلاً:

- أقدم لك شاباً من أكفأ المهندسين لدينا، ما شاء الله استطاع أن يثبت كفاءته في فترة صغيرة جداً، ولديه أيضاً حماس ونشاط غير طبيعيين.

- ياسمين: مرحبًا بك يا باشمهندس.
- زاهر: مرحبًا بحضرتك يا افندم... سعدت بلقاءك... عن إذنك يا يس بك، أنصرف أنا لتأخذ راحتك مع آنسة ياسمين.
- يس: حسنًا يا باشمهندس.
- وقبل أن يهم بالخروج يستوقفه يس قائلاً: لحظة واحدة يا باشمهندس، أنا أريدك في أمر هام.
- زاهر: تفضل حضرتك.
- يس: بالطبع بعد المشكلة الأخيرة التي أُكْتُشِفَتْ في الماكينة التي قمت بإصلاحها، أريدك أن تكون مع الطاقم الذي سيستلم الشحنة القادمة، لأنني لا أريد أن تحدث أي مشكلة أخرى، أنت من اليوم واحد من القلائل الذين يمكن الاعتماد عليهم.
- فيحاول زاهر كبح جماح فرحته من هذا الطلب الذي جاء له على طبق من ذهب قائلاً:
- إنه شرف لي يا افندم وأنا في خدمة حضرتك لكن... أرجو من سيادتكم أن ترسل رسالة للمدير الفني، لكي أستطيع تنفيذ تعليمات حضرتك من أجل التسلسل الوظيفي فقط، أعتقد حضرتك متفهم الموقف.
- فيبتسم يس لاحترام هذا الشاب لذاته ولرؤسائه في العمل قائلاً:
- ليس هناك مشكلة.
- وبعد أن يغادر زاهر مكتب يس تسأل ياسمين والدها عنه، فيقص عليها من هو وكفاءته في العمل، وكل ما بذله من مجهود في سبيل الشركة فتشني عليه ياسمين بالمدح.

الفصل الثانی عشر

بعد مرور عدة أيام من حديث طارق لصديقه عمر وشمس عن ميراثه الخاص بوالدته ومجوهراتها يقوم بالاتصال بوالده قائلاً:

- مرحباً أبي... كيف حالك الآن؟

- والد طارق: الحمد لله يا حبيبي... كيف حالك أنت؟ وما أخبار

دراستك وصحتك؟

- طارق: الحمد لله... أنا أريد أن أتحدث معك يا أبي في أمر ما.

- والد طارق: حسناً يا بُني تفضل.

- طارق: ليس في الهاتف فأنا أريد مقابلتك.

- والد طارق: ليس هناك مشكلة... تفضل في المنزل.

- طارق: لا، أفضل أن نتقابل في قهوة حسني.

- والد طارق: ألا تريد أن تأتي إلى منزل أبيك يا طارق يا ولدي؟

- طارق: أرجوك يا أبي هذا سيكون أفضل.

- والد طارق: حسناً... متى تريد مقابلتي؟

- طارق: هل يناسبك الآن؟

- والد طارق: نعم.

- طارق: حسناً سأقابلك هناك بعد عشر دقائق؟

ثم يذهب طارق إلى القهوة المتفق عليها، فيجد والده مُتظره هناك فيجلسان معاً ويبدأ والده الحديث:

- خير يا بُني ماذا بك؟ هل تحتاج للمال؟

- فيتسم طارق: شكراً يا أبي... أنا فقط أريد أن أتحدث إليك.

- والد طارق: تفضل يا بُني.

- طارق: يا أبي أنت تعلم أنه لم يتبق الآن غير شهرين أو أقل، وحينها سأبدأ حياتي العملية ومستقبلي الجديد، ولذلك أنا أريد أن أستفسر منك عن موضوع إرثي من أمي رحمها الله.

- والد طارق: يا بني أنت تعلم أن أموال والدتك رحمها الله تركتها وديعة باسمك في البنك، وشرطها أنك لا تستلمها قبل أن تتم الواحد وعشرين عاماً، وأنت الآن ما شاء الله تخطيت هذا العمر ومن حقك أن تستلمها، وأنا ليس لي دخل بهذا الأمر.

- طارق: يا أبي إنني أعلم أمر الوديعة... ولكنني لم أقصد ذلك، أنا أقصد المجوهرات الخاصة بها فأنا أريدها.

- فيصمت والد طارق بضع لحظات ثم ينظر لطارق بحزن: ليس هناك مشكلة يا بُني ولكن...

- فيقاطع طارق: ولكن ماذا؟... ماذا حدث يا أبي؟

- والد طارق: هذه المجوهرات عفاف رأتها وأعجبت بها واحتفظت بها.

- فيحمر وجه طارق من الغضب منفعلًا: وكيف تسمح لها بذلك؟... إنها ليست ملكك ولا من حقها أن تأخذها.

- والد طارق: يا بني أنا... أنا أعتقد أنها ستحتفظ به يومين ثم تتركها.

- طارق بانفعال مستمر: يا والدي احترامًا لك ولرغبتك، عندما قررت أن تتزوج لم أعارضك في شيء، لأنني كنت مقدر كل السنوات التي كنت تجلس على راحتي بها وحدك حتى لا يكون لي زوجة أب تضايقني، وكنت دومًا كبيرًا في نظري وستظل أبد الدهر كبيرًا بنظري، حتى عندما تركت الشقة والتي من المفترض أن نصفها باسمك ونصفها باسم أمي وبناءً على ذلك أنا لي حق بها، وبالرغم من ذلك لم أجادلك في هذا الأمر ولا أخرج إحساسك بكلمة واحدة، ونفذت رغبتك لكن ما لم أقبله ولن أسمح به، أن أي إنسان مهما كان يضع يده على شيء من أشياء المرحومة أمي، وأنا لا أطلبك بأن تعطيني هذه المجوهرات اليوم، ولكنني أريدها في أقرب وقت لأنني إلى الآن لا أريد أن أتعامل معها شخصيًا، ولكنك تعلم إذا هي تعمدت أن تقف في طريقي... ماذا سيكون رد فعلي؟... عن إذنك.

وينصرف طارق تاركًا خلفه والده مندهشًا لما سمعه منه هذه المرة، والحزن بادٍ في عينيه لهذا الموقف الذي وضعهما فيه القدر، ويتمنى لو لم يفرقهما شيء ولو لم يحدث بينهما مثل هذا الخلاف، وفي نفس الوقت لا يعرف كيف يتصرف مع زوجته الجديدة، التي شعر بجانبها أنها أعادت له أيام الصبا والحياة الوردية التي طالما افتقدها بعد وفاة زوجته الأولى.

بعد أن أصبحت شمس وعمر وطارق وحاتم أصدقاء، تكونت صداقة جديدة أيضًا بينهم وبين أصدقاء ياسمين، وأصبحوا مجموعة كبيرة يصطحبون بعضهم دائمًا في كل مكان يذهبون إليه، ويستمتعون كل يوم جمعة بقضائه مع بعضهم البعض، واتفقوا هذه المرة أن يقضوا يومًا على ضفاف النيل على اليخت الخاص بحاتم، وعندما وصل هذا الأخير كان يصطحب معه حارسه الشخصي، ليعطيه بعض المستندات ليسلمها إلى

سكرتيرته الخاصة في الشركة، وحينما غادر حارسه السيارة رأته دينا وهي تغادر سيارة صديقتها ياسمين، فتنادي على الأخيرة وباقي صديقاتها لارا وندى قائلة:

- يا بنات يا بنات... إنه هو بالله أنه هو، أنا متأكدة.

فتندهشن جميعًا من غرابة الموقف وتسألها ياسمين:

- من تقصدين؟

- دينا: هذا هو المصور علي الذي جاء إلى منزلي من قناة إم بي سي مصر، وكان معه المذيعة التي تدعى سلمى، لكي يصورا البرنامج الذي أخبرتكن به، فينظرن إلى بعضهن ويتضح لهن جميعًا الموقف، ويصمتن لحظات ثم تبدأ ندى في تحليل الموقف قائلة:

- لحظة واحدة... لحظة واحدة لقد بدأت أفهم، أعني أن هذا الشاب صاحب حاتم.

- فتتظر لها ياسمين: بالطبع لا، أعتقد أنه الحارس الشخصي له.

- لارا: أنا لم أعد أفهم شيئًا، أتقصدين أن من فعل بنا كل هذا المزاح هو حاتم.

فيبدأ وجه ياسمين في الإحمرار والخجل لما حدث لصديقاتها من حبيبها فتقول دينا:

- وماذا سيستفيد حاتم من ذلك؟

- ندى: اصمتي اصمتي... إنه قادم علينا، أنا فهمت كل شيء، وسأوضح لكم الأمر فيما بعد.

فيقترب منهن حاتم فيجدهن ينظرن إليه بابتسامة صفراء فينظر لهن قائلاً:

- ماذا حدث؟ لماذا تقفن هكذا؟
- ندى: سؤال يا حاتم بعد إذنك، من كان معك بالسيارة؟... الهلف
دا يبقى مين؟
- فيتسم حاتم: هلف... هلف مين؟... من تقصدين؟
- لارا: الرجل الأقرع الذي كان معك الآن... الشخصية اللي من غير
ساتر في دماغها دا.
- فيتسم حاتم مندهشاً: إنه علي الحارس الشخصي الخاص بي...
ولكن لماذا تستهزءون به هكذا؟
- دينا: أعتقد أنني رأيته من قبل.
- حاتم: وما المشكلة؟ محتمل أن تكوني رأيته معي من قبل.
- ياسمين ساخرة: أو في قناة إم بي سي مصر.
- حاتم مندهشاً: إم بي سي مصر!! أعتقد شخصاً يشبهه، فإنه لا
يتركني إلا عندما أخلد للنوم.
- ثم يصطحبهم حاتم إلى الممر المؤدي إلى اليخت حيث ينتظرهم
شمس وعمر وطارق، فيجد حاتم ياسمين تنظر له شذراً وصدقاتها بيتسمن
له ابتسامة صفراء، فيشعر بأنهما على معرفة بشيء ما خاص به، وحينما
يستريحون على مقاعدهم ويسلمون على بعضهم البعض تبدأ ندى الحديث
قائلة:
- أتذكر يا حاتم الأمر الذي روته لكم في مقابلتنا الأولى بالنادي.
- فيصمت حاتم لحظات ثم يقول: في الحقيقة لا، ما هو؟
- فتبتسم ياسمين وصدقاتها قائلة: موضوع سرقة حقيبة دينا وسيارة
... لارا و...

- فيقاطعها حاتم: نعم... نعم... تذكرت الآن.
- فتقول ندى: لقد علمت من فعل بنا ذلك... اللي سفخنا القلم دا.
- حاتم مرتبكا: حقاً... إنه شيء رائع، ومن يكون إذًا؟
- فتبتسم ياسمين رافعة حاجبها قائلة: أنت.
- فيرتبك حاتم أكثر ويحمر وجهه بعض الشيء ويعبث بياقة قميصه وينظر طارق وعمر وشمس لبعضهم ثم إلى حاتم، فيحاول هذا الأخير السيطرة على أعصابه قائلاً:
- وما علاقتي بهذا الأمر؟
- ثم يحاول طارق من تخفيف حرارة الموقف قائلاً:
- ماذا دهاكن؟
- فتبتسم ندى قائلة: سأشرح لكم الموقف بالكامل... سعادة السفير حاتم بك بالطبع أحب الأميرة ياسمين، وكان يريد معرفة كل شيء عنها ليستطيع أن يجذبها له، فماذا يفعل إذًا؟... طلب من الحارس الخاص به أن يجمع هذه المعلومات عنها، وبالطبع علي الحارس الخاص به استأجر فتاة وأحضر كاميرا ومايك، ثم اتصلا بـ(دينا) وضحكا عليها، وبالطبع لأن لدينا صديقة مغفلة لم تسألها عن أي إثبات شخصي لهما، وبالطبع أخبرتهما بكل شيء يريدان معرفته عنا أو بالتحديد عن الأميرة ياسمين، وكل هذه المعلومات في النهاية ذهبت لحاتم وبدأ يخطط كيف يكون مع أميرة الحب لوحدهما؟ وبدون أن يزعجهما أحد، وبالطبع أخبر أباهما لكي يكملوا الفيلم.
- فتبتسم شمس ناظرة لأخيها قائلة: يا ابن المجنونة! حقاً هل فعلت كل ذلك؟

- فيضحك حاتم ويضع يديه على وجهه قائلاً: ألم يقل عبد الوهاب رحمه الله ومن الحب ما قتل؟

- فتتظر له ياسمين قائلة: ماذا أفعل معك الآن؟

- فيحاول عمر تهدئة الموقف: أعتقد أنك يجب أن تقدمي له ولاء الحب والرومانسية، ولا تتبعدي عن قلبه ولو ثانية، لأن من يفعل ذلك لكي يصل إلى من يحبه، ويظل بجانبه لا بد وأن يكون إنساناً مُتِيماً بقلبه.

فتبتسم ياسمين وصديقاتها لحديث عمر عن الحب الظاهر والكامن في أعماق حاتم لها ثم تبدأ لارا قائلة:

- إذا كان ذلك حقاً... فأنا عن نفسي سأكون أول من تسامحك على هذه المزحة البشعة وليس من أجلك ولكن من أجل الأميرة ياسمين.

فيبتسموا جميعاً ويستكملوا يومهم مع بعضهم في الضحك والمرح وقضاء يوم ممتع بصحبة النيل والشمس الهادئة، ثم يتجهون إلى مقدمة اليخت فعندما كان جميعهم يبتسمون ويداعبون بعضهم البعض يأتي شاب اسمه محمود وهو أحد المسئولين عن اليخت ويقدم شيكاً لحاتم قائلاً:

- حاتم بك... السكرتير الخاص بشركة المرسى للبلاستيك أحضر لسيادتك هذا الشيك، وقال إن البنك رفض صرفه لأن التوقيع به غير مطابق للتوقيع المسجل بالبنك على السيستم.

- فينظر حاتم إلى الشيك قائلاً: إنه محق... لقد نسيت أن أكتب التاريخ... ممكن تحضر لي قلمًا يا محمود لأنني فقدت قلمي ولا أعرف أين هو.

ثم يجد حاتم طارقاً ودينا شاردين وبعيدين تمامًا عن أجواء الرحلة فيقترب منهما حاتم ويضع يده على كتف طارق قائلاً:

- ماذا بك يا صديقي؟... ألم تعجبك هذه التزهة؟

- طارق: إنها جميلة حقاً، ولأننا جميعاً مع بعضنا.
- حاتم: أعتقد أن هناك شيء يشغلك، هل أزعجك أحد... هل يكون القمر الذي بجانبك؟
- فبتسم دينا في خجل: لم أفعل له شيئاً مطلقاً، ولكن هناك أمر ما يحيره.
- حاتم: وما رأيك أن تقصه علي؟ محتمل أن أساعدك... بالطبع إذا لم يزعجك هذا.
- طارق: بالتأكيد لا يزعجني... أنت كأخي.
- حاتم: إذا فلتقص علي ما يزعجك... أنا كلي أذانٌ صاغية.
- فيبدأ طارق في سرد قصته ومشكلته مع والده على مسامح حاتم من بدايتها إلى نهايتها حتى ينتهي قائلاً:
- هذا كل ما في الأمر، ولا أعرف ماذا أفعل؟ وهو لم يفعل لي غير كل شيء جميل بحياتي، بل إنه كل شيء بحياتي، ولكنني خائف عليه منها.
- حاتم: أخبرني مرة أخرى ما اسمها؟
- طارق: عفاف زينهم... هل سمعت به من قبل.
- فيصمت حاتم لحظات قائلاً: هل تحتفظ بصورة لها؟
- طارق: أعتقد ذلك.
- ثم يخرج هاتفه من جيبه ويبحث عن صورة لها، ثم يريها له فتجذب انتباه حاتم لبضع لحظات من الصمت فيبتسم طارق قائلاً:
- هل أعجبتك أنت الآخر؟
- فيبتسم حاتم: لا ليس هذا ما في الأمر... ولكن أعتقد أنها ليست من مستواكم الاجتماعي.

- طارق: هذا هو ما كان يطيح بعقلي في بادئ الأمر.

- حاتم مبتسمًا: لا ترهق نفسك بالتفكير في الأمر كثيرًا، أنا أعتقد أن عمر كان لديه الحق هو وشمس في نصيحتهما لك، اهتم فقط الآن بدراستك وبعد ذلك سنكون جميعًا بجانبك وليست فقط هذه البسكوطة التي بجانبك، ومحتمل في هذه الفترة من الوقت لحين انتهاء دراستك أن يمل منها والدك ويطلقها أو تموت.

- طارق: يارب.

* * *

يتصل الرائد حسين العزازي بالملازم زاهر حسب الخطة المتفق عليها، فيخبرهم زاهر بما توصل إليه مؤخرًا من تطورات العملية وثقة يس المهدي به، واختياره واحدًا من لجنة استلام شحنة الماكينات الجديدة القادمة لضمان سلامتها، فيطلب منه حسين الاستمرار على هذا النهج دون أي مبالغة لحين الوصول للحظة المنشودة، ثم يغلق معه المحادثة ويقوم بالاتصال بالمقدم صلاح رشوان وإبلاغه بما وصل إليه من خطوات جديدة تجعله على مقربة من النهاية المطلوبة، فيطلب منه صلاح إبلاغ العميد رأفت فهمي بهذه التطورات كي يستطيع الإلمام بزمام الأمور، ووضع اللمسات النهائية لهذه القضية، وبالفعل ينفذ حسين كلام صديقه صلاح ويبلغ العميد رأفت بكل شيء فينتسم هذا الأخير قائلاً:

- أخيرًا يا حسين سيتم حل هذه القضية المعقدة... ربنا يوفقك... بالرغم من أنني لم أكن مؤيدًا خطتك في البداية، ولكن أنت بالتأكيد مُقدّر موقفي لأن القيادة العليا لم تؤمن بهذا، ولكن بعد الذي توصلت إليه أنا أهنتك وأحفزك أن تستمر وتتابع زاهرًا وتطلب منه أن يكون حذرًا في كل خطواته القادمة لنصل لهذه المنظمة التي تدمر الشعب.

فبيتسم حسين لإطراء قائده على خطته مجاهدًا البحث عن كلمات لشكره قائلًا:

- إن شاء الله يا افندم سنصل لهم ونغلق هذا الملف نهائيًا ونكون عند حسن ظن سيادتك.

* * *

بعد أن قضى الأصدقاء يومًا جميلًا على اليخت الخاص بحاتم يصطحبهم هذا الأخير في جولة بعيدة عن النيل قائلًا:

- سأخذكم الآن إلى مكان لن تنسوه أبدًا.

- شمس: إلى أين ستأخذنا يا تومااا؟

- حاتم: سنذهب إلى خان الخليلي.

- ياسمين: الله... لقد طلبت كثيرًا من أبي أن نذهب إلى هذا المكان ولكنه كان يرفض دائمًا.

- حاتم: ليس هناك مشكلة يا قمر حياتي، اليوم ستذهبين وترين كل ما هو جميل هناك وستزور عدة بازارات رائعة.

وبعد مرور ما يقرب من ساعة يصل حاتم وأصدقاؤه إلى خان الخليلي، ويسIRON في طرفاته الضيقة مارين بمقاهٍ يصدر منها أصوات أغاني قديمة لـ (أم كلثوم) وعبد الحليم حافظ ومحمد عبد الوهاب وغيرهم، ويمرون بأكثر من بازار على يمينهم ويسارهم وعندما يصلون إلى بازار اسمه بازار نفرتيتي يتحدثهم حاتم قائلًا:

- هذا البازار به كثير من التحف التي صنعت يدويًا، ومن صنعها عبقرى بحق، الذي يراها مستحيل أن يميز بينها وبين الأصل.

- فتحدث ندى إلى لارا قائلة: يلا يا عم شامبليون... ادخل اكتشف ما يحلو لك.

- فتبتسم لارا لحاتم قائلة: أنت بحق رائع يا حاتم فمن يحب التاريخ لا بد وأن يكون إنساناً عبقرياً.

- فتنظر لها ياسمين شذراً: انتبهي لكلماتك سيدتي حتى لا أجعلك أيضاً من القدماء؟

- فتبتسم ندى: ابتعدي عن القرش.

ويدخلون جميعاً إلى بازار نفرتيتي، ويتجه كل واحد منهم إلى ما يجذب انتباهه، فيبتسم حاتم وينظر لهم ثم يقترب منهم ليرى بماذا يحدق كل فرد من أصدقائه، فيذهب أولاً إلى حبيبة القلب فيجدها تحمل بيدها تمثالاً لـ(يوليوس قيصر):

- شيء غريب حقاً... ولماذا هذا التمثال؟

- ياسمين: لأنك تحبه، وعندما رأيت صورته أردت أن أرى تمثاله واقرأ الكلام الذي كُتِبَ تحته... وقد كُتِبَ أنه كان من أقوى الأباطرة الذين حكموا الرومان، وأنه أول من حمل لقب قيصر الروم وكل الملوك الذين جاءوا من بعده حملوا نفس اللقب.

- حاتم: ليس هذا فقط، أيضاً الشهر السادس في الشهور الميلادية سُمِّيَ باسمه يوليوس... وأيضاً هو أول من حمل لقب إمبراطور وليس قيصر فقط... هذا غير أن مجلس الشيوخ أعلن وقتها أن يمنحه لقب (دكتاتور إلى الأبد)، وأيضاً أصدرت دار صك العملة الرومانية ديناراً علي أحد وجهيه اللقب الجديد لقيصر وبجانبه صورته.

- فتبتسم ياسمين: ما شاء الله... أعتقد أنك تحبه بشدة.

- حاتم مبتسماً: ولكن بالتأكيد ليس أكثر منك يا ملكة قلبي.

فيكسو وجه ياسمين حمرة الخجل من إطراء حاتم لها، ثم يتجهان صوب لارا عاشقة الآثار، فيجدونها ممسكة بأحد تماثيل الجميلة التي حكمت مصر نفرتيتي فيداعبها حاتم قائلاً:

- حقاً... مجنونة تمسك سيدة السعادة بالطبع لا يعلم أحدكم من تكون هذه.

- ندى مازحة: ليس لهذه الدرجة نحن لسنا جهلاء... إنها نفرتوتو.

- فييتسم حاتم: هل تعلمون كيف كانت بزمانها؟

- فتقاطعه لارا قائلة: لحظة من فضلك، أنت الآن تقتحم أرضي،

فيعتذر حاتم في مرح مشيراً لها بيده لكي تتحدث هي فتكمل:

- في بادئ الأمر إنها لقت بسيدة السعادة لأنها كانت تتفائل كثيراً بالمستقبل، ومعنى اسم نفرتيتي (الجميلة آتية)، ثانياً هي الملكة الوحيدة في التاريخ المصري القديم التي صممت التاج الخاص بها بنفسها، والذي ترونه الآن والذي جعلها أيضاً مميزة عن غيرها من الملكات، هذا غير أنها استوحت فكرته ولونه من تاج الحرب الذي كان يستخدمه الجنود في الحرب واسمه (خبرش)، كل هذا شيء وما سأقوله الآن شيء آخر تماماً... نفرتيتي هي الملكة الوحيدة التي قامت بنفس طقوس الملك الحاكم، والتي تم صنع لأجلها تماثيل أيضاً بنفس حجم تماثيل الملك الحاكم، بالرغم من أنه في أي أسرة أخرى كان تماثل الزوجة الملكة الرئيسية مهما شاركت زوجها الملك في الحكم، تكون حجم تماثيلها تقريباً نصف حجم تماثيل الملك الحاكم هذا غير...

- فتقاطعه دينا قائلة: يكفي هذا يا سيدتي رع، نحن محتمل أن نبقي

بجانبا إلى أن يشاء الله، ولن تنتهي من سرد القصص... هيا بنا.

- فييتسم حاتم: هل يريد أحدكم أن يشتري شيئاً ما، صاحب هذا

البزار صديقي وسيخفض لنا الأسعار.

فاختار كل شخص منهم التمثال الذي جذب انتباهه، فاختارت ياسمين بالطبع يوليوس قيصر وأهدته لحاتم، لارا تمثال نفرتيتي، دينا تمثال رمسيس الثالث وأهدته لطارق، شمس تمثال أختاتون وأهدته لعمر، واحتارت ندى في ماذا تختار ولكن انتهت حيرتها أخيراً على اختيار تمثال حتشبسوت.

- يرن هاتف والد طارق فيجد أن ابنه هو المتصل فيقوم بالرد عليه:
- مرحباً يا طارق... كيف حالك يا حبيبي؟
- طارق: الحمد لله يا أبي.
- طارق: ماذا فعلت بالأمر الذي تناقشنا به؟
- وأثناء حديثهما في الهاتف يرن جرس الشقة، فتذهب عفاف لترى من بالخارج فتجد الصبي مدقوق ابن حرقاهم أمامها فترتبك قائلة:
- ينيلك إيه اللي جابك هنا يا واد... ماتنطق بسرعة عايز إيه يخرب بيتك؟
- مدقوق بصوت صبياني مرتفع: كيف حالك يا خالتي عفاف؟
- عفاف: اخفض صوتك... وانت مال أمك متتيلة... ماذا تريد؟
- مدقوق مبتسماً: أمي تخبرك بأنها ستأتي لك غداً هي وخالتي أم مطهرة ليشربوا معك الشاي وتقول لك تفضلي هذه.
- ثم يعطيها ورقة ويتركها راکضاً على السلم، فتفتح عفاف الورقة لتجد مكتوب بها: عفاف سنأتي لك غداً لنشرب معك الشاي، أرجو أن نكون لوحداً بدون زوجك.
- وتسمع فجأة زوجها ينادي عليها قائلاً: ماذا جرى يا عفاف؟ من الباب؟

- فترت بك عفاف: إنه... إنه عامل النظافة يا حاج.
- والد طارق مندهشًا: عامل النظافة!!... الآن.
- فتحاول عفاف تغيير مجرى الحديث قائلة: لا تشغل بالك... ولكن أخبرني ماذا كان يريد طارق؟
- فلا يجروء والد طارق على إخبارها بما تحدثنا فيه حتى لا تنفعل عليه وتغضب منه، فيختلق حديث كذبًا:
- لا شيء... إنه فقط يطمئن علي.

- يخرج عمر وشمس من المحاضرة الثانية، فيجدان طارقًا منزو في ركن من أركان كافيتريا الجامعة، فيذهبان إليه وتستحنه شمس على الحديث:
- لا أسكت الله لك حسًا... ماذا بك يا صديقي العزيز؟
- طارق: لا شيء... ولكن تحدثت مع أبي في الموضوع الذي أخبرتكم به.
- عمر: وماذا حدث إذًا؟
- طارق: لا شيء إنه خائف أن يأخذهم من زوجته حتى لا تغضب منه وتترك له المنزل.
- شمس: لا تقلق يا طارق، ولكن ضع بعين الاعتبار مشاعره فلم يمر على زواجهما فترة كبيرة أعط له فرصة لحين انتهاء الدراسة.
- طارق والدموع تملأ عينيه: وأنا... أنا يا شمس أليس هذا حقي؟ يكفي أنه طردني من شقة أمي رحمها الله، ولم أجادله وبالرغم من ذلك فهي تستخدم أشياءها وهو خائف أن يعطيها لي حتى لا تغضب منه... من الأهم يا شمس؟ الذي قضى معه عشرون سنة من عمره كل شيء يفعلانه سويًا كل

وقتهما مع بعض، أم التي قضت معه عدة أسابيع وتطمع في أمواله وهو يعلم ذلك... من يا شمس؟

ثم تنحدر دمعة من عينيه فتدمع له عين شمس ويحزن عمر لآلام صديق عمره، ويربط على كتفه محاولاً تهدئته فينفع طارق قائلاً:

- أقسم بالله لن أتركها نهناً بأي شيء من أشياء المرحومة إذا فكرت أن تضع يدها عليه هخل...
ثم يقاطعه عن وعيده رنين هاتفه الجوال فيجد رقم حبيبته دينا فيجيب قائلاً:

- صباح الخير يا دينا... كيف أحوالك؟

- دينا: الحمد لله... ماذا بك؟ صوتك ليس على ما يرام.

- طارق: لا شيء... الحمد لله.

- دينا: هل أنت بخير؟ ألم يحدث شيء لوالدك؟

- طارق: لا، الحمد لله يا حبيبتي كلنا بخير.

- دينا: هل سأراك اليوم؟

- طارق: حسناً... كما تشائين.

- دينا: مارأيك أن نتقابل الساعة الثانية في الزمالك في كافيه بويتري؟

- طارق: حسناً... إن شاء الله سأكون هناك الساعة الثانية.

ثم ينهي حديثه مع دينا فيجد عمر وشمس ينظران إليه في حزن فيبتسم طارق بسخرية قائلاً:

- ههه... هل حالتي يرثى لها لهذه الدرجة؟

- فتربط شمس على كتفه قائلة: لا داعي لهذا، حاول أن تُهدأ من نفسك ولا ترهقها بهذا الأمر كثيراً، الآن أهتم فقط بدراستك وسيتيسر الأمر بإذن الله... لا داعي للعجلة وقد اقترب كل شيء من النهاية.

- فيحرك طارق رأسه في يأس ثم يهيم للنهوض فيسأله عمر: إلى أين أنت ذاهب؟
- طارق: سأذهب لمقابلة دينا.
- عمر: أليس الموعد في الساعة الثانية؟... الساعة الآن لم تتجاوز الثانية عشر والرابع.
- طارق: أعلم ذلك، ولكن أريد أن أسير لبعض الوقت.
- عمر: أتريد أن آتي معك.
- طارق: لا داعي يا صديقي، فأنا أريد أن أكون وحدي.
- وبعد أن ينصرف طارق تنظر شمس لعمر في أسى قائلة:
- إني خائفة على طارق من نفسه.
- عمر: لعل الخير يكمن في الشر.

* * *

- يذهب المدير الفني إلى المصنع فيجد زاهرًا منبسطًا أسفل إحدى ماكينات التصنيع، ليصلح أحد أجزائها فيندهش قائلاً:
- مهندس زاهر... أليس من المفترض الآن أن تسلم موقع ريحانة؟
- فيخرج زاهر من تحت الماكينة قائلاً: يا افندم الموقع تم تسليمه بالفعل أمس الساعة التاسعة ليلاً.
- فيندهش المدير الفني: هل قضيت بالفعل ليلة أمس في إنهائه؟
- زاهر مبتسمًا: وتم تسليمه أيضًا يا افندم... لقد أغلقت ملفه تمامًا.
- فيبتسم المدير الفني: بالله أنا لا أعلم ماذا أقول لك؟... وهذه الماكينة ماذا بها؟

- زاهر: لقد جئتُ لتأكد من الخامات الجديدة المرسلة إلى أسوان، لأنك تعلم أنه ليس هناك احتمال للخطأ، فأخبروني أن هذه الماكينة بها مشكلة فأردت أن أفحصها... والحمد لله الآن يستطيعون تشغيلها.

- المدير الفني: الله ينور عليك يا هندسة... أخبرني، كم من الوقت يحتاج مشروع أسوان لإنهائه؟

- زاهر: أعتقد شهرًا ونصفًا.

- المدير الفني: لا لا لا لا،... هذا كثير، نحن نريده فقط في شهر واحد.

- زاهر: صعب جدًا حضرتك إنهم ستة مصاعد، وكل مصعد يتكون من أربع مراحل رئيسية، وهذا يعني أربعًا وعشرين مرحلة، الأمر ليس سهلًا، وشهر ونصف هذا أيضًا أقل من المعدل الزمني المخصص لهم، وبذلك سيكون الضغط كبيرًا جدًا.

- المدير الفني: المشكلة تكمن في أنه تم إضافتك معنا في اللجنة الفنية لاستلام الشحنة الجديدة، حسب تعليمات يس بك شخصيًا.

- زاهر: وأين المشكلة إذًا؟ الشحنة الجديدة ما زال أمامها شهرين إلى أن تصل الميناء، وتتم دورتها في الإجراءات الروتينية، في هذا الوقت أكون أنا بفضل الله أنهيت مشروع أسوان.

- المدير الفني: ليس شهرين يا هندسة، من قال لك هذا؟! الشحنة الجديدة أمامها أقل من شهر وتصل الميناء، تقريبًا خمسة وعشرون يومًا، بالإضافة إلى ثلاثة أو أربع أيام للإجراءات ونقوم باستلامها.

- فتجحظ عين زاهر من هول المفاجأة قائلاً: خمسة وعشرون يومًا... لماذا يا أفندم؟ ألا تقومون باستيراد شحنة كل ثلاثة أشهر؟

- المدير الفني: الشركة الرئيسية أخبرتنا أنه سيكون لديها مشكلة في الإنتاج الفترة القادمة، فهناك اختيار من اثنين، نقبل باستيراد هذه الشحنة

الآن أو نتظر ستة أشهر، فبالطبع يس بك رفض الانتظار ولذلك وافقنا على استيراد هذه الشحنة.

* * *

- يدخل طارق إلى مطعم بويتري حيث يجد دينا جالسة بانتظاره قائلاً:
- آسف حبيبتى، تأخرت عليك.
- دينا مازحة: ربع ساعة كاملة خمسة عشر دقيقة... ثم تجده مضطرباً... ماذا بك يا طارق؟ لماذا يتصببُ منك العرق هكذا؟
- طارق بارتباك: لا شيء ولكن الجو حار جداً.
- دينا بفضول: ما هذه الحقيبة التي بيدك؟
- طارق: لا... لا شيء.
- دينا مندهشة: طارق ماذا بك؟... لماذا أنت مرتبك هكذا؟
- طارق متسائلاً: دينا... هل تثقين بي؟
- دينا: ما هذا الهراء يا طارق؟... لو لم أثق بك ما كنت لأجلس معك الآن.

ثم يفضي إليها طارق بما يطويه بين ضلوعه وما يعتليه من هموم وما يضييق به صدره.

* * *

يدخل حاتم مكتب يس المهدي فيحدثه عن ياسمين، وأنه قد آن الأوان كي يطلب يد ياسمين ابنته رسمياً، والبدء في خطوات الموضوع رسمياً، لتتويج عرش الحب بالرباط المقدس بين كل عاشقين، وهو الزواج فيتسم يس المهدي قائلاً:

- وهل تأكدت من مشاعرها ومشاعرك في هذه الفترة القصيرة؟
- حاتم: أنا لم أتأكد فقط من ذلك، فأنا على استعداد تام بأن أحضر لك منها ورقة مختومة بختم النسر.
- فينتسم يس: ليس لدي مانع ولكن لا بد من حضور صاحبة الشأن للاتفاق.
- حاتم: ليس هناك مشكلة، اختر الموعد المناسب وأنا إن شاء الله سأحضر ومعى أختي شمس.
- يس: ولماذا لم تتفق مع ياسمين؟
- حاتم: هي قالت لي لا بد أن أتفق مع حضرتك أولاً، وبعدها لن يكون لديها مشكلة في الموعد الذي تحدده حضرتك.

الفصل الثالث عشر

تدخل الشرطة إلى منزل المواطن يوسف الدسوقي (والد طارق)، فيجدون أمامهم جثة القتيلة عفاف زينهم وبجوارها زوجها جالسًا في الأرض يبكي عليها، فيعاونه أحد أفراد الشرطة على النهوض لمحاولة استجوابه، ولإعطاء الفرصة للطب الشرعي لأداء وظيفته، ثم يتم استدعاء النيابة للتحقيق في موقع الجريمة، وأخذ أقوال الشهود فيبدأ وكيل النيابة في أخذ أقوال الزوج:

- أولاً البقاء لله يا حاج يوسف.

- الحاج يوسف (والد طارق) باكيًا: لا إله إلا الله.

- وكيل النيابة: إنني أعرف بالطبع أن الموقف صعب يا حاج... ولكن سامحني وظيفتي تحتم علي أن آخذ أقوالك الآن... أنا مقدر موقفك ولكن اعذرني.

- والد طارق وهو يبكي: تفضل حضرتك... هذا عمك.

- وكيل النيابة محدثًا كاتبه: افتح المحضر... ثم يوجه حديثه لوالد طارق مبتدئًا بالسؤال عن الاسم والسن والعنوان ثم:

- (س) هل كان للمجني عليها أعداء؟

- والد طارق: لا يا افندم.

- وكيل النيابة: هل كان لها أقارب يقومون بزياراتها؟

- والد طارق: لا يا افندم.

- وكيل النيابة: هل لديك شك في أحد يكن له هدف من وراء قتلها؟

- فيصمت والد طارق لحظات ثم يجيب: لا يا افندم.

- وكيل النيابة: كيف بدأت العلاقة بينكما حتى انتهت بالزواج؟

- ثم يقص عليه والد طارق: أنا من عادتي كنت دائماً أذهب لأقضي بعض الوقت في قهوة بجوار مسجد السيدة زينب، منذ عشر سنوات مع أصدقائي إلى أن فرقنا الأيام، ومنذ ستة أشهر وأنا في طريقى للقهوة ظهرت فجأة عفاف بصندوق من الزجاج به ذهب وفضة صيني، فجذبت انتباهي وأسرني جمالها، فجلست على القهوة وقضيت هذه الليلة في تأملها وهي تبيع بضاعتها، سرقت قلبي مني بضحكتها، وأنا من بعد وفاة المرحومة زوجتي الأولى، لم أقم أي علاقة مع سيدة أخرى نهائياً، وكانت عفاف هي أول امرأة تجذبني لهذه الدرجة، واستمر هذا الحال أسبوعين أذهب إلى القهوة أكثر من يوم على غير عادتي، وبدأت أذهب لها كأني معجب بشيء لديها وأظل أتحدث معها كثيراً، وأشتري منها لكي أتحدث فقط معها أطول فترة ممكنة، واستمر هذا الأمر ثلاثة أشهر إلى أن أحسست بأني أريد الزواج بها، وأتخذت القرار وكان شرطي لها أن تجلس بالمنزل وبالفعل وافقت على ذلك وتمت الزيجة.

- وكيل النيابة: هل لديك أولاد من زوجتك الأولى؟

- والد طارق: نعم، ولد واحد اسمه طارق، وهو الآن في الصف الأخير بكلية الصيدلة.

- وكيل النيابة: هل شاركته في قرار زواجك من المجني عليها أم لا؟ وما كان رد فعله؟

- والد طارق: لم يعترض ولكن أحزنه هذا الأمر كثيراً، وبعدها لم يتحدث إليّ تقريباً لمدة أسبوع بالرغم من أننا لم نفترق يوماً... لكنه إنسان حساس، وكان مقدر أنني عشتُ عمري كله من أجله، وإني الآن محتاج لهذه الزيجة فقال لي، ربنا يوفقك ويسعدك فقط.

- وكيل النيابة: هل حدث أي احتكاك أو تعامل بين المجني عليها وولدك؟

- والد طارق: لم يكن هناك أي حديث بينهما.

- وكيل النيابة: لماذا؟ ألم يقيم معكم في هذا المنزل؟

- والد طارق: لا... لأنه لم يكن موافق على هذه الزيجة، وبعد أن عدنا من شهر العسل، أخذ أشياءه وذهب ليعيش مع صديق له اسمه عمر.

- وكيل النيابة: هل كان ولدك يكره المجني عليها؟

- والد طارق: لا، ولكنه كان معترضاً على أنها ليست من مستوانا

التعليمي والاجتماعي، كانت من مستوى شعبي.

- وكيل النيابة: أين كانت تقيم المجني عليها قبل الزواج منك؟

- والد طارق: في غرفة على سطح مبنى في السيدة الزينب.

- وكيل النيابة: ألم يكن لها أي علاقة بأحد جيرانها أو أي شخص

آخر؟

- والد طارق: عندما سألتها هذا السؤال قالت لي: إنها ليست على

علاقة بأحد، وأنها نشأت بملجأ في كفر الشيخ، ثم تزوجت شاباً واكتشفت

أنه حرامي، وبعد أكثر من سنة طلقها وجاءت هي إلى القاهرة، وعملت بأكثر

من مجال، وفي النهاية قامت بشراء الصندوق الذي سبق ذكره، واستأجرت

تلك الغرفة وأقامت بها وحدها.

- وكيل النيابة: هل تعلم اسم زوجها الأول؟
- والد طارق: لا.
- وكيل النيابة: هل تعلم ما هي المهن التي امتهنتها؟
- والد طارق: لا.
- وكيل النيابة: هل تذكر عنوانها القديم بمحافظة كفر الشيخ؟
- والد طارق: لا.
- وكيل النيابة بصبر نافذ: كيف تزوجت إذاً امرأة لا تعرف عنها شيئاً؟
- والد طارق: أنا لم أضع باعتباري كل هذا لأنه أصبح ماضياً، وسأتزوجها وتعيش معي بالحلال آخر سنوات عمري.
- وكيل النيابة: هل يوجد حارس بهذا المنزل؟
- والد طارق: نعم يا افندم، واسمه عبد التواب شعيشع.
- وكيل النيابة: يُستدعى عبد التواب شعيشع للإدلاء بأقواله.
- وكيل النيابة موجهاً حديثه لكاتبه: وقد أغلق المحضر في تمام الساعة الخامسة وعشر دقائق؟

- يجلس حارس المنزل أمام وكيل النيابة وهو يرتجف من الخوف قائلاً:
- أنا لا أعلم شيئاً يا سعادة البيه، أنا في حالي والله أنا ومرتي ربنا يتتقم منها هي وعيالي.
فيجده وكيل النيابة رجل طاعن في السن فيهون عليه قائلاً:

- لا تقلق يا عبد التواب، سوف أطرح عليك بعض الأسئلة وأتركك تعود لزوجتك وأولادك.
- عبد التواب: أنا خدام سعادتك يا بيه.
- وكيل النيابة: قُل لي يا عبد التواب منذ متى وأنت تقوم على حراسة المبنى القاطن به الحاج يوسف الدسوقي؟
- عبد التواب: من سنين ياما يا سعادة البيه... من قبل أن يتزوج المرحومة رحمها الله كانت سيدة أميرة.
- وكيل النيابة: وماذا تعرف عنه هو وابنه طارق؟
- عبد التواب: كل خير يا سعادة البيه... الحاج أبو طارق رجل زي الجنيه الذهب، وسمعته زي البرلنت في وسط أهل الحطة كلتها والكل عارف كدا، والدكتور طارق إنسان محترم ماتطلعش منه العيبة وحنين أيوا والله يا سعادة البيه.
- وكيل النيابة: في اليوم الذي قُتلت فيه عفاف، هل كنت متواجداً في مكانك لحراسة المنزل؟
- عبد التواب: أيوا يا بيه، ولو أنا مش موجود مرتي تحل محلي.
- وكيل النيابة: متى غادر الدكتور طارق منزل والده؟
- عبد التواب: من يوم جواز الحاج يا بيه... تقريباً من شهر.
- وكيل النيابة: هل أتى إلى المنزل خلال هذه الفترة؟
- عبد التواب: الشهادة لله يا بيه ماحصلش.
- وكيل النيابة: هل رأيت أحداً غريباً أتى إلى العقار الذي تحرسه في اليوم الذي قُتلت فيه عفاف؟
- عبد التواب: لا يا بيه.

- وكيل النيابة: حتى الدكتور طارق.
- عبد التواب: ولا حتى الدكتور طارق يا بيه.
- وكيل النيابة منفعلًا: كيف هذا؟ أتريد إقناعي بأنك كنت تحرس العقار طوال الوقت ولم يدخله أحد أمامك، إلا إذا كنت رأيت القاتل وتتستر عليه، وفي هذه الحالة سأعتبرك شريكًا له في الجريمة.
- فيرتبك عبد التواب وينحني على يد وكيل النيابة باكيًا:
- أبوس يدك يا سعادة البيه... أنا لا شوفت ولا أعرف حاجة أنا عندي عيال والكذب خيبة سعادتك.
- وكيل النيابة بنفس انفعاله: أجب علي وبوضوح... هل كنت جالسًا طوال اليوم وتحرس المنزل أم ذهبت إلى مكان آخر؟
- عبد التواب باكيًا محاولًا أن يتذكر: فقط نصف ساعة سعادتك ذهبت فيها إلى المدرسة لأحضر أولادي ولم أستغرق وقتًا طويلًا.
- وكيل النيابة: كم كانت الساعة وقتها؟
- عبد التواب: كانت تقريبًا الثانية عشر ونصف يا سعادة البيه لكي تصبح الواحدة تمامًا عندما أصل إلى المدرسة.

* * *

بعد انتهاء يوم شاق من العمل يصل زاهر إلى منزله وبعد تأكده من أنه لا يوجد أحد يراقبه قام برفع بوست خاص به على الفيس بوك على أنه يستمع إلى أغنية تملي معاك، وكانت هذه الإشارة المتفق عليها إذا أراد أن يتصل به الرائد حسين العزازي، وبالفعل بعد خمس دقائق استقبل زاهر مكالمة هاتفية من الرائد حسين، ثم بدأ يسرد على مسامع الأخير نبأ تغيير ميعاد الشحنة، وعندما سمع حسين هذه المعلومة ساورته الظنون بأن يكون

أمر زاهر قد انكشف وهذا فح من أفراد العصابة، ولكن زاهر أكد له أن لا أحد يرتاب به وأن كل الأمور على خير، ولكن ظل الشك يعبث بفكر حسين ثم أنهى المكالمة معه واتصل بصديقه المقدم صلاح رشوان وأنبأه بما حدث فأحس صلاح بنفس إحساس حسين بأن يكون أمر زاهر قد انكشف، ولكن اقترح صلاح على حسين أن تتم الاستعدادات في كل الأحوال ربما تكون حركة من العصابة لعلمهم أن الشرطة على علم بمواعيدهم الثابتة فاختاروا أن يغيروا الميعاد، وأرسل حسين تقريراً للعميد رأفت فهمي بما حدث.

* * *

وبعد مرور ساعتين من ترك موقع الجريمة ظهرت نتائج الطب الشرعي، بأن البصمات التي رُفعت من المنزل كانت لطارق ولوالده والمجنى عليها فقط، وبدأ وكيل النيابة في فحص الموضوع والتدقيق به، فوجد أن الزوج ليس له مصلحة في قتل زوجته، بينما الابن غير الموافق على هذه الزيجة ربما يكون له علاقة بهذا، حيث إن الوفاة نتجت عن تسمم بعقار (ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك) وهذا من السموم الخطيرة، حيث إن ثلث جرام فقط منه كافٍ لقتل فيل في أقل من ساعة، فمن يكون لديه هذه المعلومات غير طارق وهو في كلية الصيدلة، ثم يصدر وكيل النيابة أمرين أولهما إرسال أحد المخبرين لقسم كفر الشيخ والحصول على أي بيانات خاصة بالمجنى عليها وعن زوجها السابق، والأمر الثاني بالقبض على طارق يوسف الدسوقي بتهمة قتل زوجة أبيه.

تذهب قوة من الشرطة إلى منزل عمر مهران صديق طارق، والذي يسكن معه الأخير فيطرق الضابط باب المنزل فيفتح له والد عمر فيسأله الضابط قائلاً:

- هل هذا منزل عمر مهران؟

- والد عمر بارتباك: نعم يا حضرة الضابط، وأنا والده... ماذا فعل؟
- ضابط الشرطة: هل لديه صديق يقيم معكم بالمنزل يدعى طارق يوسف الدسوقي؟
- والد عمر: نعم يا افندم... هو مقيم معنا منذ فترة.
- ضابط الشرطة: هل هو متواجد بالمنزل الآن؟... وإذا كان متواجدًا أرجو أن تستدعيه.
- والد عمر: هو متواجد حضرتك وأنا سأستدعيه، ولكن ممكن سيادتك تخبرني ماذا فعل؟
- ضابط الشرطة: زوجة والده قُتِلت، وهو مطلوب للتحقيق معه.
- فتصيب والد عمر حالة من الذهول، ثم ينادي على طارق وعمر فيلبي نداءه الاثنين معًا، فيجدان ضابط الشرطة ومعه اثنين من أمماء الشرطة فيتساءل عمر قائلاً:
- ماذا هناك يا أبي؟... خير يا حضرة الضابط.
- ضابط الشرطة: من منكم طارق يوسف الدسوقي؟
- فيجيبه طارق بلعثة ووجهه يحاكي وجوه الموتى: أنا يا افندم.
- ضابط الشرطة: أنت مطلوب القبض عليك بتهمة قتل زوجة والدك عفاف زينهم... تسمح تفضل معنا بهدوء.
- فيلبي طارق الأمر وهو في حالة رعب، وينظر عمر ووالده إلى بعضهما في حالة من الذهول، ثم يحدث عمر الضابط قائلاً:
- هل تسمح لي سيادتك أن آتي معكم؟
- ضابط الشرطة: أسف يا افندم ليس لدي تعليمات بذلك... ممكن سيادتك تلحق به على القسم.

ثم ينصرف طارق مع الشرطة، ويبقى عمر ووالده غير مستوعبين ما يحدث، فيسرع عمر بالاتصال بشمس وحاتم فيخبره الأخير بأن والد ياسمين لديه ثاني أكبر محامي في مصر مسئول عن المسائل القانونية الخاصة بشركته، ويطلب منه أن يتصل بياسمين وأنه سيذهب إلى النيابة في الحال، ثم يتصل عمر بياسمين المهدي ليسألها عن محامي والدها؛ ليقف مع صديقه في النيابة، فتجيبه ياسمين بأنها ستحدث والدها بأن يتصل به ويرسله، ثم ينهي معها المكالمة ويسرع في أثر صديقه.

يجلس طارق أمام وكيل النيابة ويبدأ الأخير في إلقاء الأسئلة الروتينية عليه الاسم والسن والعنوان والمهنة ثم:

- (س) ماذا تعرف عن المجني عليها؟

- طارق في حالة ارتباك والعرق يتصبب من جبينه: أنا... لا أعرف عنها شيئاً غير أن اسمها عفاف، حتى لا أعرف اسم والدها.

- وكيل النيابة: إلى أي مدى كانت علاقتك بالمتهمة؟

- طارق: لم تكن هناك علاقة بيننا.

- وكيل النيابة: لماذا؟ هل كنت تكرهها؟

- طارق: لا... ولكن لأنني لم أكن موافقاً على زواجها من أبي، ولكن لم أستطع أن أقول له شيئاً بعد أن ظل عمره كله بدون زواج لأجلي، فضلت الصمت، ولكن لم أكن موافقاً من داخلي ولم أكن أريد التعامل معها.

- وكيل النيابة: لماذا تركت منزل والدك بعد زواجه واتخذت منزل صديقك عمر مسكناً لك؟

- طارق: أنا لم أترك منزلي... ولكن هي من جعلت أبي يطلب مني أن أترك المنزل لتكون على حررتها، لأنني شاب وهي صغيرة وجميلة ولن يصح أن تبقى نحن الاثنان مع بعضنا في منزل واحد.

- وكيل النيابة: وهل صدر منك ما يجعلها تلجأ لمثل هذا التصرف؟
- طارق: أنا لم أرها غير مرتين فقط؛ المرة الأولى عندما اصطحبني والدي معه ليعرفني بها ويسألني عن رأيي، وأنا كنت رافضاً أن أذهب معه ولكنه ألح عليّ... والمرة الثانية يوم ما ذهبت لأخذ حقيبة ملابس لي لأترك المنزل، فوجدتها قامت بتجهيزها لي ووضعها بجانب الباب.

- وكيل النيابة: وماذا كان رأيك في المرة الأولى التي التقيت بها؟
- طارق: شعرت أنها ليست من مستوانا الاجتماعي وليست هذه من تصلح زوجة لوالدي... أعتقد أنها لو كانت أفضل من ذلك ومستواها الاجتماعي أفضل كنت تقبلت الموضوع، لكن شكلها وحالتها بالكامل لم تعجبني، لم يكن يصح أن واحدة مثل هذه تدخل منزلنا وتقيم معنا.

- فيياغته وكيل النيابة فجأة: ولذلك قتلتها؟

فتحفظ عين طارق وتقف الكلمات في حلقه ولا يعرف كيف يجيب، فيحرك رأسه نافيًا ثم يحاول إخراج الكلمات بصعوبة من فمه قائلاً:

- أنا لم أفكر بحياتي أن آذى إنسان فكيف لي أن أقتل.

- وكيل النيابة: ألم تقل أن فتاة مثلها لم يكن ليصح أن تكون بينكما؟

- طارق: بلى، ولكن إذا كان هذا قرار والدي وسيرحبه ذلك، فلا دخل لي إذًا بهذا الأمر بعدما أعطاني عمره كله، لكن أنا بداخلي كان لي رأيي الشخصي.

- وكيل النيابة: هل قمت بزيارة منزل والدك قبل وقوع الجريمة؟
ومتى كانت آخر زيارة لك؟

- طارق: أنا لم أذهب هناك منذ أن تركته، أعتقد منذ شهر تقريباً.

- وكيل النيابة: أخبرني يا طارق بما أنك في العام الدراسي الأخير بكلية الصيدلة... ماذا تعرف عن عقار (ثنائي إيثيل أميد حمض اليلسرجيك)؟
- طارق يحاول أن يتذكر: أنا لست متذكر بالضبط ما هي مواصفاته؟ ولكن... تقريبًا يجعل الإنسان في حالة استرخاء وبهجة في بادئ الأمر، وبعد ذلك يبدأ الإنسان يرى أشياء غير حقيقية أو غير طبيعية على ما أتذكر.

- وكيل النيابة: هل هذا العقار قاتل أم لا؟

- طارق: الحقيقة لست متذكرًا بالتحديد.

- وكيل النيابة بنبرة حادة: أجب بنعم أم لا.

- طارق: أنا لست متذكرًا لكي أحدد ذلك.

- وكيل النيابة بنفاذ صبر: أنت متهم بقتل المجني عليها عفاف زينهم بعقار سام أودى بحياتها.

- طارق يكاد أن يبكي: أنا لم أقتلها... بالله ما قتلتها.

- وكيل النيابة: يُحجز المتهم على ذمة التحقيق خمسة عشر يومًا ويراعى التجديد في نفس الموعد.

يقابل عمر حاتم وشمس وياسمين وصديقاتها لارا وندى والمحامي الخاص بشركة والد ياسمين أمام سرايا النيابة للدفاع عن طارق، فيخبر عمر المحامي بما حدث منذ أن جاءت الشرطة منزله إلى أن غادرته، فيدخل إلى مكتب وكيل النيابة لمعرفة ما حدث، فيطلع وكيل النيابة المحامي المكلف بالدفاع عن طارق على الملف الخاص بالتحقيق، ثم يلقي المحامي نظرة سريعة على هذا الملف، ويحاول أن يطلب من وكيل النيابة إخلاء سبيل المتهم بمقابل مادي، ولكن وكيل النيابة يرفض إثر أن كل الأدلة ضده، فيخرج المحامي وياسمين وعمر وباقي الأصدقاء فيخاطب عمر المحامي قائلاً:

- ألا توجد أي طريقة نخرجه بها حضرتك من القسم.
- المحامي: طالما كل الأدلة ضده يصبح الموضوع في غاية الصعوبة... سأدرس ملف القضية اليوم إن شاء الله وأحاول أن أقابله غدًا... وربنا يقدم ما به الخير.

بعد استدعاء النيابة لوالد طارق وسؤاله عن المجوهرات التي كانت بمنزله حيث وجدت بصمات طارق على الدولاب الخاص بالمجوهرات، وسؤاله عن إذا كان بها أي مفقودات فيتردد والد طارق بعض لحظات، ثم يجيب بالنفي وأن جميع المصوغات سليمة وليس بها نقص، فيساور وكيل النيابة الشك بأن يكون والد طارق يحاول التستر عليه حتى لا تثبت على ولده التهمة، فيعنفه وكيل النيابة إذا كان يوجد نقص في المجوهرات وهو يخفي هذا سوف يعتبره شريكاً لولده في الجريمة، فيُصر والد طارق على النفي فيصمت وكيل النيابة لحظات ويأمره بالانصراف، ثم يصدر أمر بتفتيش منزل الحاج مهرا ن والد عمر بحثاً عن أي متعلقات خاصة بالمتهمة.

وبعد إجراءات التفتيش في وسط حالة من الذهول لعمر ووالده ووالدته، يعثر أحد أمناء الشرطة على عقد من الألماس في إحدى الأدراج، فيسلمه إلى الضابط ثم يطلب هذا الأخير من عمر مرافقته إلى النيابة، حيث إنه تم العثور على العقد في كتاب داخل أحد الأدراج بغرفة المتهم وصديقه.

يجلس عمر أمام وكيل النيابة فيبدأ الأخير بالأسئلة الروتينية ثم:

- (س) ماذا تعلم عن هذا العقد؟
- عمر: لا أعلم عنه شيئاً حضرتك.
- وكيل النيابة: هل تم ضبطه في إحدى مقتنياتك؟

- عمر: أنه كان بغرفتي ولكن... ..

وبعد صمت يستحث وكيل النيابة عمر على استكمال حديثه قائلاً:

- دكتور عمر نحن الآن أمام جريمة قتل وروح أزهقت بدون وجه حق، فإذا كنت تحاول أن تؤدي واجب الصداقة نحو صديقك، فلا تنس واجب ضميرك وأمانتك أمام خالقك عز وجل، ولا تنس أيضاً أن هذا سيضعك في دائرة الشك، وأنت ستكون شريكاً للمتهم أو متستر عليه.

- فيجيب عمر في حزن وألم: هذا العقد... كان ضمن أشياء طارق.

- وكيل النيابة: هل رأيته من قبل مع المتهم؟

- عمر: لا.

- وكيل النيابة: هل تقصد أن هذه أول مرة تراه بها؟

- عمر: نعم.

فيغلق وكيل النيابة المحضر ويسمح لعمر بالانصراف.

ثم يقوم عمر بالاتصال بحاتم وياسمين والاتفاق معهما على الذهاب إلى المحامي، وعندما يصلوا إلى المكتب يرحب بهما المحامي:

- مرحباً دكتور عمر... مرحباً دكتور حاتم... كيف حالك آنسة

ياسمين؟

- عمر: مرحباً بحضرتك أ/ فهد... لقد حدث الآن شيء جديد، ثم

يقص عمر على مسامع المحامي ما حدث.

- فيكشر المحامي عن أنيابه قائلاً: أنا كنت معه بالأمس وطلبت منه

أن يصارحني بكل ما لديه، لماذا لم يخبرني بقصة هذا العقد؟

- فيندهش حاتم وينظر عمر وياسمين إلى بعضهما ثم يسأله: وما

الحل إذاً الآن؟

- المحامي: يا عمر أنا لن أكذب عليك... إن موقف صديقك ضعيف جداً في القضية... وكيل النيابة عندما سأله متى كانت آخر مرة ذهبت فيها إلى منزل والدك؟ قال له منذ شهر، وعندما قام الطب الشرعي برفع البصمات من الشقة، كانت هذه البصمات لثلاثة أفراد فقط والد طارق والمجنني عليها عفاف وطارق... هنا أصبح يوجد تناقض، كيف لم يذهب طارق إلى منزل أبيه منذ شهر وبالرغم من ذلك بصماته ما زالت عالقة به؟... ألم تنظف هذه السيدة منزلها؟ ألم تتفحص كل ركن به؟ ألم تزل بصماتها بصمات طارق؟ وأيضاً...

- فيقاطعه عمر قائلاً: حضرتك هذا منزله ويسكنه منذ عشرون عامًا، فبالتأكيد ستكون بصماته في كل مكان بالمنزل.

- المحامي: أنا معك وهذه نقطة من ضمن النقاط التي ستكون داعمة لنا في القضية... ولكن الشيء الثاني أنها قُتِلَتْ مسمومة بسم خطير اسمه حتى غريب، اسمه... (ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك) ولما...

- فتجحظ عين عمر: هل حضرتك مُتأكد من هذا الاسم؟

- حاتم: هذا عقار يسبب هلوسة ويجعل الإنسان يرى أشياء غريبة ليست موجودة في الحقيقة.

فيعطى المحامي لعمر نسخة الملف التي أعطاها له وكيل النيابة، لكي يقرأ الاسم ثم يستكمل حديثه قائلاً:

- وعندما سألت عنه في الصيدليات لم أجده لأنه باهظ الثمن وغير مصرح بتداوله من الأساس، وتستورده فقط شركات الأدوية لأنها تصنع بعض الأدوية منه... فبذلك النيابة ستحصر الشك وتضييق الخناق على أن طارق حصل عليه من الكلية بحكم أنه طالب في صيدلة، ولديكم معامل تحاليل هذا إلا إذا كان له أقارب في إحدى شركات الأدوية، واستطاع من

خلاله أن يحصل على هذا العقار... الشيء الثالث وهو ما أخبرتموني به الآن، أنهم وجدوا في منزلك يا عمر بأشياء طارق عقد خاص بالمجنبي عليها، والسبب الذي جعلهم يبحثون بمنزلك، أنهم بالطبع وجدوا بصماته على المكان الذي به ذهب عفاف وهذه الكارثة الثالثة.

فيصمتون جميعًا لحظات من تدافع الأدلة التي تدين طارق لقتل زوجة أبيه، ثم يكسر هذا الصمت هاتف ياسمين حيث تجد أن المتصل بها صديقتها دينا وحببية طارق فتجيب ياسمين:

- مرحبًا دينا... كيف حالك؟

- فتجيبها دينا باكية: مرحبًا... مرحبًا يا ياسمين... هل علمت بما حدث لطارق؟... أنا لم أخلد للنوم منذ يومين... أنا لذي معلومات هامة لا بد أن أخبرك بها.

فتحاول ياسمين تهدئتها ثم تستفسر منها عن المعلومات التي تريد دينا إخبارها بها، وعندما تعلم أنها متعلقة بطارق تطلب منها أن تأتي إلى مكتب فهد المحامي، ثم تملئها العنوان وتغلق الهاتف وتخبر ياسمين / فهد أن دينا لديها معلومات تريد أن تفضي بها إليه.

* * *

الفصل الرابع عشر

عندما تدخل دينا إلى مكتب المحامي وتجد ياسمين أمامها تلقي بنفسها في أحضان الأخيرة باكية فتتركها حتى تهدأ ثم يبدأ فهد المحامي قائلاً:

- أ/ دينا لقد أخبرتني الأنسة ياسمين أن حضرتك لديك معلومات عن قضية طارق.

- تحاول دينا السيطرة على أعصابها قائلة: طارق لم يقتلها... بالله ليس له ذنب.

- المحامي: أرجو أن تهدئي من روعك وتخبرينا بما لديك حتى نستطيع مساعدته.

- فتروي دينا ما حدث: في هذا اليوم اتصلت بطارق وطلبت منه أن نتقابل الساعة الثانية ظهرًا في كافيه اسمه بويتري في الزمالك، وأنهيت معه الحديث كعادتنا وذهبت بالفعل في الموعد، ولكن هو أتى متأخرًا في الساعة الثانية والرابع، وكان يبدو عليه القلق والاضطراب ويتصبب منه العرق بغزارة، وعندما سألته ماذا بك؟ حاول الهروب مني في بادئ الأمر، وقال لي الازدحام والطريق وحرارة الجو، ولكن بعد ذلك روى لي كل شيء... قال لي أنه كان يجلس مع عمر وشمس وقص عليهما ما حدث بينه وبين والده، وبعد ذلك أصابه الضيق وتركهم ليسيروا في الطريق وحده...

- فيقاطعها المحامي: كم كانت الساعة تقريبًا عندما تركهما؟

- دينا: لا أعلم، لم أسأله.
- فيجيبه عمر قائلاً: كانت الساعة الثانية عشر والربع... لأنني وقتها علقت على هذا الأمر عندما قال لي أنه ذاهب لمقابلتها، فقلت له ما زال الوقت مبكرًا ونظرتُ في ساعتِي وقتها وقال لي: (لا، أنا أريد أن أسير وحدي بعض الوقت قبل أن أذهب لها).
- فيدون المحامي هذه الملحوظة قائلاً: حسنًا تفضلي يا / دينا أكملِي.
- دينا: وعندما ألححتُ عليه أن يتحدث، سألتني هل أثق به فقلت له بالطبع، فقال لي أنه بعدما سار وحيدًا لبعض الوقت، قرر أن يذهب لمنزل أبيه ليأخذ المجوهرات الخاصة بوالدته رحمها الله، وعندما وصل إلى المنزل وجد الباب مفتوحًا و...
- فيقاطعها المحامي: كم كانت الساعة عندما وصل إلى المنزل؟
- دينا: لا أعلم لم يخبرني و...
- فيقاطعها عمر قائلاً: وكيف كان سيدخل المنزل بعد أن قامت بتغيير القفل الخاص به منذ أن ترك المنزل وأخذ حقيبة ملبسه؟
- فيندهش المحامي: هذا كلام منطقي بالفعل، إذا كانت هي قامت بتغيير القفل الخاص بالمنزل، كيف يتسنى له الدخول؟... وإذا افترضنا أنه استطاع الدخول، كان هناك احتمال أن يجدها بالمنزل، ماذا كان سيفعل إذًا؟
- دينا: لم أسأله عن هذا الأمر لأنني كنت متزعجة وقتها ولم أفكر في كل هذا.
- فيطلب منها المحامي أن تكمل بما لديها فتسترسل: وعندما دفع الباب ودخل الصالة وجدها ملقاة في الأرض، فاقترب منها وجس نبضها فوجدها متوفاة، فدخل لكي يأخذ المجوهرات الخاصة بوالدته فلم يجدها ولم يجد أيضًا مجوهراتها هي، ولكنه كان يعلم أن هناك عقدًا فريدًا من نوعه

كان والده دائماً يحتفظ به في مكانٍ خاص، فبحث عنه في ذلك المكان وبالفعل وجده بمكانه فأخذه وخرج مسرعاً ثم جاء لي.

- المحامي: هل رأه أحد عندما خرج من المنزل؟

- دينا: عندما سألته قال لا... ولكن الله أعلم لأن حالته وقتها كانت يرثى لها.

- المحامي: هو بالفعل لم يره أحد؛ لأن حارس العقار نفسه قال إنه لم يأت في هذا اليوم.

يدخل أحد الضباط إلى وكيل النيابة ويعرض عليه ما توصل إليه من معلومات حول عفاف زينهم فيبدأ الحديث قائلاً:

- صباح الخير يا افندم.

- وكيل النيابة: هل توصلت لشيء ما؟

- الضابط: سيادتكم بعد أن ذهبنا إلى مركز كفر الشيخ وسألنا عنها، لم نجد أي أنثى كانت تقيم هناك بهذا الاسم، وعندما عرضنا عليهم الصورة وعملوا بحث عنها لم يجدوا أيضاً أي شيء خاص بها... وعندما حاولنا أن نسأل أكثر من شخص من أهل البلد ومن كبار رجالها وعائلاتها، لم نجد أحداً منهم يعلم عنها شيئاً.

- فيصمت وكيل النيابة بعض لحظات ثم يتحدث قائلاً: هذا يعني احتمالاً من اثنين، أولهما أنها كذبت على زوجها، وأما الثاني أنه هو من كذب علينا.

- الضابط: وما مصلحته في ذلك؟ وكيف يكذب ويستطيع تأليف مثل هذه الرواية في ذلك الوقت؟

- وكيل النيابة: المشكلة هنا أنه عندما وجدنا العقد في أشياء طارق وتم عرضه على والده، أجب بالفعل أنه ملك زوجته المتوفية والدة طارق، وعندما سألته لماذا لم تخبرني أنه ليس موجودًا بمكانه وقت الاستجواب الأول، قال لي أنه لم يكن يعلم أنه اختفى من مكانه، وهذا منطقي جدًا، ولكن ما لم يكن منطقيًا عندما سألته هل يوجد أي شيء آخر من المجوهرات اختفى من مكانه، أصابه الارتباك بعض الشيء وقال لي لا يوجد شيء آخر مختفٍ، فسألته معنى ذلك أنك تأكدت من وجود مجوهراتها وتعلم ما الموجود منها وما الذي اختفى منها، وعندما لم تجد العقد بمكانه أصابك شيء من الشك أن ابنك هو الذي أخذه لأنه ملك والدته، ولكنك كنت خائف أن تنفوه بذلك حتى لا يكون دليلاً ضده فسكت بعض لحظات وقال لي: لا، أنا لم أنتبه لاختفائه، فلم أشعر أنه صادق في حديثه فقلت له هل ممكن أن تصف لي المجوهرات الخاصة بالمرحومة زوجتك الأولى وزوجتك الثانية، وبعدما انتهى من ذلك طلبت منه أن يحضر هذه المجوهرات لكن الغريب أنه قال لي أن هذه المجوهرات كلها اختفت أيضًا، وبعدما بحثنا في المنزل بالكامل ومنزل صديق ابنه عمر مهران لم نجد أي شيء، فهناك تناقض بحديثه.

- الضابط: هل تقصد يا افندم أن هناك احتمال أن يكون الأب شريكًا لابنه في الجريمة.

- وكيل النيابة: لا ليس منطقيًا، لأنه ليس له مصلحة في ذلك... لأنه لم يتم بعمل تأمين على حياتها، وليس لديها أموال في البنك يرثها، وليس لديها أيضًا أملاك، إنها فتاة فقيرة، وغير ذلك كانت بمثابة فرحة العيد له فقد كان يقضي معها بعض الأيام الجميلة.

- الضابط: وماذا تعتقد سيادتك؟

- وكيل النيابة: محتمل أن يكون لطارق شريك آخر يخفي عنده باقي المجوهرات.

- الضابط: محتمل سيادتك.

- وكيل النيابة: هذا أيضًا يعني أن هناك احتمال أن تكون قصة زوجها القديم تلك من نسج خيالها.

- الضابط: بالتأكيد يا افندم... واحتمال أنها كانت واحدة من اللواتي يذهبن إلى الشقق المفروشة، ثم أرادت أن تتوب وتعمل في شيء حلال، وعندما التقت بهذا الرجل وجدتها فرصة لتتسبب بها.

- وكيل النيابة: كل شيء جائز... لكن لو هذه الفتاة بالفعل أرادت أن تتوب وخائفة من الله، لن تتعامل مع ابن الرجل الذي تزوجها وحفظها بهذه المعاملة وترغمه على أن يترك المنزل، أو بمعنى أدق كما قال طارق أن تكون هي السبب في أن يرغمه والده على ترك المنزل.

- الضابط: ماذا تقصد سيادتك يا افندم؟

- وكيل النيابة: لست أدري ولكنني أشعر بشيء غير منطقي فيما يحدث.

محكمة، ينادي حاجب المحكمة على القضية رقم ٣٣٥١، فيقوم فهد المحامي ويقدم نفسه للقاضي والمستشارين، ثم يجلس مكانه وتبدأ النيابة في إدانة المتهم قائلة:

- سيدي القاضي حضرات المستشارين إننا اليوم أمام قضية كثرت في مثل هذا الزمان، قضية انتشرت كانتشار النار في الهشيم، قضية كل شاب وفتاة... فتاة تقتل زوج أمها دفاعًا عن شرفها أو للتخلص من ظلمه وقهره...

قضية شاب يقتل زوجة أبيه لكي لا تستولى على ممتلكاته، أو أنه يطمع في جمالها وفتنتها فتعرض عنه فيقتلها... إلى آخره من مثل هذه القضايا... قضية اليوم سيدي القاضي، هي لابن قضى والده عشرين عامًا يسهر عليه ويرعاه... عشرون عامًا يُليبي احتياجاته دون ملل أو كلل... عشرون عامًا من الحب والعاطفة يغمر بها ولده من العطف والحنان دون كسل أو خذلان، وبعد أن كبر الفتى وترعرع في منزل أبيه كابن له وصديق وأخ، وبعد أن أدخله والده أفضل الكليات وهي كلية الصيدلة وأكبر الجامعات وهي جامعة السادس من أكتوبر، وبعد أن اطمأن عليه لوصوله المرحلة الدراسية الأخيرة من دراسته، أراد الوالد أن يبحث له عن شريكة لما تبقى له من أيام في هذه الحياة... ربما لأنه يعلم بعد أن ينال ابنه شهادة التخرج سوف يبحث عن فتاة يحبها ويقترن بها ويتركه وحيدًا... فأراد الوالد أن يهنأ بآخر أيام حياته بجوار فتاة شابة تكون زوجة له وترعاه... وبعد أن وجد هذا الأب... هذا الشيخ الذي اقترب من حافة النهاية الفتاة التي سوف يختم حياته معها بالسعادة... أبى عليه ولده أن يمتلك هذه السعادة، رغم عدم اعتراضه لفظيًا أو لغويًا ولكنه أشار إلى هذا واعترف به بنفسه دون أي ضغوطات... أبى هذا الولد أن تغمر السعادة والده في آخر أيامه، فلقد قتل زوجة والده (سم قاتل) دون رحمة أو شفقة مع سبق الإصرار والترصد، وقد كان الدافع وراء ذلك رغبته في الانتقام من الفتاة التي سلبت منه أباه... وكان الدافع وراء ذلك رغبته في الانتقام من الفتاة التي أخذت مكان المرحومة والدته، وكانت سببًا في تركه لمنزل والده بعد عشرين عامًا... وكان الدافع من وراء ذلك رغبته في الحصول على المجوهرات التي أهداها والده للمجنني عليها كهدية زفاف، والتي عثرت عليها الشرطة بين أغراضه في منزل صديقه الطالب بالمرحلة النهائية بكلية الصيدلة أيضًا عمر مهران... فثارت غرائز هذا الشاب العدوانية في الانتقام من زوجة والده، وحرمانه من السعادة التي يرجوها في آخر أيامه... وقد

كانت طريقته في القتل طريقة درامية محزنة، اعتقادًا منه أن النيابة لن تهتدي لمثل هذه الطريقة التي كانت السبب الأول والرئيسي في القبض عليه، فقد قتل المتهم عمدًا المدعو عليها عفاف زينهم بعقار سام يكفي ثلث جرام فقط منه لقتل فيل في أقل من ساعة، وهذا العقار يسمى (ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك) والمسمى أيضًا بـ(عقار الهلوسة)، وقد تم تصنيف هذا العقار من ضمن أخطر عشرة عقاقير في العالم، وقد جاء تصنيفه في المرتبة الثامنة، وكان هذا العقار هو أداة الجريمة التي استعملها المتهم في الخلاص من المجني عليها معتقدًا أنه لن يترك وراءه أي أثر، ولكنه في لحظة غرور وزهو بعلمه الذي حباه الله به دون الكثير من غيره، قد أنسته غطرسته وتكبره أن القاتل لا بد أن يترك وراءه أثرًا تهتدي إليه النيابة... ونسى أيضًا أن يحطم الكوب الذي وضع فيه السم للمجني عليها، كما أنه لم يتخذ من الحرص والاحتياط ارتداء قفاز في يده لعدم ترك بصماته، ولكن لأنه مستحدث في علم الجريمة غفل عن كل تلك الخطوات التي كانت من الأدلة القوية في إدانته، ولذلك أرجو من المحكمة أن تعدل بين الجاني والمجني عليها، وأن توقع بأقصى عقوبة على المتهم حتى يكون عبرة لمن لا يعتبر، ولكي يفكر ألف مرة كل من يحاول أن يقدم على خطوة مثل هذه وهي قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق... وشكرًا لسيادتكم.

فينادي القاضي الدفاع يتفضل فيأخذ فهد المحامي موقعه في المحكمة ليبدأ المرافعة قائلًا:

- سيدي القاضي حضرات المستشارين إن قضية اليوم ليست جانٍ ومجنٍ عليه، بل هي مجنٍ عليه ومجنٍ عليه، إن المتهم المائل أمامكم خلف القضبان لم يكن يحمل أبدًا بين طيات صدره أي حقد أو ضغينة للمجني عليها عفاف زينهم، وإنما كان له وجهة نظره الخاصة في هذه الزيجة، إن المتهم المائل أمام عدالتكم لم يتتابه أي شعور بالقتل تجاه أي شخص في

هذه الحياة، فبرغم ضخامة جسده التي توحى بالقوة ولكنه يحمل بين طيات صدره قلب طفل بريء، إن هذا الشاب لم يكن أبدًا الجاني وإنما كان المجني عليه أحد ضحايا هذه الزيجة المتأخرة، ربما لو كانت منذ زمن بعيد لكان الوضع حاليًا أفضل، وكان تأقلم هذا الشاب على الحياة التي كان سوف ينشأ بها، لقد كان أبوه مثل ما قالت النيابة له كل شيء في الحياة، الصديق والأخ والأب الذي ضحى بعمره في سبيله، وعندما جاء الوقت لكي ينعم هذا الأب بما تبقى له من عمر لم يعترض أبدًا ولده ولم يتلفظ بكلمة واحدة تجرح شعور والده، وإنما دعا له بالتوفيق والسعادة وراحة البال، ولكن هذا لم يمنع شعوره الداخلي بالحزن، لأن سيدة أخرى سوف تأخذ مكان والدته رحمها الله وستكون حاجزًا بينه وبين والده، ورغم ذلك لم يفصح أبدًا ولو للحظة ما عن هذا الشعور، وإنما حين أرادت المجني عليها إبعاده عن منزلها بحكم أنها عروس جديدة، وفي بداية أيامها وهو شاب بالغ ويصعب توأجهما معًا في نفس المنزل، انسحب هذا الشاب في منتهى الهدوء دون حتى الاعتراض بأي لفظ يجرح شعور أبيه، أو يسيء للمجني عليها وهذا يعتبر دليلًا على أنه لم يكن بنية المتهم أي أفعال عدوانية و...

- فتقاطعه النيابة قائلة: أعترض سيادة الرئيس على استخدام هذه الجملة، حيث إن الأفعى السامة الجميلة يمكنها أن تسير بجانبك وتتلوى على كتفيك دون أن تمسك، حتى تحين لها اللحظة المناسبة للانقضاض على فريستها والنيل منها، وكان لهذا المتهم نفس الفعل التي تقوم به الحية، فقد تصرف بمنتهى الهدوء والحذر دون أن يبدي أي تصرف يدينه فيما بعد ذلك، ثم تحين الوقت المناسب وقام بجريمته معتقدًا أنه يستطيع الإفلات من العدالة.

- فيجيب القاضي: اعترض مقبول ويطلب من الدفاع الاستمرار في مراجعته فيعود فهد المحامي للاستكمال قائلًا:

- يا سيادة الرئيس إن الطب الشرعي قد حدد وقت حدوث الجريمة بين الساعة الثانية عشر ظهرًا والواحدة ظهرًا، بينما كان المتهم في هذا الوقت حاضرًا بجامعة في الكافيتريا الخاصة بها مع أصدقائه عمر مهران وشمس شكري، وهذا مثبت لدى سيادتكم في تحقيق النيابة حسب أقوال الشهود، فكيف يكون المتهم بالجامعة وفي نفس الوقت يقوم بهذه الجريمة، حيث إن الوقت اللازم للوصول للمنزل والده المتواجد بأحد شوارع الميرغني بمصر الجديدة من مدينة السادس من أكتوبر فيما يقرب من ساعة ونصف وهذا على اعتبار أن طريق المحور سوف يكون خاليًا من السيارات وميدان رمسيس والعباسية وجامعة عين شمس أيضًا، بالرغم من أن هذا المكان بالتحديد وهو عند جامعة عين شمس مزدحم بالطلاب والميكروباصات الذاهبة إلى منطقة العاشر من رمضان، مما يحول دون الوصول في الوقت الذي حدده الطب الشرعي للوفاة، وهذا دليل كافٍ على عدم ارتكاب المتهم لهذه الجريمة، ورغم ذلك تقيم النيابة الدلائل ضد المتهم على أنه الجاني ..

- فتعترض النيابة قائلة: يا سيادة الرئيس إن الوقت الذي يحدده الطب الشرعي يكون نسبيًا وليس وقتًا قطعيًا، بمعنى من الممكن أن تكون الجريمة حدثت بعد ذلك، إننا ليس لدينا دليلًا ماديًا على الميعاد بالتحديد من عدمه، ورغم ذلك فإن الأدلة التي أشار إليها الدفاع هي أدلة واضحة وصريحة وتدين المتهم، حيث إن بصمات المتهم وُجدت على الصندوق الخاص بمجوهرات المتهمه وملابسها والصندوق الخاص بوالدته في حجرة أبيه، وعند سؤال الشهود والمتهم بنفسه أيضًا متى كان الوقت الذي ترك فيه منزل والده؟ فكانت الإجابة بثلاثين يومًا قبل وقوع الجريمة، وعندما سؤل أيضًا الشهود والمتهم هل قام بأي زيارة لأبيه قبل الجريمة؟ فكانت الإجابة بـ(لا) وهذا كله مثبت لديكم بملف القضية، فكيف تفسرون عدالتكم إذن وجود بصمات المتهم في أكثر من مكان داخل الشقة، وهو

لم يدخلها لمدة ثلاثين يوماً قبل الوفاة، ألم تكن المجني عليها تقوم بتنظيف الشقة؟ ألم تمحُ بصماتها بصمات المتهم؟ ألم تمحُ بصمات زوجها بصمات المتهم؟ فليفسر لي الدفاع إذاً كل هذا وليقنع عدالتكم بالدليل إذا كان يملك منه شيئاً، وغير ذلك إن مثل هذا العقار المستخدم لم يكن يعرف أحد قوته غير شخص يعلم جيداً العمل الذي يقوم به، وما يملك من قوة هذا السلاح وبحكم أن المتهم في آخر عام دراسي له بالجامعة، فمن المؤكد أنه درس مثل هذا العقار، وعندما قامت النيابة بالإطلاع على المنهج الخاص بالكلية وسؤال الأساتذة الذين يدرسون بالكلية، أجابوا جميعاً بنعم، وبأن هذا العقار تمت دراسته خلال الأعوام الخمسة المخصصة للدراسة.

فيقبل القاضي الاعتراض ويطلب من المحامي استكمال المرافعة فيستمر فهد المحامي قائلاً:

- يا سيادة القاضي إننا لا نبني أدلة وبراهين على استنتاجات واحتمالات كما قالت النيابة، محتمل أن يكون وقت وقوع الجريمة بعد الوقت الذي حدده الطب الشرعي، من أين جاءت النيابة بهذا الحديث؟ أتكون النيابة عضوًا من أعضاء نقابة الأطباء ونحن لا نعلم؟... هل يُدرَس في كلية الحقوق التي تخرج منها وكيل النيابة أحد مواد الطب التي تحدد وقت حدوث الوفاة؟... وإذا كان لا فمن أين أتت النيابة بمثل هذا الافتراض ومثل هذا الاحتمال؟

فتعرض النيابة على أسلوب الدفاع وكلماته فيرفض القاضي الاعتراض ويوجه حديثه للدفاع قائلاً:

- بم تفسر يا أ/ فهد وجود بصمات المتهم في منزل والده ورغم مغادرته له قبل الجريمة بثلاثون يوماً، ورغم ذلك لم يُزِر المتهم والده أبداً خلال هذه الفترة قبل حدوث الجريمة؟

- فينتسم فهد المحامي: سيادة الرئيس إن المتهم قد عاش في منزل والده قرابة العشرين عامًا وفارقه فقط ثلاثين يومًا، والمجني عليها لم تسكن في المنزل أكثر من ثلاثين يومًا هي فترة مغادرة المتهم له، وعند سؤال زوج المجني عليها عن هذه الفترة هل قامت المجني عليها بأي أعمال منزلية، فكانت الإجابة بـ (لا) فهل يعقل سيادتكم بأن ثلاثين يومًا فقط دون أي عبث بمحتويات الشقة، تمحو آثار عشرين عامًا؟ أعتقد أن الإجابة لا.

- فينتسم القاضي سائلًا المحامي: وما تفسيرك عن أداة القتل العلمية التي استخدمها المتهم في جريمته، والتي لا يعلم تأثيرها غير رجل ذي علم، أليست دليلًا كافيًا على أن المتهم هو من قام بفعلته؟

- فينتسم المحامي ابتسامه مكر مجيبًا: سيادة الرئيس إن الإجابة التي سوف أدلى بها الآن، لم تذكرها النيابة خلال إدانتها للمتهم... أنا لا أعارض على أن كون استخدام مادة علمية في القتل كالتي استخدمت في هذه الجريمة، هي دليل قوي ضد موكلي، ولكن أولًا هل كانت بصمات المتهم مختلطة ببصمات المجني عليها على الكوب التي كان موضوعًا بها السم، فإذا كان الجواب نعم، فلم لم تشر النيابة إلى ذلك؟ وإذا كانت لا، فكيف وضع السم بالكوب دون أن يمسه ويقلبه؟ حتى لا تشعر المجني عليها بوجود شيء غريب بالكوب... ثانيًا إن المشروب الذي كان بالكوب لم يكن مجرد مشروبًا تقليديًا، بل كان مشروب الشربات الذي يقدم للضيوف الذين يأتون ليهنئون العروس في أول مرة، وهذا يعني أن من المفترض وجود على الأقل كوب آخر، لأن العروس لن تقدم الشربات لنفسها وضيوفها لا... فأين الكوب الآخر؟ وإذا كان المتهم قد حرص على تنظيف كوبه وإخفاء بصماته من عليه، فلماذا لم يفعل ذلك أيضًا بكوب المجني عليها لإخفاء آثار السم الذي من المفترض أن لا يعرف أحدًا تأثيره غيره؟ وهذا بحكم دراسته... ثالثًا إذا كانت المجني عليها هي السبب الرئيسي في ترك المتهم لمنزل والده

وعدم تقبلها له، وحسب أقوال الشاهد عمر مهران إن المجني عليها أعطت للمتهم حقيبة أغراضه من على باب المنزل، ولم تسمح له بالدخول في وجود والده... إذاً كيف تسمح له بالدخول ويصباحان هو وهي وحدهما في الشقة في عدم وجود والده؟ وتقدم له أيضاً كوباً من العصير وهو الشربات، وأنا أتعمد ذكر نوع المشروب وهي لم تقدمه له أساساً من ذي قبل... أتقدمه له الآن وأفصد بذلك يوم وقوع الجريمة أي بعد مرور ثلاثين يوماً من زفافها، ليس هذا غير منطقياً؟... رابعاً والذي سوف يدعم قولِي هذا رقم واحد، لقد ذكر الطب الشرعي وجود بصمات أخرى وهي لعدد فردين على نفس كوب المجني عليها، ولم يُستدل على أصحابها، وهذا الذي لم تذكره النيابة في مرافعتها لإدانة المتهم، وهذا يعني وبقوة وجود أفراد آخرين هي التي قامت بالجريمة وليس موكلِي، وهؤلاء الأفراد يعلمون تمام العلم أن في هذا المنزل طبيباً يمكن تليفق التهمة له، واعتماداً على ذكر كل ما سبق، فأنا أؤكد لسيادتكم بوجود أشخاص قريبين من المجني عليها حاولوا ابتزازها، وعندما رفضت كان ذلك مصيرها وسرقة مجهراتها.

- القاضي مفكراً: يا أ/ فهد هذا الكلام يعني أن في هذا اليوم شخص آخر دخل المنزل وحارس العقار لم يره.

- المحامي: هل تسمح لي عدالة المحكمة باستجواب حارس العقار المسئول عن المنزل القاطن به زوج المجني عليها وهو عبد التواب شعيشع؟
فيأمر القاضي باستدعاء الشاهد عبد التواب شعيشع، ثم يطلب القاضي من الشاهد الإدلاء باسمه وعمره وعنوانه وحلف اليمين، ثم يوجه المحامي للشاهد أسئلته قائلاً:

- أخبرني يا عبد التواب... ما هي مواعيد حراستك للعقار كل يوم؟

- عبد التواب: سعادتك أنا أستيقظ مبكراً لأصلي الفجر، وأجلس

أمام العقار لأتناول الشاي وأنظف سيارات السكان، ثم أجلس في الشمس إلى أن يحين الظهر، وبعد ذلك أدخل لأجلس في مدخل العمارة إلى أن يحين آذان العشاء وأصلي، ثم أخلد إلى النوم.

- المحامي: أثناء فترة حراستك للعقار طوال اليوم، ألا تذهب إلى أي مكان آخر؟

فتعترض النيابة على هذا السؤال بما فيه من إحياء لتغيير الشاهد لإجابته الأولى، فيرفض القاضي هذا الاعتراض ويطلب من الشاهد الإجابة على السؤال.

- عبد التواب: يا بك... أنا لا أغادر مكاني إلا لقضاء حاجتي ثم أعود مرة أخرى.

- المحامي: ولكن ألم تقل في تحقيق النيابة أنك الساعة الثانية عشر والنصف ذهبت لتحضر أولادك من المدرسة؟ لأنك عندما تصل إلى هناك ستكون الساعة الواحدة تمامًا.

- عبد التواب: بلى... يا سعادة البية.

- المحامي: معنى ذلك أنك في هذا التوقيت الذي تترك فيه العقار، لا أحد يجلس مكانك.

- عبد التواب: ليس دائمًا يا سعادة البية... يعني لو مرتي ليست مشغولة بشيء تجلس هي مكاني.

- المحامي: وهل في هذا الوقت جلست هي مكانك؟

- عبد التواب: لا يا سعادة البية.

- المحامي: شكرًا سيادة القاضي، أكتفي بهذا القدر من استجواب

الشاهد.

- ثم يكمل مرافعته قائلاً: بعد أن اتضح لسيادتكم عدم وجود حارس العقار في مكانه في التوقيت الذي حدده الطب الشرعي لوقت وقوع الجريمة، كان بإمكان القاتل أن يدخل ويخرج دون أن يشعر به أحد أو يراه، وبعد أن أوضحت لعدالة المحكمة الوقت المستغرق لوصول المتهم لمنزل والده، فإن هذا سيكون بعد عودة الحارس من اصطحابه لأولاده من المدرسة، وفي ذلك التوقيت كان بإمكانه رؤية المتهم إذا حضر إلى المنزل، وهذا دليل نافي لارتكاب موكلي للجريمة.

- فتعرض النيابة على أقوال الدفاع قائلة: يا سيادة الرئيس إن القضية واضحة وضوح الشمس، فالدفاع يبني مرافعته على استنتاجات ليس بها أي دليل مادي، وكلها من الخيال، أما الأدلة التي قدمناها نحن لسيادتكم فهي أدلة مادية تدين المتهم.

- المحامي: وماذا عن البصمات الأخرى التي لم تستدل النيابة على أصحابها؟ وماذا عن عدم وجود بصمات المتهم على الكوب الذي كان به السم؟ وكيف أيضًا لموكلي أن يحصل على مثل هذا السم؟ وهو يبلغ ثمن الجرام الواحد منه ثلاثة آلاف دولار، أي ما يعادل تقريبًا ستة وثلاثون ألف جنيهًا مصريًا فقط للجرام الواحد، والمصروف الشخصي للمتهم فقط ألف جنيهًا في الشهر، وليس له أقارب أو معارف بإحدى شركات الأدوية كي يستطيع جلب مثل هذا السم، وهو ليس بالطبع متوفرًا أيضًا في السوق المحلي، من أين يحصل سيدي الرئيس هذا المتهم على مبلغ مثل هذا لشراء جرام واحد فقط من هذا العقار؟

- النيابة: ألم يُدرُس هذا العقار في الكلية التي يُدرُس بها المتهم نظريًا وعمليًا؟ ألم يستطع الطالب الاحتفاظ بعدد من الجرامات البسيطة التي من الممكن استخدامها في جريمته؟ وماذا عن العقد الذي

تم العثور عليه في أغراض المتهم بمنزل صديقه؟ أليس هذا وحده دليلاً
كافياً؟

- فيصمت الدفاع ويتحدث القاضي قائلاً: الحكم بعد المداولة.

* * *

ينادي الحاجب بصوت مرتفع محكمة، فيعتدل الجميع في جلسته
ويدخل القاضي قائلاً:

- حكمت المحكمة حضورياً على المتهم طارق يوسف الدسوقي،
بالحبس سنة احتياطياً لعدم وجود أدلة كافية، ويراعى التجديد حتى ظهور
أدلة جديدة رُفعت الجلسة.

فيكي طارق ويبكي والده ويذهب إليه ويحتضن كفيه قائلاً:

- سامحني يا ولدي أنا السبب في كل هذا لا تغضب مني... سامحني.

- طارق باكية: أنا عمري ما أغضب منك يا أبي، ولكن أريدك أن
تكون متأكداً أنني لم أمسسها بسوء، والله يشهد على ذلك.

- والد طارق: أنا متأكد من ذلك يا ولدي، أنا أثق بك، أنا أريدك فقط

أن تسامحني.

وكان كل أصدقائه في هذا الوقت يكون من حرارة الموقف، وخاصة

دينا التي اقتربت من طارق وأخذت يديه بين راحتها وقبلتها وبكت بينهما
وقالت:

- إنى أحبك أكثر من أي شيء، لم يجرى يوماً بخاطري أن هناك شيء

سيفرقنا غير الموت، حتى الموت لم يكن ليفرقنا أبداً، كنت سأبقى معك

وسأظل معك دوماً، لن أفارقك يوماً، لقد أحبك قلبي واختارك من بين كل

البشر، أنت من تمنيت أن أختبئ في أحضانه بعيداً عن كل العيون، سأنتظرك

بكامل عمري، سأنتظرك يا من ملكت قلبي، ستفارقني وقلبي معك، وسأبكي فراقك، سأنتظرك يا أعلى حبيب، سأنتظرك يا عمري القادم.

فيأخذ العسكرى طارقًا ويمشي به وتأخذ ياسمين دينا بين أحضانها، ويكون جميعًا بكاءً مريًا، وتتساقط دموع عمر وهو يودع صديق العمر قائلًا بانفعال واضح:

- لن يضيع حقك يا صديقي، وجودك هنا لن يطول، حتى وإن قضيت عمري كله أبحث عن الحقيقة لأخرجك من هنا لن أتركك، تماسك جيدًا نحن كلنا معك.

- طارق: اهتم بأبي يا عمر، إنه أمانة في رقبتك يا صديقي.
وتبكي شمس في أحضان حاتم وتتساقط دموعه هو أيضًا ويأخذ عمر والد طارق في أحضانه ويكون جميعًا من آلام الفراق.

* * *

بعد مغادرة المحكمة، يصل الأصدقاء جميعًا إلى منزل ياسمين ويجلسون في صمت تام، لا ينبس أحدهم بكلمة حتى تبدأ ندى الحديث قائلة:

- الآن هناك نقطة هامة جدًا ذكرها أ/ فهد المحامي، وهي أن هناك بصمات أخرى وجدوها على الكوب الخاص بعفاف لفردين آخرين، ولكن لم يتعرفوا عليهم.

- لارا: بالله يكفي ما نحن فيه.

- فيتته عمر لحديث ندى قائلًا: بالفعل إنها محقة فيما تقول، إذا استطعنا الوصول لهذين الفردين سيُحل جزء كبير من هذا اللغز.

- حاتم: وكيف نصل لهم؟ إذا كانت الشرطة لم تستطع الوصول لهم؟

- ندى: هذه هي المشكلة، من المفترض أن كل فرد يملك بطاقة شخصية أن يكون له بصمة مسجلة على أنظمة الدولة، فإذا لم يستطيعوا الوصول لهذه البصمات، فبالأكيد هؤلاء الناس يقيمون في أماكن مجهولة ... و

وفي هذه اللحظة يرن هاتف عمر، ويجد عمر رقم عم ناصر سائق باص الجامعة فيلغي عمر الاتصال، ثم يتصل به ناصر مرة ثانية وثالثة فيلغي عمر الاتصال في كل مرة، فتسأله شمس:

- من المتصل يا عمر؟

- عمر: إنه عم ناصر سائق باص الجامعة.

- شمس: أجب عليه لتعرف ماذا يريد؟

- عمر منفعلًا: أعتقد أنه قرأ موضوع طارق في الجرائد ويتصل ليسأل عليه.

- شمس: وما المشكلة إذا؟

- وعندما يتصل ناصر مرة أخرى يجيبه عمر: مرحبًا يا عم ناصر... كيف حالك؟

- ناصر: أين أنت الآن؟

- عمر مندهشًا: خير يا عم ناصر ماذا حدث؟

- ناصر: أين أنت يا ولدي؟... هناك أشياء هامة تخص قضية طارق أريد إخبارك بها.

- فيندهش عمر: قضية طارق!! ماذا تعرف عنها؟

- ناصر: يا ولدي لن يجدي الحديث في الهاتف، لا بد أن أقابلك.

فيعطيه عمر عنوان ياسمين وينهي معه المحادثة فينظر له باقي المجموعة وتظن له شمس قائلة:

- ماذا يريد عم ناصر يا عمر؟
- فيلقي على مسامعهم حديث ناصر السائق، فيندهشون جميعًا وتمر ساعة، ويصل ناصر السائق إلى فيلا ياسمين ويرحب به عمر قائلاً:
- تفضل يا عم ناصر... خير، ماذا لديك؟
- ناصر: لقد علمتُ ما حدث لطارق منذ عدة أيام فقط لأنني كنت في أجازة، المهم نبدأ مباشرة في الموضوع هذه السيدة التي قُتِلت... زوجة والد طارق... كانت زوجتي منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا.
- فتندهش كل العيون المحيطة بناصر، وتفرغ الأفواه من هول الكلمات التي نزلت على رؤوسهم كصاعقة السماء فينظر لهم ناصر قائلاً:
- أنا كنت متوقع هذه النظرة منكم، ولكنها الحقيقة.
- عمر مندهشًا: لا لا لا،... لحظة واحدة فقط لأنني لم أفهم شيئًا... هل تعلم أولًا اسم السيدة التي قُتِلت؟
- ناصر: عارف، وسواء عارف أم لا... مستحيل هانسى شكلها يا ولدي لقد كانت زوجتي!
- ندى: ثانية واحدة من فضلك يا عم ناصر، أنت تقول أنها كانت زوجتك منذ خمسة عشر عامًا، فمحتمل أن تكون سيدة أخرى تشبهها.
- ناصر: يا أستاذة أقول لك كانت زوجتي، والرجل ممكن أن يخطأ في أي إنسان إلا زوجته التي كانت معه في فراش واحد.
- فيتنحنح عمر من كلمات ناصر: هل تسمح يا عم ناصر أن تقص علينا ما تعرفه بالضبط؟
- وقبل أن يبدأ ناصر في سرد أحداث قصته تتحدث ندى قائلة:
- لحظة واحدة من فضلك يا عم ناصر... أنا من رأيي يا أصدقائي أن

ما سيقصه علينا عم ناصر لا بد أن يستمع إليه أيضًا / فهد المحامي، لكي يستطيع الإمساك بخيوط الأمر كلها من أولها.

فيوافقون جميعًا على هذا الاقتراح، وتتصل ياسمين بالمحامي وتخبره بأنهم اكتشفوا عنصرًا جديدًا هامًا بالقضية، وأنهم متجهين إلى مكتبه، فيرحب بهم في لهفة.

* * *

الفصل الخامس عشر

بعد مرور نصف ساعة يصل الأصدقاء جميعًا إلى مكتب المحامي، ويسرد عمر على مسامعه ما حدث، وقبل أن يطلب المحامي من ناصر السائق سرد ما لديه، يعرض عليه صورة عفاف قائلاً:

- هل هذه هي السيدة التي تقصدها يا ناصر أم أخرى تشبها؟

- ناصر ينظر لها برهة: هي يا أستاذ... لقد تقدم بها العمر وازدادت جمالاً أكثر من ذي قبل، ولكنني متأكد أنها هي.

فيخرج المحامي هاتفه الجوال من جيبه، ثم يشغل تطبيق التسجيل قائلاً:

- حسناً قص علي كل ما لديك ولا تهمل أي شيء حتى لو أنت تعتقد أنه ليس ذا أهمية.

- ثم يوجه حديثه للموجودين: لا أريد أن يقطع حديثه أحد، حتى لو له سؤال أرجو تأجيله بعد أن ينتهي من حديثه.

فيلتزم الحاضرون جميعًا بالصمت، ويبدأ ناصر قائلاً:

- منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا قابلت عفافاً، كانت فتاة صغيرة وجميلة وبيضاء الوجه ومن بيئة شعبية بنت بلد وترتدي دائماً خلعاً يهد جباً، حينما تسير في الطرقات خطواتها تجذب كل من حولها، كانت تبلغ من العمر تقريباً ثمانية عشر عامًا وكنت أبلغ أنا من العمر وقتها سبعة وأربعين

عامًا، لكن من يراني لا يصدق هذا، وكنت وقتها أمارس الرياضة وكنت شديد الاعتناء بنفسى، وكان المال معي مثل الأرز وأفعل ما يحلو لي، وجذبتني لها وبدأت العلاقة بيننا وأحببني بعد ذلك، أو كما اعتقدت أنا ذلك، وأنفقت عليها الكثير من المال ولم أستطع بعد ذلك الاستغناء عنها، وعندما أردت الزواج بها رفضت عائلتها وتحدثني وحدثت مشاكل كثيرة كادت أن تراق لها الدماء لأننا من منطقة تدعى الباطنية، يعني معسكر السلاح والمخدرات وكل شيء ممنوع تجدونه لدينا، وفى النهاية تزوجتها وهربنا على الإسكندرية وتوظفت هناك في أكثر من وظيفة، على سبيل المثال شيال وسائق وحارس مخازن واستمرت حياتنا الزوجية عامين، ولكن المال بدأ ينفد مني والحياة أصبحت غالية وصعبة جدًا، فلم تتحمل ذلك وطلبت الطلاق، أنا حاولت تهدئتها لكن كانت مصرة على ذلك لا أعلم لماذا، وعندما طلقها استمرت في عملي في الإسكندرية تقريبًا خمس سنوات أخرى، وبعد ذلك عدت إلى القاهرة وقالوا لي عنها كلامًا كثيرًا، أحدهم قال إنها تعمل في كباريه وآخر يقول إنها تعمل في شبكة دعارة وآخر قال تزوجت وسافرت، وكان كل فرد يروي لي قصة من نسج خياله، ومن وقتها وأنا لا أعلم عنها شيئًا، لكن عندما رأيت صورتها في الجريدة تعرفت عليها وراودتني الظنون أن يكون من قتلها أحد أفراد عائلتها بعدما توصلوا لها وسرقوها.

- المحامي: ولماذا عفاف لم تخبر والد طارق أنها من الباطنية وأن لها أهل، وقصت عليه القصة التي أخبرنا بها وهي أنها من كفر الشيخ، وكانت متزوجة وزوجها تركها.

- ناصر: لأنه باختصار لا يستطيع أحد الزواج من الباطنية بدون موافقة أهل العروسة وإلا قتلوه، ولذلك هي خافت أن تخبره بهذا الأمر حتى لا يتركها، ولكن محتمل أن يكونوا عرفوا مكانها وهذه كانت النتيجة.

- ناصر مبتسمًا بسخرية: يا آنسة منطقة الباطنية هذه جمهورية أخرى داخل البلد، لا شرطة ولا أمن مركزي يستطيعون دخولها، هذه المنطقة بها أسلحة كأسلحة حرب ثلاثة وسبعين، ليس هناك قوة غير الجيش تستطيع دخول هذا المكان وبالذبابات أو بالطيران، إنه ليس مكان عادي.

- دينا والدموع تكاد تسقط من عينيها: نحن ما علينا الآن إلا أن نبلغ وكيل النيابة بما قاله عم ناصر وبالتأكيد سيساعدنا.

فينظرون جميعًا لفهد المحامي منتظرين منه أي حديث يبعث فيهم بارقة أمل:

- للأسف الكلام الذي قاله عم ناصر صح... وللأسف يا آنسة دينا وكيل النيابة لن يساعدنا في شيء ولا حتى الحكومة كلها.

- عمر: لماذا يا آل فهد لقد ظهر دليل جديد في القضية وهذا يعني أن من المفترض إعادة فتح التحقيق مرة أخرى.

- المحامي: الأمر ليس بهذه السهولة كما أنت متخيل يا دكتور، أو لآ المحكمة حكمت حكمًا احتياطيًا بالفعل ولكن وكيل النيابة لن يرهق نفسه إلا في حالة وجود إثبات مادي بين يديه، وأنا أعني أن كلام عم ناصر في نظره لا شيء، هو لن يصدر أمرًا في أي شيء من أجل الكلام فقط... إلا في حالة أننا قدمنا أدلة قوية تقنع المحكمة وإلا ستعتبر هذا إضاعة لوقتها وترفضه.

- حاتم: وما الحل الآن حضرتك؟... أو كيف نستفيد من كلام عم ناصر؟

- المحامي: لكي نستفيد من كلام ناصر لا بد وأن نعتمد على أنفسنا في إيجاد الدليل المادي الذي سنقدمه للمحكمة.

- شمس: كيف ذلك؟ بعدما أخبرنا عم ناصر بكل هذه المصاعب التي ستواجهنا إذا حاولنا التصرف بأنفسنا.

- المحامي: هذا هو الشيء الذي لا بد وأن نفكر به.

* * *

بعد فترات من الصمت يقطعها ناصر السائق قائلاً:

- أنا أعرف ناساً داخل هذا المكان وأستطيع أن أفتح لكم الطريق
لكن المشكلة بعد أن ندخل ماذا سنفعل؟

- ندى بانفعال: لا ترهق نفسك بهذا الأمر أخبرنا فقط بطريقة
الدخول واترك الباقي لنا.

- ناصر: لا... لا بد وأن أعرف ماذا ستفعلون، لأنه ليس هناك مجال
للمخاطرة في الداخل وإذا كان سيأتي معي أحد فلا بد وأن يكون رجل
وليس فتاة، أنا لن أتحمل على عاتقي مسؤولية فتاة.

- عمر: ليس هناك مشكلة يا عم ناصر أنا ساكون معك.

- حاتم: وأنا بالطبع معكم ولكن أخبرنا من هم الأشخاص الذين
على علاقة بك؟ وكيف ستعرف على أقاربها؟ وكيف نعرف من القاتل؟

- ناصر: أنا كل ما أستطيع فعله أن أدخلكم هناك، ولكن كيف يتم
التخطيط؟ هذا خاص بكم أنتم.

- ندى: ليس هناك مشكلة، أنا سأخطط لكم الأمر، ولكن أخبرني
كيف سنبدأ؟

- فتضع لارا يدها على رأسها قائلة: الله يرحمكم نقرأ على أرواحكم
الفاتحة من الآن.

- فتبتسم ياسمين: ليس وقت مزاح الآن... تفضل يا عم ناصر.

- ناصر: أنصتوا لي، أنا دائماً كل فترة أشتري سلاحاً لبعض أصدقائي
من هناك وحشيش ومخدرات وأشياء من هذا القبيل، فأنا سأدخل ومعني

حاتم وعمر على أنهما عملاء لهما حجمهما ويبحثان عن صفقة جيدة، وبما أنهما سيكونان معي لن يشك بهما أحد، لأنني معروف هناك ولي رصيد جيد لديهم وبالتأكيد ستكون البداية.

- ندى: هذا شيء جيد.

- شمس: لكن يا عم ناصر أنت لك مصالح معهم... فلماذا توقع بهم في أيدي الشرطة وتضحى بهم هكذا؟

- ناصر: يا دكتورة لقد بلغت من الكبر عتياً منذ فترة طويلة وغزا الشيبُ مفرقي، وأضعت حياتي وشبابي بسبب امرأة وبسبب أخطاء كثيرة، ألا تكون هذه الفرصة هي الحسنه التي ممكن يسامحني الله بسببها... هذا غير أن معزة طارق وعمر لدى كبيرة جداً وهما يعلمان ذلك جيداً.

- ندى: ولكن كيف يا عم ناصر تتزوج ابنتهم رغماً عنهم وأنت منهم وبالتأكيد يعرفونك جيداً... وعندما عدت لهم بعد هذه السنين كلها لم يتذكرك أحد.

- ناصر مبتسماً: يا أستاذة الشيب والعجز يغير الملامح كثيراً وأنا لم أكن هكذا بالماضي، هذا غير أنني كنت على صلة بموظفين في الحكومة، قاموا بتغيير اسمي وبطاقتي لكي أستطيع أن أدخل المكان مرة أخرى بدون أن يتعرف عليّ أحد.

ثم يخرج صورة من محفظته ويربها لندی قائلاً:

- انظري جيداً لهذه الصورة وتفحصيها.

- فتأخذ ندى الصورة وتنظر لها باستغراب: أليست هذه عفاف التي

قَتَلْتِ؟

- ناصر: بلى، ما رأيك إذًا في شكلها بالماضي مقارنةً بالوقت

الحالي؟

- ندى: كأنها شخصية أخرى... كيف عرفتها إذا؟... ومن يكون الذي بجوارها هذا؟

- ناصر: عرفتها... لأنني لن أستطيع نسيانها أبداً... والذي بجوارها ألم تعرفي عليه؟

فتنظر شمس ودينا وياسمين ولا را إلى الصورة، ثم تجيب شمس بعد تدقيق ومقارنة الصورة بناصر:

- هل هذا أنت يا عم ناصر؟

- ناصر مبتسماً: لو كان أحد غيري أعطاك هذه الصورة هل كنت ستوقعين أنه أنا من بها؟

- ندى مندهشة: مستحيل، لقد تساقط شعرك واهتممت بشاربك حتى التجاعيد ملأت وجهك وجسدك الآن لم يعد كسابق عهده تماماً.
- ناصر: عرفت الآن كيف استطعت العودة وأنا مطمئن أنه لن يعرفني أحد.

فيقطع فهد المحامي حديثهم عن الذكريات لتوفير الوقت قائلاً:

- شيء رائع... هل لديكم فكرة كيف تتعاملون مع أمثال هؤلاء أو كيف ستتعرفون على القاتل؟

فيصمت الجميع لعدم معرفتهم بالتصرف المطلوب لحظات، فيبدأ المحامي الحديث قائلاً:

- حسناً، في بادئ الأمر نحن نحتاج أن نصور كل إنسان ستقابلوه هناك وهذا شيء ليس صعب، وتصوروا بالتحديد كل سيده ستقابلوها، وما هي أنواع المجوهرات التي ترتديها كل منهن؟ لأن تلك ستكون أول خطوة للتعرف على الجناة الحقيقيين، أما الشيء الثاني وهو هام جداً، نحن نحتاج

أن نأخذ بصمات كل فرد في هذه العائلة سواء سيدة أو رجل أو حتى طفل صغير، لكي نطابقها بالبصمات التي اكتشفها الطب الشرعي ولم يستدلوا على أصحابها.

- دينا: حسنًا، أمر التصوير هذا سهل، التكنولوجيا ووسائل التجسس الحديثة ستجعلنا قادرين على فعل ذلك بسهولة... لكن كيف سيأخذون بصمات كل فرد سيقابلونه؟

- المحامي: هذا الأمر أريدكم أن تفكروا به.

- لارا: أعتقد أنني كنت رأيت تطبيقًا مرّحًا على ستور بلاي يستطيع حفظ أكثر من بصمة لأكثر من شخص، عندما يقوم بلمس شاشة الهاتف الجوال، ومالك هذا الهاتف يستطيع حفظ كل بصمة باسم مالكها، لكي يعرف من عبث بهاتفه وهو بعيد عنه.

- المحامي: هل أنت متأكدة من وجود هذا التطبيق؟

- لارا: أنا لم أستخدمه، ولكن أعتقد أنني رأيته منذ عدة أيام.

فتبحث دينا عنه فتجد بالفعل هذا التطبيق ولكن التعليقات عنه قليلة فيقررون تجربته وبعد تحميله على هاتفها تقول:

- حقًا إنه يعمل أيضًا والشاشة غير مضيئة... وبالفعل لا يقبل أكثر من عشرين بصمة.

- المحامي: ليس مهمًا العدد... المهم أنه يستطيع حفظ أكثر من بصمة.

ثم يبدأون تجربته على أنفسهم، يضعون بصماتهم ويسجلونها بأسمائهم، ثم يعاودون وضع بصماتهم مرة أخرى فيظهر اسم صاحب البصمة فيتسم المحامي قائلًا:

- هذا عظيم... عظيم حقاً... ولكن أهم شيء الآن هو الحذر ثم الحذر وإلا العواقب لن تكون في صالحنا.
- عمر: ومتى سنبدأ إن شاء الله؟
- ناصر: أنا أعرف شاباً حبيبي هناك، سأخبره أن يجهز لنا الطريق لعدم إضاعة الوقت.
- حاتم: ماذا تقصد بذلك؟
- ناصر: أقصد أن مثل هذه الأماكن حضرتك يقف في بداية الطرق المؤدية لها شباب يطلقون عليهم اسم (ناضورية)، لكي يراقبوا كل فرد داخل وخارج ولو أحد غريب جاء ليس من المنطقة يوقفونه ويعرفون من هو، وإذا أحسوا بالغدر يحذرون المعلمين بالداخل، وكل واحد يأخذ حذره ويجهز نفسه إذا حدث هجوم من الشرطة أو مثل ذلك.
- حاتم: ما شاء الله وهل أنت بالفعل تعرف أحدهم؟
- ناصر: أنا أعرف أسفل واحد فيهم... واحد مسلوع كدا وعامل زي الخلة وراشق فيها زيتونة... ولكن قلبه قلب أسد... شوف فيلم محمد رمضان قلب الأسد.
- حاتم: لا، ولكن سمعت عنه تقريباً.
- ناصر: هو مثله بالضبط.
- عمر: وبالطبع يطلق على نفسه عبده مودة أو الألماني.
- ناصر: لا لا لا لا،... هذا الهراء لا يجدي معه أبداً.
- فيتصل ناصر بالهاتف فيجيبه الطرف الآخر: عم ناصر طال غيابك يا قمر... لم تتصل بنا منذ عدة أيام.
- ناصر: حبيبي يا ض (يا بلبوص)، في هذه الأيام كنت أتعرف بعملاء لديهم من الأموال ما يغنيني باقي الحياة.

- بلبوص: وهل ستغتني وحدك وتتركنا؟
- ناصر: ومتى حدث هذا؟ ولذلك أتصل بك.
- بلبوص: حبيبي يا عم ناصر يا جن... هل ستأتي اليوم أم لا؟
- ناصر: نعم، ولكن أخبر المعلمة أم مطهرة أنني قادم لأجلها.
- بلبوص: ولماذا أم مطهرة تحديداً؟... إن بضاعتها غالية جداً
ولا أحد يستطيع توزيعها بسهولة.
- ناصر: ألم أقل لك أن لديهم من المال ما يغنينا يا حمار؟
- بلبوص: حسناً... علم وينفذ يا كبير.
فيغلق ناصر معه الهاتف فيجد كل العيون متجهة نحوه فيبتسم قائلاً:
- إن هذا الأسلوب هو أسلوبهم في الحديث وأنتم أولاد ناس
محترمين، ولكن اليوم ستتعرفون على ولاد الكلب.
- شمس: معذرة يا عم ناصر... سؤال رفيع... ما هو اسم الشاب
الذي كنت تتحدث إليه الآن؟
- ناصر: بلبوص... بلبوص قالع ملط.
- فيضحك عمر ملء فمه قائلاً: أعتقد أنك تمزح... دا اسم دا ولا
إيفيه؟
- حاتم: ومن تكون المعلمة مطهرة؟
- ناصر: هذه واحدة من بنات التجار الكبار والتي ورثت العرش
مكان أبيها وتقوم بالتجارة هي وأختها.

تلتقي ياسمين بوالدها في منزلها فيبتسم لها في حزن قائلاً:

- أخبريني يا حبيبة قلبي، ماذا توصلتم في قضية طارق؟

فتقص عليه ياسمين ما حدث وما سوف يفعلونه فينزعج يس قائلاً:

- أنتم مجانين وحاتم هو الآخر اختل عقله! وكيف يوافق فهد ويشترك معكم أيضًا فيما تفكرون به وستفعلونه؟ أنا سأحدث إلى وزير الدخلية شخصيًا.

- فتلحق به ياسمين: يا أبي أرجوك، ليس لدينا سبيل آخر لنثبت به وجود أفراد آخرين دخلت إلى منزل طارق وقتلت زوجة أبيه، وأي شيء غير ذلك / فهد أخبرنا أنه لن يجدي مع النيابة أو المحكمة، فلا بد من وجود دليل مادي قوي يستدعي ذلك.

- يس منفعلًا: لكن لو عمر وحاتم أخطأوا في أي شيء بدون قصد وارتابوا في أمرهما أهل المنطقة، سيقتلونها في وقتها وبدون تردد ولن يرحمهما أحد، أنتم مجانين كيف أصبحتم في هذه المرحلة من العمر وما زالت أفكاركم جنونية بهذا الشكل؟

- فتمع عين ياسمين: يا أبي نحن توكلنا على الله، وهذا مستقبل إنسان وطارق محترم جدًا وطيب جدًا جدًا... حضرتك بالله لو تعرفت عليه ستعلم لماذا كلنا حوله ونحاول مساعدته... وغير ذلك دينا فاضت روحها من كثرة البكاء عليه... أنت لا تعلم كم هي تحبه؟

- ثم تلقي بنفسها في حضن والدها باكية فيربت على كتفيها في حزن وخوف وقلق قائلاً: كان الله في عونهما.

يأتي الليل ويذهب عمر وحاتم وناصر السائق إلى إحدى الطرق المؤدية إلى منطقة الباطنية، الذي يعلم أن بلبوس دائم التواجد به، فيراه الأخير فيرحب به قائلاً:

- مرحبًا مرحبًا بك يا عم الكل يا كبير المنطقة، أشرفت الأنوار
واهتزت الأسوار وغردت الأوتار لرؤياك يا مدير.

- ناصر: كيف حالك يا بلبوص؟

- بلبوص: أنا بخير طول ما أنت بخير يا كبير.

- ناصر: أخبر المعلمة أن معي ضيوف يهمني أمرهم جدًّا.

- فينظر لهما بلبوص متفحصًا ثم يجيب: المعلمة تنتظر في
مملكتها يا كبير.

ثم يسطحهم بلبوص إلى المكان عابرًا إحدى الحارات الداخلية
يمينًا فيسارًا في حارات ملتوية كالثعبان، يصعب على من يأتي لهذا المكان
أن يحفظ خريطته بسهولة، ثم يصلون إلى مكان أم مطهرة فترحب بهم
قائلة:

- مرحبًا بك يا ناصر، لماذا لم نرك طيلة هذا الوقت ولا نعلم عنك
شيئًا؟

- ناصر: لا شيء يا معلمة ولكن بالتأكيد أنتِ ملكة الجميع وبضاعتك
لا يقدر عليها إنسان غلبان مثلي.

- أم مطهرة: وهل تنوي تغيير الصنف وتصبح من الأثرياء؟

- ناصر: ليتني أستطيع فعل ذلك، ولكن معي تجار أعرفهم معرفة
خير، وأخبرتهم عن بضاعتك وجاءوا ليتفقدوا معك.

- أم مطهرة: وهؤلاء التجار لديهم المال أم سيدفعون شيكات؟

- ناصر: لا تقلقي هؤلاء التجار أموالهم جاهزة وقت الكلمة الأخيرة.

- أم مطهرة: حبيبي يا ناصر.

- ناصر: الله يكرمك يا معلمة.

- ثم يسألها ناصر عن أختها حرقاهم فتجيبه: لا تقلق عدة دقائق وتكون هنا، أنا أعلم أنك مشتاق لها.

- ناصر: الله يكرمك يا معلمة... التجار يودون أن يروا البضاعة.

- أم مطهرة: يووه... ماذا يشربون أولاً وقبل كل شيء؟

- ناصر: لا داعي لذلك، فهم ليس لديهم وقت لذلك.

- أم مطهرة: ليس هناك مشكلة.

ثم تأخذهم أم مطهرة إلى قبو أسفل المنزل المتواجدين به وتعرض عليهم بضاعتها قائلة:

- هذا الصنف لم يتواجد في الأسواق إلى الآن، ولن يتواجد قبل العام القادم، ولكن لن تجدوه لدى أحد غيري أنا.

- ناصر: بالتأكيد ولذلك آتينا لك... ولكن لماذا العام القادم؟

- أم مطهرة: لأنهم يقولون سيزداد سعر الدولار يا حبيبي ونحن أحق بالفرق.

- ناصر: ولكنك تقولين هذه هي المرة الأولى التي سيتواجد بها الصنف في الأسواق... فكيف ستزيدين من سعره؟

- أم مطهرة: أنسيت من أكون يا ناصر، كيف تسألني هذا السؤال؟

- ناصر: معذرةً يا معلمة.

ثم توجه أم مطهرة حديثها للزبائن المصطحبين ناصر قائلة:

- هااا... ما رأيكو يا تجار؟

- عمر: ممكن يا معلمة تخبرينا باسم هذا الصنف وما هو تأثيره؟

- أم مطهرة: نحن إلى الآن لم نختر له اسمًا، ولكنك تستطيع تسميته

ما تشاء؟

- حاتم: هل تسمحي لنا بالاحتفاظ ببعض الجرامات من هذا الصنف لكي نعرف الفرق بينه وبين عدة أصناف أخرى لدينا؟
فتنظر لهم أم مطهرة في ريبة ثم إلى ناصر، فيشير لها الآخر برأسه موافقًا قائلاً:

- أنا أضمنهم برقبتي يا معلمة.

- فتبتسم أم مطهرة: سأوافق لأجلك أنت فقط يا ناصر.

فيأخذ حاتم بضع جرامات يضعهم في منديل، ثم يخرجون جميعًا من القبو فيجدون حرقاهم جالسة في الصلاة منتظرهم فتبتسم ملء فمها قائلة:

- ناصر حبيبي أين أنت يا رجل، ألم تشتق لي؟... أم تأتي فقط عندما يكون لك غرضي ما.

- ناصر: كيف ذلك يا جميل؟ وأنت من في القلب، وبعيوني لك ألف دليل.

- فتضحك ضحكة خليعة: حبيبي يا مشنتي.

- ثم يخرج حاتم هاتفه من جيبه فتراه أم مطهرة ثم تسأله: ما هذا الهاتف الغريب؟ هذه أول مرة أراه.

- حاتم: هذا نوع جديد من ماركة سامسونج اسمه (نوت ناين)، اشتريته من ألمانيا لم يتوافر بالأسواق المصرية إلى الآن.

- فتتاب في أمره أم مطهرة وتخطفه من يده قائلة: أريني هذا الهاتف، أريد أن أعرف على خصائصه.

- فيبتسم حاتم لأن هذا ما يريده، قائلاً: تفضلي.

فتفتحه لترى ما به، هل قام بتصوير شيء أو تسجيل صوتي لأي شيء، فلا تجد أي صور لممتلكاتها أو تسجيلات صوتية عليه فتقول:

- لا تؤاخذني، فأنت تعلم ولاد الحرام كثيرون.
- حاتم: لا عليكي، أعطيه لأختك أيضًا ربما تود رؤيته.
- فتأخذ حرقاهم الموبايل قبل أن يسجل حاتم بصمة أم مطهرة فتمحي بصمتها حرقاهم، ثم تدخل عليهم مطهرة ابنتها ومعها أحد صبيان والدتها فيقول ناصر:
- ما شاء الله أصبحت عروسة الآن يا مطهرة.
- مطهرة: شكرًا يا عم ناصر.
- ثم يطلب ناصر منها أن تأخذ صورة معه، فيأخذ حاتم الموبايل من حرقاهم ويسجل بصمتها باسمها، وقبل أن يصورها تعترض أم مطهرة قائلة:
- لا يا حبيبي لا تؤاخذني، ابنتي لن يصورها أحد غريب.
- فيقول ناصر: ليس هناك مشكلة، صورينا أنت.
- أم مطهرة: ليس الآن المرة القادمة عندما تأتي بمفردك.
- ثم يجذب انتباه مطهرة الهاتف الذي بيد حاتم، فتطلب منه أن تراه فيعطيه لها، وبعد أن تفحصه تطلب من والدتها أن تشتري واحدًا مثله، فتجيبها بأنه لم يتواجد بالأسواق المصرية حاليًا، فيعدها حاتم بأنه سوف يهديها واحدًا مثله حين إتمام الصفقة، ثم يسلمون عليهم ويغادرون.
- فتحدث حرقاهم أم مطهرة قائلة: من هؤلاء يا أختي؟
- أم مطهرة: لا أعلم، ولكن ناصر أخبرني أنهم تجار كبار ومعهم ما يُمكنهم من شراء بضاعتنا بسخاء... ولكن أنا لست مطمئنة.
- حرقاهم: لماذا؟ ألم تقولي أنهم معرفة ناصر؟ لا تقلقي إذاً.
- أم مطهرة: لا يا أختي ناصر تقدم به العمر وخرف ولم يعد كسابق عهده، ومن السهل أن يخدعه.

- حرقاهم: وماذا ستفعلين؟
- أم مطهرة: أرسلني مدقوق ابنك خلفهم ليعرف أين يقيمون،
ويحاول معرفة بعض المعلومات عنهم.

الفصل السادس عشر

- أثناء الطريق وحاتم يقود سيارته يحدث ناصر قائلاً:
- هذه الدراجة البخارية تتبعنا منذ خروجنا من هناك.
 - ناصر: أعتقد أنه صبي من صبيان المعلمة يراقبنا.
 - عمر: وماذا نحن فاعلون؟
 - فيصمت حاتم لحظات ثم يتصل بحارسه الشخصي فيجيبه قائلاً:
 - أمرك يا حاتم بك.
 - حاتم: علي، ابحث لي الآن وبسرعة عن أي شقة في الزمالك للإيجار، ثم اتصل بي وأخبرني العنوان.
 - علي: الآن، هل تعلم يا حاتم بك أن الساعة الآن الواحدة بعد منتصف الليل؟... وهل سأجد أحد الآن يؤجر لي شيئاً؟
 - حاتم منفعلاً: هذه ليست مشكلتي، أنا ليس لدي وقت... بسرعة... أنصت لما سأقوله الآن، الشخص الذي تستأجر منه الشقة أخبره إذا سأله أحد منذ متى ونحن نقيم لديه؟ يخبره بأن ذلك حدث منذ أسبوع هل تفهمني؟ أسبووع.
 - ثم يغلق الهاتف فيندهش عمر قائلاً: لماذا تفعل ذلك؟!
 - حاتم: وهل تريد أن يعرفوا منزل أحدنا؟
 - ناصر: ولماذا الزمالك نحن ممكن أن نقضي الليلة في شقتي، وبهذا سيطمئنوا أكثر.

- حاتم: حقًا كيف تفكر هكذا؟ وإذا كانوا هم من قتلوا عفاف بالفعل، سيتم القبض عليهم وبعدها يرسلوا أتباعهم ليقتلوك كما حدث في فيلم ٨٥ جنايات... والزمالك بالتحديد لأن مظهرنا الخارجي وأسلوب حديثنا معهم، يوحي بفخامة مستوانا المادي والاجتماعي.

- وبعد مرور نصف ساعة وحاتم يجوب شوارع القاهرة يتصل علي حارسه الشخصي فيجيب حاتم قائلاً:

- هاااا... أخبرني أين العنوان؟

ثم يتجه حاتم مباشرةً على عنوان الشقة الذي أعطاه له حارسه الشخصي، فيقضيان الليلة بها متأرقين يُجافي النوم عيونهما من الرعب الذي حطمهما في أجواء حي الباطنية.

* * *

يستيقظ حاتم وعمر وناصر قرابة الواحدة ظهرًا على اتصال من شمس لعمر ومن ياسمين لحاتم فيجيب:

- ألو... مرحبًا ياسمين.

- ياسمين: أين أنتم يا حاتم؟ لقد أقلقتمونا عليكم.

- حاتم: نحن في الزمالك.

- ياسمين: الزمالك!!... ماذا تفعلان هناك؟

- حاتم: حينما أراك سأقص عليك كل شيء... أين أنتم الآن؟

- ياسمين: نحن تقابلنا جميعًا ونود الذهاب إلى أ/ فهد المحامي

ولكن انتظرناكم لكي نعرف ماذا فعلتم ليلة أمس؟

- حاتم: حسنًا، اذهبوا أنتم ونحن سنتبعكم.

بعد مرور ساعة من انتظار شمس وياسمين وصديقاتها في تلهف لما توصل إليه عمر وحاتم وناصر، يدخل هؤلاء إلى مكتب المحامي فيقول:
- ماذا حدث يا دكتور عمر؟ لماذا لم تخبروني بما فعلتموه ليلة أمس حينما انتهيتم؟

- عمر: معذرة يا أستاذ فهد لقد هلكت أعصابنا مما رأيناه.

ثم يخرج عمر من حقيبته النظارة التي تم تصوير كل شيء بها وهو مرتديها أمس، ويخرج حاتم أيضًا هاتفه الجوال الذي عليه بصمات المشكوك في أمرهن، ومسحوق المخدر الذي أخذه ويعطيان كل ذلك إلى فهد المحامي، ويبدأ الأخير بتفريغ الفيديو التي قامت بتصويره نظارة عمر، ثم يعرضه بالبروجكتور ويشاهدون ما حدث معهم بالأمس، ويبدأ فهد المحامي في أخذ لقطات مصورة مقربة على المصوغات التي ارتدتها السيدات اللاتي قابلهن بالأمس، ثم يطلب من عمر إحضار والد طارق للتعرف على هذه المصوغات، وبالفعل لم تمر أكثر من ساعة وكان عمر يدخل ومعه والد طارق، فيرحب به المحامي ثم يعرض عليه الصور قائلاً:

- انظر بدقة إلى هذه المجوهرات يا حاج يوسف.

فعندما ينظر والد طارق للصور المعروضة إليه يجيب:

- حسنًا هذه السلسلة التي ترتديها السيدة البدينة في رقبتها كنت قد اشتريتها كهدية زواج لعفاف رحمها الله، وهذا العقد أيضًا الذي ترتديه البنت الصغيرة كان ملك المرحومة والددة طارق.

- فيبتسم المحامي: الحمد لله، والآن لم يتبق غير أن نعرف البصمات التي على الهاتف مطابقة للبصمات التي وجدت على الكوب أم لا، ونقوم أيضًا بتحليل هذه البودرة لتأكد منها أيضًا هل هذا النوع الذي قُتلت به عفاف أم لا؟

فيذهبون جميعًا إلى النيابة ومعهم الأدلة التي تبرأ طارق من هذه الجريمة، فيسألهم وكيل النيابة كيف حصلوا عليها، فيقصون عليه ما حدث فيندهمش لهذه الصداقة التي كانت ممكن أن تطيح بأصحابها إلى نهاية لا رجوع منها، ثم يعنفهم على ما فعلوه من طيش، وكان جواب المحامي بأن ما فعلوه كان لا بد منه لكي يستطيعوا فتح ملف القضية دون أن تتردد المحكمة ولو للحظة واحدة، فيأمر وكيل النيابة بفحص البصمات التي على هاتف حاتم وفحص نوع البودرة التي معهم، ثم يسأل والد طارق عن الصور التي أعطاها له المحامي هل المجوهرات التي بها هي بالفعل ممتلكات زوجته، فيصدق والد طارق على كلامه ويجيبه بأنه لديه فواتير بمصوغات عفاف لأنه اشتراها من وقت قريب، ويستطيع التأكد من هذا، أما مجوهرات زوجته الأولى فهي قديمة جدًا، وليس معه إثبات بها غير بعض الصور القديمة له هو وهي وهم في مرحلة الشباب وهي مرتدية بعض من هذه المجوهرات، فيطلب منه وكيل النيابة إحضار نسخ من هذه الصور والفواتير، حتى يرفقها بطلب الاستئناف مع الصور الملتقطة للسيدات المشكوك في أمرهن، فيذهب عمر ووالد طارق إلى منزل الأخير ويحضران الفواتير ويستخرجان نسخًا من الصور القديمة لوالد ووالدة طارق، ثم يعودان مرة أخرى إلى النيابة وفي خلال هذا الوقت كان قد انتهى الطب الشرعي من فحص البصمات التي على الهاتف ومطابقتها بالتى كانت موجودة على الكوب، ومن تحليل نوع البودرة التي حصلوا عليها من الباطنية، وعندما يصل التقرير يندهمش وكيل النيابة مما يقرأه ثم يتحدثهم قائلاً:

- تقرير الطب الشرعي أثبت أن بصمة من البصمات الثلاثة بالفعل مطابقة لبصمة من البصمات اللاتي كانتا على الكوب، وأن العقار المستخدم في الكوب هو نفسه العقار الذي تم تحليله الآن.

- فتبكي دينا ووالد طارق فرحًا قائلاً: ياما أنت كريم يا رب... الحمد لله... الحمد لله.

- فتحتضن ياسمين دينا وهي تبكي قائلة: أنا كنت متأكدة من ذلك شكراً يا رب الحمد لله.

فيتسم والد طارق وشمس ودموع الفرح تملأ عيونهم، ويربت حاتم على كتفيهم وتصفق ندى ولارا بيديهما في الهواء، ويربت المحامي على كتف ياسمين ودينا ويتسم وكيل النيابة لقوة هذه الرابطة التي جعلتهم يتكاتفون معاً لهدف واحد دون الاعتراف بأي مخاطر سيواجهونها، ولكن يبقى الآن ما هو أهم فيبدأ وكيل النيابة حديثه قائلاً:

- حسناً... ما فعلتموه إلى الآن جيد جداً ولكن بالرغم من ذلك لن نطالب بفتح القضية.

فيصعق الجميع من قول وكيل النيابة ويعم الصمت عليهم جميعاً وينفعل عمر قائلاً:

- لماذا سيادتك؟ أليس لدينا كل الدلائل التي تبرأ طارق وهي بين يديك الآن؟

- فيحاول وكيل النيابة تهدأته قائلاً: أنا بالطبع مُقدر موقفك... ولكن ما يجب أن تعرفوه أننا إذا طلبنا الاستئناف الآن محتمل أن يصل الخبر إلى الجرائد، وإذا وصل لهم بالفعل سيكون هناك احتمال أن يصل لهاتين السيدتين، ويشير بيده إلى صورة أم مطهرة وحر قاهم ثم يكمل، ونحن بالطبع لا نريد ذلك، أنا أريدكم أن تُكملوا خطتكم كما بدأتوها، وأنا من الآن سوف أساعدكم ولكن بحذر حتى لا نخطئ.

- فيصدق على كلامه فهد المحامي قائلاً: هذا الكلام صحيح يا جماعة، إذا بالفعل انتشرت الحقيقة محتمل أن نخسر كل ما فعلناه.

- عمر: وما هي الخطوة المفترض إتمامها الآن؟

- فيجيبه وكيل النيابة: يجب أن تعلموا أننا لن نستطيع اقتحام الباطنية مهما كانت الأسباب، حتى وزير الداخلية نفسه إذا وصل له الأمر لن يصدق

عليه، ولكن الحل هو أنكم تستدرجون هاتين السيدتين خارج منطقة الباطنية حتى ولو بجزء بسيط من هذه البضاعة، وفي هذا الوقت نستطيع الإمساك بهما متلبستين بالمجوهرات والبودرة.

- ناصر مندهشاً: ولكن خروجهما من هناك شيء مستحيل، وإذا خرجتا لن تكون معهما البضاعة.

- وكيل النيابة: هذا دورك أنت يا ناصر أن تخرجهما من جحرهما.

- ناصر: ولكن سعادتك ليس هما من يسلم البضاعة أبداً بل مساعديهما لكي يكونا في أمان.

- وكيل النيابة: يتضح لي من الفيلم الذي شاهدناه الآن، أنك على علاقة وطيدة بالسيدة التي تدعى حرقاهم، فهل استتاجي صحيح؟
- ناصر: نعم سعادتك.

- وكيل النيابة: شيء جميل... أنت ستفق معها على موعد غرامي لكي تقضيا وقتاً لطيفاً مع بعض مثل ما يحدث دائماً... ألم يحدث هذا من قبل؟ هذا الفيلم فاضح كل شيء.

- فييتسم ناصر ويداعب شاربه: حدث بالفعل سعادتك.

- وكيل النيابة: هذا فقط ما أريده.

* * *

تذهب حرقاهم في الشقة التي استأجرها حاتم ليلة أمس لقضاء ليلتها بها، فيستقبلها ناصر بالأحضان والقبلات ثم يجلسان بعض الوقت في مرح ودعابة ويشغل ناصر موسيقى بلدي ترقص عليها، وأثناء انسجامهما يقتحم عليهما خلوتهما بعض الأفراد الملتصمين موجهين أسلحتهم تجاه ناصر وحرقاهم ثم يكتفونهما معاً، فيصيب الذعر قلب الأخيرة وتحاول الصراخ

فيلصق أحد الملمثين فوهة مسدسه برأسها قائلاً: إذا حاولت الصراخ مرة أخرى سأفجر رأسك.

- فترتعد حرقاهم قائلة: ماذا تريدون؟ ماذا فعلت لكم؟

- أحد الملمثين: وهل تعتقدين أننا نجهل من تكونين؟ نحن نراقبك منذ لحظة خروجك يا بنت المعلم محروس.

- حرقاهم: من أنتم؟ وماذا تريدون؟

- الملمث: نحن من أكلتم حقهم في كل شيء.

- فتتظر حرقاهم بذعر: زين... أنت زين ابن عمي، هل هذا من الرجولة أن تفعل بي هكذا؟... فيصفعها الملمث على وجهها.

- فيحاول ناصر الإفلات من ربطته قائلاً: يا ولاد الكل...!

وقبل أن يكمل كلمته يضربه أحدهم بمؤخرة مسدسه على رأسه فيفقد وعيه، ثم يوجه حديثه لحرقاهم قائلاً:

- اتصلي بأختك المحروسة وقولي لها أنك وجدت تاجر مجوهرات سيشتري منكم مجوهرات عفاف.

- حرقاهم: ولكن أختي لا تريد بيعها.

- أحد الملمثين: قولي لها أنه سيشتريها بمبلغ سخّي وأخبرها أن تحضرها معها... وإني أحذرك إذا قلت أي كلمة غير ذلك أو صدر منك صوتاً عالياً، سأجعل فتحة أذنك أكبر من فمك.

فتتصل حرقاهم بأختها وتبلغها بما أملاه عليها أحد الملمثين وعنوان المكان وأنها ستنتظرها، وبعد ما يقرب من نصف ساعة كانت أم مطهرة تخطو أولى خطواتها من المبنى الذي أخذت عنوانه، فتجد أمامها شاب قائلاً:

- هل أنتِ أم مطهرة؟

- أم مطهرة: نعم.

- الشاب: تفضلي معي ولا تخافي نحن نفعل ذلك فقط من أجل

الأمان.

- أم مطهرة: لديك الحق في ذلك، الاحتياط واجب.

وعندما تخطو أولى خطواتها داخل الشقة، تجد أفراد العصابة مجتمعين وأختها وناصر مكتوفي الأيدي، وعندما يطلبون منها المجوهرات يسمعون صوت سيارات الشرطة قادمة، فيطلق أحدهم على أم مطهرة الرصاص فتصيب ناصر ويسقط صريعاً في الأرض، ويرتفع صوت حرقاهم بالصراخ وتفر العصابة هاربة، ثم تدخل الشرطة الشقة لتجد ناصر مقتولاً وبجانبه مجوهرات وحقيبة متفخخة فيقبضون عليهما.

بعد عدة أيام من التحقيقات أثبت الطب الشرعي وجود علاقة بين هؤلاء المتهمين وبين جريمة قتل عفاف، وأعلنت الصحف هذه الأخبار وتقدم فهد المحامي بطلب الاستئناف وإعادة فتح القضية.

وبعد زيارة مدقوق لوالدته وخالته، طالبته بإبلاغ المعلم عبد الفتاح حصوة زوج أم مطهرة بأن من قام بفعل هذه اللعبة هم أبناء عمومتهم، لاحتكاكهم بهم أكثر من مرة وليس غيرهم يعلم بأمرهم، فقامت حرب أهلية بين أهل منطقة الباطنية وبعضهم تعددت فيها الأسلحة بشتى أنواعها، وأزهقت خلالها الكثير من الأرواح وحاولت الشرطة اقتحام المكان لفض الاشتباك ثلاثة أيام ولكن دون جدوى.

- محكمة ينادي الحاجب بصوت مرتفع فيدخل بعدها القاضي
قائلاً:

- بعد الاطلاع على ملف القضية رقم ٣٣٥١ ومستجاداتها والقضية
رقم ٣٤٦٣ تقرر الآتي:

- أولاً براءة المتهم طارق يوسف الدسوقي من قتل عفاف زينهم.
- ثانياً لإعدام كل من فوزية محروس صدقي والشهيرة بأم مطهرة
وفتحية محروس صدقي والشهيرة بحرقاهم، لما ارتكباه من جرائم قتل
وسرقة واتجار في المخدرات... رفعت الجلسة.
- فتصرخ كل من حرقاهم وأم مطهرة قائلتين: نحن لم نقتلها، نحن
سرقناها فقط... يا بيه اسمعنا يا بيه... يا بيه نحن تجار مخدرات فقط لم نقتل
يا بيه... يا بيه لم نقتل أحداً يا بيه.

فيصفق كل أصدقاء طارق وتصفرو ندى وتضحك دينا وهي تبكي من
شدة الفرح، ويحمد الله والد طارق على نجاة ولده وظهور براءته، ويخرج
طارق ويحتضن والده وعمر وحاتم ثم يقبل يد دينا، ويشكر شمس وياسمين
وصديقاتها على أنهم وقفوا بجانبه.

بعد مرور عدة أيام من براءة طارق، يذهب الأخير وعمر وحاتم وهما
في كامل أناقتهم إلى منزل يس المهدي، ويحمل حاتم في يده باقة من زهور
الياسمين، ويدخل الثيلا فيستقبله يس المهدي مرحباً به في سرور ويجلس
معه قائلاً:

- أنا اليوم يا عمي جئت لأطلب من حضرتك ابنتك الأميرة ياسمين.
- يس: يا بني أنا يشرفني أن أناسب شاباً مثلك، وكفي أنك ابن
المرحوم شكري محفوظ.

- فيسأل طارق مبتسماً: أين سندريلا الحب؟

فينظر حاتم إلى سلم الغيلا المؤدي إلى غرف النوم بالدور العلوي، فيجد ياسمين تهبط السلم كالملكة في ليلة عرسها، مرتدية فستاناً أحمر بلون الورد ليظهر جمال خدودها الممتلئين بحمرة الخجل، وشعرها منسدل على كتفيها كأميرات الأحلام، ومن حولها صديقاتها الأربعة ندى ولارا ودينا وشمس وكانهن وصيفاتها، وتقرب منه فيخفق قلبه من شدة حبه لها، ويمسك بأناملها وينحني انحناء الملوك ويطبع عليهم قبلة رقيقة يختلج لها وجدان ياسمين، فيكتسي وجهها بالخجل ثم يسألها والدها قائلاً:

- حاتم يطلب يدك يا ياسمين.

- ياسمين بابتسامة خجولة: لو حضرتك موافق أنا موافقة.

فيبتسم الجميع ويقضون ليلة جميلة من الحب والنغم مع بعض، كل اثنين يلقيان على مسامع بعضهما أعذب وأجمل الكلمات عمر وشمس، دينا وطارق، والثنائي المرح لارا وندى ثم تتحدث الأخيرة قائلة:

- ولكن أليس من الغريب أن يفعل كل تلك المصائب وفي النهاية بيكيان ويقولوا لم نقتلها، كيف إذاً نصدق ذلك؟

- لارا: يووووه أما زلتِ تفكرين بهذا الهراء؟... أنت غاوية نكد.

فتشرد ندى بخيالها بعيداً، ويتنحى كل اثنين من العشاق جانباً ببعضهما ويتغزل حاتم في ياسمين بشعره الرقيق.

دقت الساعات وارتجف قلبي

لماذا ولمن لست أدري

ولكني أحسست بشيء يخاطبني

شيء داخلي وكان نفسي تحاورني

هل هذه ارتجافة من رؤيتها
هل هذه المشاعر من رقتها
أم أصابني سهام ابتسامتها
حقاً إن نفسي تسألني
ولكن كيف أجيبها
لست أدري... لست أدري
هل ستطأ يوماً قدمي
نزل الحب وفردوسها
هل سأملأ يوماً صدري
بنسيمها وتكون ملكي
لستُ أدري... لستُ أدري
ولا أعرف كيف أدري
لقد حطمت كل سدودي المنيعه
وسقطت الأقفال
واقطعت قلاعي الحصينة
كل ذلك بحروف قليلة
بهمسات رقيقة
هل أصبح الحلم حقيقة
هل صدق قلبي في رؤياه
بأنك من ستير دنياه

هل حقاً أراقصك الآن
هل حقاً بعينيك الجنان
هل حقاً جاد الزمان
علي بنعمة الأمان
لست أدري... لست أدري
إن قلبي يتراقص على لمستك
يتمنى الامتثال بين راحتك
هل هذا هو الحب
هل هذا درب من دروب الخيال
حقاً إنني أحب
أحبك يا من انحنت لرقتك الجبال
وذابت لخطواتك الصخور
أحبك يا ملكة الحور

بعد أن أخذ طارق كل أغراضه من غرفة عمر واستعد للعودة لمنزل والده... يغادر غرفة صديقه عمر ليجد أمامه والدة الأخير والدموع في عينيها
قائلة:

- أما زلت مصمم أن تتركنا وترحل؟

- طارق: ربنا يبارك فيك يا أمي، أنا بالطبع سأتي لزيارتكم مثل ما كنت أفعل دومًا وسأتي لأتناول الغداء أيضًا معكم كل أسبوع... أنا أدمنت طعامك الشهوي.

ثم يحيي قامته ليقبل يدها فتحضنه وكأنه عمر قائلة:

- يا ولدي أنت مثل عمر لا تَقُلُّ عنه شيئًا، وهذا المنزل منزلك تأتي إلينا وقت ما تشاء.

- طارق: إن شاء الله يا أمي.

- ثم يحتضن والد عمر قائلاً: أنا لن أنسى فضل حضرتك وحنيتك عليّ، أنا بالفعل أحسست أنك أبي وكان لي الشرف لأنني قضيت مع حضرتك هذه الفترة الصغيرة.

- والد عمر: يا ولدي أنا من يتشرف بأن يكون لي ابن في أخلاقك. ثم يستأذن عمر والده بأنه سيصطحب طارق إلى منزله ليعاونه في حمل أغراضه.

* * *

يصل طارق منزل والده ثم يتركه عمر عائداً لمنزله، وحينما يفتح طارق باب المنزل يجد والده جالسًا في الصلاة ومنتظره فيأخذه بين أحضانه باكيًا قائلاً:

- لقد أشرق المنزل بعودتك يا ولدي... أتمنى أن لا تحزن مني.

- طارق محاولاً كبح دموع عينيه: مهما حدث أنا لن أحزن منك أبدًا يا رجل يا عجوز.

فيتسم والد عمر ثم يحمل معه أغراضه ويدخلان إلى المنزل، ثم يخبره والده بأنه أعد العشاء لهما وأنه سوف يحضره حتى ينتهي طارق من تغيير

ملايسه، فيستريح طارق على أحد المقاعد ويسكب لنفسه كوبًا من الماء،
وحينما يبدأ تناوله تصطدم يده بمسند المقعد الجالس عليه فتسقط المياه
عليه وعلى المقعد، فيتنفض مسرعًا ليزيح الماء من عليه ومن على المقعد،
ثم يرفع قاعدة المقعد الاسفنجية ليطرد منها الماء وعند محاولته لإعادتها في
مكانها يجذب انتباهه شيء غريب.

الفصل السابع عشر

تمت المقابلة بين الملازم زاهر والرائد حسين العزازي لوضع خطة الهجوم النهائية على مخازن يس المهدي، بعد تخزين الشحنة وخروج الفنيين في لحظة دخول العمال الرئيسيين المسؤولين عن المخدرات، وقد اعتذر المقدم صلاح رشوان عن هذا الاجتماع نظرًا لذهابه إلى شرم الشيخ للترفيه مع زوجته وأولاده، ولأنه مجرد طرف غير رسمي في القضية فقط يعطيهم آراءه المثقلة بخبرته العسكرية، ثم يعطي الرائد حسين سوار معصم لزاهر يبدو طبيعيًا من مظهره الخارجي، ولكن رأسه عبارة عن قداحة غاز تحتوي على مادة البوتان المضغوط بتسعة أضعاف الضغط الموجود بالقداحة العادية، مما يمكنها من إذابة أقوى المعادن في دقائق معدودة ولكن لمرة واحدة؛ لأن خزان الغاز مساحته صغيرة جدًا وكان هذا على سبيل الأمان لزاهر من أي شيء، ولكن الذي جذب انتباه زاهر هو قفل هذا السوار فقد كان حجمه كبير لدرجة لا تتناسب مع تصميم السوار نفسه، وعندما سأل زاهر حسين لماذا القفل بهذه الضخامة؟ فأجابته الأخير أنه كان متتظر رؤية رد فعل زاهر تجاه حجم هذا القفل، ثم أجاب عليه بأنه يحتوي على مسجل صوتي دقيق للغاية يلتقط أي صوت على بعد أقصاه خمسمائة متر، ويتم تفريغ محتوياته بوصلة صغيرة (USB) عن طريق الهاتف، ثم أعطى زاهر للرائد حسين خطة سير سيارات البضاعة والطرق التي ستمر منها، والمداخل والمخارج الرئيسية والفرعية لمخازن يس المهدي.

- مساء الخير يا زعيم يقولها نائبه الخاص في أثناء حضور باقي أعضاء المنظمة.

- الزعيم: مساء الخير عليكم جميعًا... لم يتبق غير عدة أيام وتدخل البضاعة إلى البلد... هل أنتم مستعدون؟

- أحد الأعضاء: نحن جاهزون يا زعيم ولكن إلى الآن لم نعرف كيف ستدخل البضاعة؟... الأمر الثاني نصيب بنات الحاج محروس صدقي من سيأخذه بعدما كُشِفَ أمرهم ومخازنهم احترقت؟

- الزعيم بصرامة: أولاً البضاعة لا يسألني عليها أحد بعد ذلك كيف ستدخل، ليس لكم عندي غير أن أسلمكم بضاعتكم في أمان وكل واحد يأخذ نصيبه؛ الشيء الثاني نصيب بنات الحاج محروس صدقي هم سيأخذونه بأنفسهم.

- عضو آخر: يا ريس لقد حُكِمَ عليهم بالإعدام.

جلس حاتم في مكتبه بمقر شركته يتفحص بعض الأوراق الخاصة بشحنة الماكينات القادمة وإمضاء بعض الملفات الخاصة بها، ثم يرن هاتفه الجوال فيرد قائلاً: مرحبًا.

- فيجيبه الطرف الآخر: كيف حالك يا حاتم بك؟

- حاتم محاولاً تذكر هذا الصوت: من حضرتك يا افندم؟

- الطرف الآخر: هل نسيت صوتي بهذه السرعة... أنا عفاف...

عفاف زينهم يا حاتم بك.

يصمت حاتم وكأن صاعقة من السماء ضربت رأسه فيظل صامتًا

حتى تتحدث عفاف مرة أخرى:

- أما زلت لا تذكرني يا حاتم بك؟
- حاتم وتأثير الصدمة يصعب عليه التحدث: أما زلت... أما زلت...
حياة؟
- فتضحك عفاف: هل كنت تعتقد أن أمري قد انتهى بهذه السهولة؟
- حاتم: أنا أعتقد أن جثتك في المشرحة الآن.
- عفاف: لا تقلق عليّ، أنا مثل القطط لي في كل مكان روح.
- فيحاول حاتم أن يستجمع شجاعته قائلاً: ولماذا تتحدثين إليّ
الآن؟

- عفاف: لأنه لم يعد لي أحد في هذه الدنيا وأحتاج مساعدتك.
- حاتم: ليس لي شأن بك... وهل تعتقدين أنني سأساعدك؟
- عفاف بانفعال بلدي: لا تستهين بي يا حاتم بك إذا ظهرت سأجلب
لك كل ما تخشاه وسأحول حياتك إلى جحيم.
- حاتم بضيق صدر: ماذا تريدن إذا؟ ليس لدي وقت لأمثالك.
- عفاف: أريد مليون جنيه.
- حاتم مندهشاً: هل أصابك الخبل؟... ولماذا أعطي لواحدة مثلك
هذا المبلغ؟

- عفاف: ستعطيني يا حاتم بك... الورقة التي كانت ضائعة وجدتها،
والتي ستدمرك أنت والمرحوم الحاج.
- حاتم بانفعال شديد: أقسم بالله ما تطلع عليك شمس لو نفوّهت
بأي كلمة.
- عفاف: أنا أعلم ذلك لا أنكره... أتمنى أن تقوم بعمل مقايضة كما
يقولون في الأفلام، تأخذ ما لك عندي وأنا آخذ ما أريده منك.

- حاتم متأفّف: متى تريدن المال؟

- عفاف: هدى من روعك.

- حاتم: أخبريني ليس لدي وقت.

- عفاف: غداً ليلاً، هل يناسبك؟

فيوافق حاتم ثم يغلق معها الهاتف محدثاً نفسه باندهاش، كيف نجت من موتها؟ وكيف لم تتحقق الشرطة من جثة المتوفية الأخرى؟... وكيف وجدت هذه الورقة اللعينة؟... أتكون هذه لعبة من الشرطة؟... وإذا كان منها فكيف علمت الشرطة بعلاقتي بها؟... إنني أشعر بالخوف... وكيف أسلمها مبلغ كهذا؟

* * *

قد كان نهار اليوم التالي طويلاً وثقيلاً على قلب حاتم، منتظراً قدوم الليل لمقابلة عفاف لإنهاء هذا الاضطراب الذي يشعر به... ثم تحسس جانبه الأيمن ومكان السلاح الخاص به فوجده مكانه، ثم أخذ إلى النوم على مقعده بمكتبه بعد أن طلب من سكرتيرته تأجيل كل الأوراق الخاصة بأي عملية وعدم السماح لأي موظف بدخول مكتبه، وبعد مرور ساعتين من غفوته واقتراب موعده مع عفاف يقوم مثقل بهمّ هذه المقابلة فيتجه إلى كورنيش المقطم حيث اتفقا فيجدها واقفة بانتظاره قائلاً:

- أنا ما زلت لا أصدق أنك حية.

- عفاف: الله ألن تقل لي حمداً لله على سلامتكَ؟... كيف حالكَ...

أي شيء.

- حاتم: لن أقول شيئاً، أين الورقة؟

- عفاف: أين المال؟

- حاتم: أريني الورقة أسلمك المال.

- فتخرج عفاف ورقة مطبقة من جيبتها: تفضل.

فياخذها حاتم ويلقي نظرة سريعة عليها، ثم تحاول عفاف أن تمد يدها لتأخذ منه الحقيقية التي بها المال، فيبعد حاتم يده التي بها الحقيقية ثم يخرج مسدسه من جيبه ويوجهه في وجه عفاف:

- أنتِ كنتِ السبب في مشاكل كثيرة بحياتي، وارتحت عندما ابتعدتِ عني لكن هذه المرة أتمنى أن تكون الأخيرة...

وقبل أن يكمل حاتم حديثه يجد الشرطة محيطة به، وتطلب منه أن يرفع يديه ويلقي بسلاحه أرضاً، فبهت حاتم لحظات ثم تكرر الإنذار مرة أخرى فألقى حاتم سلاحه أرضاً ورفع يده فوق رأسه، فتقدمت الشرطة وأمسكت به ووضعت داخل سيارة الشرطة.

* * *

كان خبر القبض على ابن رجل أعمال مشهور في قضية عفاف زينهم، هو حديث الصحافة والفييس بوك وتويتر صباح اليوم التالي للقبض على حاتم، وعندما استيقظ أصدقاؤه وكعادتهم اليومية تصفح الفييس بوك فكان الخبر الصادم.

دخلت شمس ومعها المحامي الخاص بشركة أخيها حاتم سراي النيابة لمقابلة أخيها، وعندما وصلت وجدت ياسمين والدها والمحامي الخاص به وصديقاتها وعمر جالسين مع حاتم، ووجهه متجههم يحاكي وجوه الموتى، وياسمين تتساقط دموعها كماء المطر والكل يخيم عليهم الصمت، فاقتربت من أخيها واحتضنته حضناً أموياً وبكت عيناها في صمت على حاله، ثم جلست وسط الجميع وبدأ محامي يس المهدي في أسئلة حاتم لمعرفة علاقته بالقتيلة:

- دكتور حاتم ممكن حضرتك تحكي لي بالتفصيل ما هي علاقتك بعفاف؟

حاتم بعد وهلة من التفكير يجيب في حالة من الجمود:

- والدي رحمه الله عندما بدأت تجارته تزدهر وازداد أيضًا معه المال، بدأت حياته تتغير كثيرًا من الرجل التقى الذي يخاف الله إلى رجل آخر لم أره من قبل، أصبح يذهب إلى الملاهي الليلية ويشرب الخمر ويتنزّه مع الراقصات ويسافر معهم أيضًا، ويقضي أيامًا مع بنات من عمر أولاده وكانت حالته غير طبيعية، وكان يخفي كل ذلك حتى لا تسوء سمعته في السوق، في الصباح كان الحاج التقى الذي يخاف الله وكل الناس تحترمه وتأخذ رأيه في كل شيء، وفي الليل إنسان آخر تمامًا رحمه الله... في هذا الوقت حدثت خلافات كثيرة بيننا على أفعاله واحتدينا على بعض بقوة وكنت رافضًا لكل ما يفعله، وفي يوم فاجأني ووجدته يدخل الفيلا ومعهُ الفتاة التي تدعى عفاف وكانا في حالة سكر شديدة، وحدثت مشكلة بيننا وفي اليوم التالي عندما استيقظ وجدته يخبرني بأنه تزوجها عرفيًا، لم أستطع التحكم في عقلي انفعلت عليه وتشاجرت معه وهددني أن يحرمني من الميراث لأنني لا أتركه يفعل ما يحلو له، حتى عم منصور عندما حاول تهدئته لأنه كان حاضر كل شيء، سبهُ بألفاظ قبيحة وكان سيطرده من الفيلا بحجة أنه يتدخل فيما لا شأن له به رغم أن هذا الرجل عمود أساسي في حياتنا، ومضى شهر وآخر وكل يوم أموال تختفي من البنوك بطريقة غير معقولة ولا نعلم لحساب من تصرف هذه الأموال، إلى أن واجهته وعندما لم يستطع الدفاع عن نفسه أو يجد مبررًا لأفعاله، بدأ يغضب بشدة ويقول كلمات قبيحة فأنا ثُرت لذلك وفي وسط الكلام قلت له إذا استمررت على ما أنت به الآن سأقوم برفع قضية حجر عليك، فوجدت وجهه تغير لونه وأمسك بي من قميصي بانفعال وعندما حاول أن يرفع يده علي أمسك قلبه ووقع مغشيًا عليه في الأرض،

بالطبع أحضرنا له دكتور وقال إنها ذبحة صدرية مع جلطة في المخ وكان لا بد أن ينتقل إلى المستشفى، وبعد عدة أيام بدأت تتحسن حالته فساورني القلق عندما يتعافى تمامًا يعود مرة أخرى لما كان عليه، فقامت بعمل توكيل عام وجعلته يوقع عليه وطلقت عفاف منه وقسمت المال وأملاكه بيني وبين شمس حسب شرع الله، وعندما تعافى تمامًا مرة أخرى وعلم بما حدث تماسك تقريبًا شهر ولم يعد يتعامل معي وفي يوم ذهب عم منصور ليوقطه فوجده توفي.

فحاول ياسمين أن تلمس يده لتخفف عليه من حدة الموقف، ودموعها تتساقط على خديها كالحمم البركانية تحرق قلبها فيبتسم ابتسامة شاحبة قائلاً:

- كان لا بد أن أفعل ذلك لأحافظ على الكيان الذي بناه، وعلى مركزي أنا وأختي، وعلى ممتلكاتنا من العاهرات والراقصات اللاتي وجدنه لقمة سائغة.

- فتربط على كتفه شمس باكية: لماذا احتفظت بذلك العباء وحدك ولم تخبرني به؟

- حاتم بحزن عميق: حاولت قدر المستطاع أن أحافظ على صورته في عينك وأن لا تعرفي شيئًا عن كل هذا ويظل الأب المثالي الذي أحبيته، لكن أعتقد أن القدر له رأي آخر.

- فيسأله فهذه المحامي قائلاً: بعد إذنك يا د/ حاتم عندما طلقت عفاف منه في هذا الوقت، ماذا كان رد فعلها هي عندما علمت بذلك؟

- حاتم: انفعلت كثيرًا وارتفع صوتها في الفيلا وتحدثت إليّ بطريقة بلدي، وأنها لن تترك حقها وأن لها عائلة كبيرة جدًا هم من سيأخذون حقها بالسلح إذا لم يكن بالقانون.

- المحامي: وماذا فعلت معها؟

- حاتم: قمت بحبسها في غرفة ثلاثة أيام وعلقتها في السقف ووضعت معها كلابًا شرسة... وبعد ذلك تركتها تذهب ولكن هددتها إذا علم أحد شيئًا بالموضوع سألقي بها كطعام للكلاب وبالفعل لم يعلم أحد شيئًا إلى أن علمت أنها قُتِلَتْ وفوجئت أمس بها تحدثني.

- فتندesh ندى قائلة: أنا لم أعد أفهم شيئًا... هذا يعني أنها ما زالت حية، ولكن جثة من التي وجدوها في منزل طارق؟

- ثم تندesh شمس متسائلة: حقًا، أين طارق؟

- فيبتسم حاتم في مرارة: طارق هو من أبلغ عني.

فتطيح المفاجأة بعقول الجميع وتجحظ العيون من مقالاتها وكأن على رؤوسهم الطير.

- فيسأله فهد المحامي: هذا ما أريد أن أعرفه، كيف أبلغ عنك؟

وبمنتهى الوضوح والشفافية، هل قتلها أم لا؟

- فينظر له حاتم في أسى: أنا لم أقتلها، ولم أرها أيضًا منذ آخر مرة تركتها تذهب من الفيلا، ولو كنت أريد قتلها كنت فعلت ذلك من قبل.

- المحامي: ولماذا أبلغ طارق عنك؟ وكيف علم أنك كنت على علاقة بها من قبل؟

- حاتم: لقد أخبرني وكيل النيابة أن طارق وجد قلبي عنده في المنزل وتعرف عليه، لأن أول حرفين من اسمي كُتِبَ عليه، فأبلغ وكيل النيابة بهذا وسلمه القلم.

- شمس مندeshة: أنا لا أصدق ما تقول، كيف فعل ذلك؟ بعد كل ما فعلته لأجله.

- حاتم بحزن: لا تلوميه يا شمس... أي أحد بمكانه سيكون هذا تصرفه.

- شمس منفعلة: كيف ذلك؟... كان لا بد أن يواجها ويسألنا ويحاول أن يفهم لا أن يتصرف بهذا الغباء.

- ندى: إلى الآن هناك نقطة لم أفهمها بعد... جثة من التي كانت بمنزل طارق؟

- حاتم: جثة عفاف.

- ندى: لا إله إلا الله... ومن التي تحدثت إليك في الهاتف؟

- حاتم: هذه ضابطة من الشرطة؛ هي التي مثلت هذا الفيلم لكى يصطادوني، ولأني لم أسمع صوت عفاف منذ عدة سنين فلم أتعرف على صوتها، وفي نفس الوقت ساورني القلق لربما تكون بالفعل حية وكل ما أخفيته يظهر مرة أخرى.

- يدخل ناصر السائق سرايا النيابة فيجدهم جميعًا ملتفين حول حاتم فيبادره قائلاً: فك الله أسرك يا دكتور حاتم.

- فييتسم حاتم: تسلم يا عم ناصر... اهتم أنت بنفسك وحاول أن لا تظهر في أي مكان يتواجدون به.

- ناصر تدمع عيناه: كنت أود مساعدتك مثل ما ساعدنا طارق، لكن الآن للأسف لم يعد بيدي شيئًا.

- حاتم: لا يا عم ناصر يكفي وجودك هنا... وحتى إذا كان بيدك شيء تفعله أنا لن أقبل ذلك، لأن لا أحد يعلم أنك ما زلت حيًا... اهتم بنفسك فقط.

بعد مرور عدة أيام جاء يوم استلام الشحنة القادمة إلى ميناء الإسكندرية، فاستعد زاهر للذهاب واستعدت قوات الشرطة للانقضاض على مخازن يس المهدي، وبالفعل وصلت اللجنة الفنية إلى ميناء الإسكندرية وتم استلام الشحنة بالفعل وفحصها بدقة، وكان الحرص واضح على زاهر باهتمامه بالماكينات جيدًا، وتم وضع الشحنة بالكامل في عدد خمس حاويات، وبالطريق وجد زاهر أن المسار الذي تسير به السيارات ليس هو المؤدي إلى مخازن يس المهدي فسأل مديره:

- هذا الطريق لا يؤدي إلى مخازن يس بك... صحيح.

- المدير: بالطبع لا.

- زاهر: وأين نحن ذاهبون الآن؟

- المدير: سنذهب إلى مخازن شركة العالمية التي تستورد هذه

الماكينات لحسابنا.

- زاهر: شيء غريب حقًا، ولماذا نذهب هناك إذا؟ أليست ملكننا الآن؟

- المدير: لأننا نستلمها فقط بالعدد والمواصفات الفنية، لكن

العالمية تستلمها بأكواد وأعداد تسلسلية حسب أرقام خاصة بها مع الشركة

الرئيسية... فهذا ما وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا.

فيصمت زاهر من هذه المفاجأة التي ليست في الخطة والقوات

متشرة الآن حول مخازن يس المهدي، فاضطر زاهر رغم تحذير حسين له

أن يستخدم الواثس أب ليخبره بالتغيير الذي حدث.

رغم محاولة المقدم صلاح في الابتعاد عن جو العمل المشحون

بالتوتر العصبي الدائم، وترك حسين لوحده يتخذ قرارات مصيرية بمفرده،

ورغم التطورات المتلاحقة وذهابه إلى شرم الشيخ، إلا أنه لم يهنأ باله ولم يهدأ فكره من اضطراباته المتزايدة، ولم يستطع الاستمتاع بمناظر الطبيعة الخلابة التي تحيط به، وفجأة وجد ابنته تناديه قائلة:

- أبي... أبي، لماذا عقلك شارد هكذا؟

- صلاح: معذرةً حبيبي كنت أفكر في العمل... أو مريني يا حلوة.

- نورا ابنة صلاح تداعبه: اممممم... ممكن يا صلوحتي أطلب منك

طلبًا صغيرًا.

- فينتسم صلاح: طلب صغير فقط.

- نورا عابسة: أتعني أنه لو كبيرًا لن توافق.

- صلاح: أخبريني يا صغيرتي، ماذا تريدين؟

- نورا: أنا لي صديقة وأخوها الكبير سيأتيان اليوم بعد أربع ساعات

لكي يقضيا معي عدة أيام، هل تسمح أن نذهب إلى المطار لنأخذهما

بسيارتنا؟

- صلاح: هذا فقط ما تريدونه؟

- نورا مبتسمة: هذا فقط ما أريده.

- صلاح مبتسمًا: تحت أمرك يا أميرة حبي أنا.

* * *

يصل عمر إلى منزل صديقه طارق ثم يحدثه في الهاتف طالبًا منه أن

يقابله في القهوة المجاورة لمنزله، وعندما يلتقيان لا يستطيع طارق أن ينظر

إلى صديقه عمر، فيعاتبه الأخير قائلاً:

- ممكن سعادتك توضح لي، ما هذا التصرف الغبي الذي تصرفته؟

- فيظل طارق صامتًا بضع لحظات: أنا تفاجأت عندما رأيت القلم ولقد عصفت بعقلي الدهشة... وبعد ذلك أخذته وذهبت إلى وكيل النيابة... وعندما سألتني عن الحروف التي عليه... قلت له هذه حروف حاتم شكري... فبدأ في البحث عن الأمر إلى أن علمنا أنها كانت زوجة والده ولكن عرفي، وبالطبع بما أنه دكتور فكان يعلم ما هو المقدار الذي يمكنه من قتلها.

- وينظر إلى عمر بخجل فينفعل الأخير قائلًا: هل أنت مقتنع بما تقوله؟

- طارق: وما الذي أتى بقلمه في منزلي، وأيضًا تذكرت اليوم الذي قضيناه على اليخت نظر إلى الصورة بطريقة غريبة، ثم سألتني عن اسمها مرتين، وسألني إذا كان معي لها صورة حتى قال لي: يمكن أبوك يطلقها أو ربنا ياخذها.

- عمر: ولماذا لم تخبرني بذلك؟ كان بإمكاننا التحدث معه ومواجهته.

- طارق: لأن هناك احتمال إذا واجهناه أن ينكر أو يهرب خارج البلد.

- عمر: هل تصدق ما تقوله؟... ألم تفكر في وضعك أمام شمس؟... أمام ديننا؟... أمام أصدقائنا كلهم بعدما ذهب معي إلى منطقة الباطنية، وأنت تعلم ما هي الباطنية وكان هناك احتمال أن ندفن هناك أنت...

- فيقاطعه طارق: إذا كان هو شريك معهم فبالتأكيد حينما يروونه لن يتفوهوا بكلمة، وسيتركونه يكمل تمثيل الدور عليهم.

- عمر ساخرًا: الله... إنك حقًا عبقرى في خيالك واستنتاجاتك... سيتركونه يكمل تمثيل الدور، ويصورهن ويكشفهن ويسلم رقبتهن بدل رقبة سعادتك صحيح، وعندما يتم القبض عليهن يتركنه هو ينعم بحياته وهن يمتن لأجل عيونك أنت وهو صحيح... هل هذا ما صوره لك خيالك المريض.

- طارق بانفعال: وما الذي أتى بقلمه إذا إلى منزلي؟

* * *

تصل الشحنة من ميناء الإسكندرية إلى مخازن شركة العالمية قبل وصول قوات الأمن، ويجد زاهر نفسه في موقف حرج وعندما ينهون تخزينها يستقل السيارة مع مديره، ثم يطلب منه أن يغادر السيارة في مكان قريب من المخازن دون أن يثير انتباهه لذلك، لأنه سوف يقابل أحد أصدقائه قريباً من هنا سيمر عليه بسيارته، فيلبي له مديره طلبه وتمر ساعتان يظل فيها زاهر يراقب المخازن دون أن تغفل عنها عيناه، وطيلة هذا الوقت لم يصل أحد من أفراد العصابة ولم تصل أيضاً قوات الأمن، وبعد مرور نصف ساعة أخرى تصل القوات وتستتر حول المكان منتظرين إشارة الهجوم، فيتجه زاهر إلى الرائد حسين فيسأله الأخير قائلاً:

- لماذا لم تقتحم المكان إلى الآن؟

- زاهر: لم يأت أحد منهم إلى الآن.

- حسين: كيف هذا؟... منذ متى وأنت هنا؟

- زاهر: تقريباً منذ ساعتين ونصف.

- حسين: مستحيل أن لا يكون جاء أحد منهم إلى الآن، لا بد أنه يوجد مدخل آخر... أنت يجب أن تدخل الآن بمنتهى الهدوء وإذا وجدت أحداً أعطينا إشارة الهجوم.

- زاهر: وكيف لي الدخول سعادتك؟! أنا لا أعلم مداخل ومخارج هذا المكان... لكن مخازن يس كنت أعلم عنها كل شيء ومعني مخطط لها، لكن هذه ليس لدي مخطط لها.

- حسين: افعل أي شيء يا حضرة الضابط هذا أمر.

فيتجه زاهر متوترًا بحذر صوب المخازن لا يعلم كيف سينتهي به المطاف، وهل هذه نهايته أم خدعة أخرى من هذه المنظمة؟

يدخل صلاح وابنته نورا إلى المطار ليستقبلا صديقيها وبعد إنهاء إجراءاتهما، تستقبل نورا صديقتها بالأحضان والضحك والمرح وتسلم على أخيها، ثم يتجهون معًا إلى سيارة والدها وقبل أن يصلوا إلى السيارة يرى صلاح أعدادًا هائلة من الشحنات المحملة في الجزء الخاص من البضائع، ويجذب انتباهه علامة شركة العالمية للاستيراد والتصدير فيتصل فور رؤيته لذلك بالرائد حسين ولكنه لا يستجيب له، ويكرر اتصاله أكثر من مرة دون جدوى، ثم حاول الاتصال بزاهر ولكن أيضًا دون جدوى فقرر أن يراقب الأمر بنفسه ثم أعطى مفاتيح سيارته لابنته معتذرًا عن اصطحابه لها، ويتركها مسرعًا تجاه مكان البضائع وأكثر ما جذب انتباهه أن البضائع التي كانت في الحاوية عبارة عن مجموعة من الصناديق الصغيرة بالنسبة لأن يوضع فيها ماكينات رفع المصاعد، ولكنه لم يستطع معرفة ما بداخلها، ولكثرة الرجال الملتفة حول البضائع أثناء تفريغها وشحنها اضطر أن يستتر خلف إحدى الحاويات؛ ليرى بدقة ما يحدث وليحاول التعرف على هوية هؤلاء الرجال، ثم أخرج هاتفه والتقط بعض الصور لمعظم هؤلاء الرجال، وفجأة رن هاتفه فأجاب على الفور وكان من حسن حظه لم ينتبه أحد لنغمة هاتفه نظرًا لصوت الرافعة الأتوماتيكية التي تحمل البضائع، وجاءه على الجانب الآخر صوت الرائد حسين قائلاً:

- مرحبًا صلاح، لماذا اتصلت بي كثيرًا هكذا؟

- صلاح بصوت خافت: هل قبضت على رجال يس المهدي؟

- حسين: للأسف لا، نحن نحيط بالمكان لأكثر من ساعتين

والصناديق التي بها الماكينات مغلقة كما هي، ولم يدخل أحد المخازن بعد أن خرج الفنيون... ولكن لماذا تخفض صوتك هكذا؟

- صلاح بنفس الصوت: أنصت إليّ جيدًا فيما سأقوله لك... أنا الآن في مطار شرم الشيخ كنت أصطحب أصدقاء ابنتي، ثم وجدت فجأة في ركن البضائع شحنات عليها علامة شركة العالمية التي تستورد لحساب يس المهدي، ولكن الصناديق التي هنا الآن كلها صغيرة بالنسبة لأن يوجد بها ماكينات... فأنا أستنتج من ذلك أن من بيده زمام الأمور هو حاتم شكري وليس يس المهدي، أبلغ بسرعة مديرية أمن شرم الشيخ واعمل الإجراءات اللازمة، ودع زاهر يأتي بأسرع طريقة لأنهم أوشكوا على الانتهاء من كل شيء.

ينهي صلاح المحادثة مع حسين ويكون هذا الأخير في حالة من الذهول غير الطبيعية، كيف سيبلغ مديرية أمن شرم الشيخ وهم بالتأكيد ليس لديهم الاستعدادات الكافية؟... وكيف سيبلغ العميد رأفت فهمي بفشل الخطة وتحويل مسارها ومعلوماتهم الخاطئة من البداية؟ وكيف سيرسل زاهر في أسرع وقت كي يتبعهم؟ كل هذه الأفكار كانت تتخبط برأس حسين فيراه زاهر في هذا الشرود فيسأله:

- خير يا أفندم، بماذا أخبرك المقدم صلاح؟

فيقص له حسين ما سمعه من صلاح وأنه لا يعرف كيف يتصرف فيصمت زاهر بعض اللحظات، ثم يقترح أن يأخذ طائرة خاصة وستكون هذه أسرع طريقة بحيث إنه سيكون هناك في خلال نصف ساعة تقريباً، ولكن هذا الموضوع يحتاج إلى أمر مباشر من القيادة العليا إلى المطار لتوفير الكثير من الوقت والمجهود، وبالفعل قام حسين بالانصال بالعميد رأفت دون أن يهتم بأي لوم أو توبيخ سيقابله به ولكن للأسف، لم يجب

هذا الأخير على كل هواتفه لا الشخصية ولا الخاصة بالعمل، مما اضطر حسين نظرًا لضيق الوقت أن يتصل بسكرتير وزير الداخلية، وأن يشرح له باختصار خطورة الموقف وتعرض الموقف للانهياب التام، فيغلق معه الخط هذا الأخير وبالفعل يبلغ الوزير ويصدر الأخير قرارًا بوضع طائرة خاصة تحت تصرف حسين العزازي، ثم يتصل شخصيًا بمحافظ مدينة البحر الأحمر ويبلغه بخطورة الموقف، ولكن هذا الأخير يبلغ وزير الداخلية بأنه ليس لديهم التجهيزات اللازمة لتغطية الموقف بالكامل، وأنه حتمًا سيحتاج لدعم كبير لتنفيذ هذا الأمر فيطلب منه وزير الداخلية مساعدة رجاله قدر الإمكان بكل ما لديه.

* * *

الفصل الثامن عشر

عادت ياسمين مع صديقاتها وهي في حالة يرثى لها، فقد كانت مقلتها شديدا الإحمرار من كثرة الدموع التي ذرفت في البكاء من أجل حاتم، وظلت صامتا في طريق عودتها إلى منزلها ولم يستطع أحد التحدث معها، حتى عندما حاول والدها التخفيف عنها لم تنفوه بكلمة، ولكن الوحيدة التي استطاعت أن تجذب انتباهها لحديثها هي لارا عندما قالت:

- هل جاء بخاطر إحداكن كيف وصل قلم حاتم إلى منزل طارق؟

- ندى وهي شاردة: هذا ما سيطيح بعقلي.

- لارا: وإذا افترضنا أن حاتم ذهب بنفسه إلى هناك، فلماذا إذا؟ هل

ليقتلها؟... هذا غير منطقي تماما.

- ياسمين بصوت متهدج: هل تتذكرون عندما قضينا اليوم على

اليخت مع بعضنا والنادل أحضر لحاتم شيكًا لكي يوقعه؟

- ندى مندفعة: نعم نعم... وقتها تقريبًا حاتم قال له: أعطني قلمك

لأنني لا أعرف أين قلمي... أليس كذلك؟

- ياسمين: بلى... وبناء على ذلك أين ومتى فقد حاتم قلمه؟

فتصمت ندى بلحظة تركيز مصوبة بصرها بحدثة تجاه ياسمين:

- هل تفكرين فيما أفكر فيه؟

- ياسمين: هل تعتقدين أن هناك استنتاجًا آخر؟

- لارا: أنا لم أعد أفهم شيئًا، أرجو أن توضحوا لي.

خلال ربع ساعة فقط كان زاهر في المطار بعد انطلاقة جنونية كان يقود بها حسين لكي يصل في أقل وقت، حتى أنه اخترق أربع إشارات وطاردتهم الشرطة حتى وصلوا إلى المطار وبعد أن عرفوا هويته اعتذروا له وتركوه، وانطلق زاهر صوب الطائرة واستقلها متجهًا لشم الشيخ وفي غضون نصف ساعة كان هناك، وعندما التقى به المقدم صلاح جذبته من يديه وركضًا مسرعين في اتجاه الحاويات لأنها كانت في بداية طريقها للرحيل، ولكن تقطعت أنفاس صلاح وسقط على ركبتيه في حين استمر زاهر يركض خلف الشاحنات، حتى وجد شابًا يهيم بالنزول من فوق الدراجة البخارية الخاصة به فقفز بإحدى قدميه موجهاً ركلة لصاحب الدراجة أسقطته أرضًا، وأخذ هو الدراجة وانطلق في أثر الشاحنات وظل يطاردها طوال طريقها إلى أن هدأت من سرعتها، فأخذ منحدرًا وأخفى نفسه به وتبعها ببصره فوجدها تتجه في أعماق الصحراء صوب الجبال، ثم بدأت تختفي خلفها فانطلق ثانية بدراجته المسروقة خلف الشاحنات حتى اقترب منها ووجدها بدأت تتوقف سيارة تلو الأخرى، فتوارى خلف أحد الصخور وأخفى دراجته في جوف فتحة ضيقة تبدو شبيهة بكهف صغير، وعاد يراقب المشهد وما يحدث في نقل البضاعة من الحاويات ثم إلى فتحات ضيقة داخل الجبال، بعد أن أزاحوا من عليها بعض الصخور المتراكمة التي مستحيل أن يتخيل أحد على وجه الأرض أبدًا أن يكون بداخل جوف هذا المكان يتم تخزين أشياء أو يدخله بشر، وقد كانت الفتحات تكفي مرور شخص واحد على الأكثر وتؤدي إلى سراديب طويلة تكاد تكون مظلمة من ضعف الإنارة المتعمد داخلها حتى لا يلفتون

الأنظار لهم، واتضح له أنها تبدو عميقة من الداخل والمكان فسيح لأنه عندما دقق في وجوه أفراد محددة وجدهم يتأخرون كثيرًا حتى يعودوا ليحملوا جزءًا آخر من البضاعة، ويستغرقون تقريبًا اثنتي عشرة دقيقة في كل مرة يدخلون ويعودون فيها، وتضاربت الأفكار برأسه كيف سيدخل هذا الجبل العجيب؟ وإذا استطاع ماذا سيفعل بداخله؟ إنه وحده وليس معه سوى سلاحه الشخصي فلن يستطيع فعل شيء وسط كل هؤلاء، ففكر أنه من الممكن أن يحاول دراسة المكان إذا استطاع ولكن إذا افتضح أمره ماذا سيحدث له؟ وإذا نجا كيف سيخرج من هذا الصرح؟ فزحف على ركبتيه واقترب أكثر من هذا المكان ووجد سيارة مرسيدس جيب فارهة تقترب موجهة مقدمتها تمامًا إلى الجبل وكأنها ستصطدم به، فتسلل مسرعًا مقتربًا من هذه السيارة واختفى وراء صخرة مجاورة لها، فرأى بعض الأفراد يزيلون بعض الصخور من فوق بعضها ثم يزيلون حاجزًا ترابيًّا وهميًّا فتظهر بوابة معدنية مصممة بدأت تفتح إلكترونيًّا، فركض مسرعًا وانبطح أسفل السيارة وتعلق بأرضيتها من أسفل (الشاسيه) وتحامل على نفسه حتى دخلت السيارة جوف الجبل.

بعد أن سطعت في رأس ياسمين الفكرة التي جاءت في نفس الوقت بفكر ندى، ظلت لارا ودينا حائرتين لا تعرفان فيما يفكران فأجابتهما ياسمين قائلة:

- يا صديقاتي ألم يذهب عمر وحاتم إلى هذا المكان الذي يدعى الباطنية لكي يصلوا إلى الدليل الذي يثبت براءة طارق؟
- دينا: بالضبط... هل تقصدين أنه كان متفق معهن على أنهن يدعيان عدم معرفته؟

- ندى بانفعال: بالطبع لا... نحن نفكر أن هناك احتمال أن يكون قلمه سقط منه هناك، ثم وجدوه وكان معهن أثناء ذهابهن لكى يقتلن...
- لارا بسخرية: ما هذا الغباء الذي أراه؟... إذا كانت رحلة اليخت هذه جمعتنا كلنا مع بعض وكان طارق معنا أيضًا، وقد كان ذلك قبل الجريمة وهذا يعني أن القلم ضائع قبل حدوثها.
- فترفع ندى حاجبها قائلة: حقًا... هذا بالفعل ما حدث... أخيرًا ونبت لها عقل.
- فتنهار آمال ياسمين: أنتِ على حق... لقد فقدتُ أعصابي.
وتسقط دموع من عينيها فتربت دينا على كتفيها ويلتفتن جميعًا حولها.



وجد زاهر السيارة متجهة به نحو طريق صاعد لأعلى عكس الطريق الذي كان يتم من خلاله نقل البضاعة كان ينحدر للأسفل، وسارت السيارة مسافة في وقت لا يزيد عن دقيقتين ولكنه بدا دهرًا كاملًا بالنسبة لزاهر لصعوبة تعلقه بالسيارة من أسفلها، وعندما وصلت السيارة إلى رقعة منتظمة دارت حول نفسها ثم وقفت ونزل منها شخص لم يتبينه زاهر لارتدائه زياً أسوداً كاملاً حتى وجهه كان يخفيه بقناع أسود، وتوجه هذا الشخص صوب بوابة إلكترونية أخرى معدنية تفتح ببصمة الصوت، ثم نطق برمز سري مكون من أربعة أحرف باللغة الإنجليزية يليها أربعة أرقام أخرى، وعندما عبر هذا الشخص البوابة وأغلقها في حركة سريعة مرة أخرى، خرج زاهر من أسفل السيارة ثم توجه إلى البوابة ولم يعرف كيف سيعبر من خلالها، ولكنه تذكر السوار الذي بيده فقرر حرق الدائرة الإلكترونية الخاصة ببصمة الصوت عن

طريق القداحة التي في رأس السوار، وعندما قام بإحلال اللوحة وجدها متصلة بجهاز إنذار إذا تم العبث بها، فهوى قلبه بين قدميه كيف يعبر هذه المحنة ثم دق هاتفه الجوال في هذه اللحظة، فأجاب مسرعاً خوفاً أن يسمعه أحد وكان في الطرف المقابل الرائد حسين:

- أين أنت يا زاهر؟... وهل توصلت لشيء؟

- زاهر بصوت خافت: أنا بمكان غريب مثل القلعة.

- حسين: صوتك غير واضح... أين أنت بالضبط حدد موقعك على الجي بي إس وأرسله لي، وأنا سأرسله لمديرية أمن شرم الشيخ وهم معهم بعض الاستعدادات وسيذهبون لك.

- زاهر مسرعاً: صوت سيادتكم غير واضح... إذا كنت تسمعي فأنا سأحاول أن أتفقد المكان وأدرسه ثم أرسله لك بالواتس آب.
- حسين بتوتر: زاهر... ألوو... أنا لم أعد أسمعك.

- زاهر والعرق يتدفق من جبهته: ألوو صوت سيادتكم غير واضح، يا افندم إذا كنت تسمعي لقد تمكنت من الدخول من أول بوابة في الجبل لكي أستطيع دراسة المكان من الداخل ورسم مخطط له لكي نستطيع اقتحامه، ولكن لدي الآن مشكلة، البوابة الثانية لها بصمة صوت شخص كان يرتدي زياً كله أسود في أسود، وعندما قمت بإحلال اللوحة الإلكترونية الخاصة بالبصمة لأحرقها وجدتها متصلة بجهاز إنذار ولا أعرف ما الحل الآن؟

- حسين يلتقط بعض الكلمات في حالة انفعال: الشبكة زفت... المسجل يا زاهر بالسوار الذي ترتديه حول معصمك.

- تنقطع المحادثة ولا يسمع زاهر أي شيء سوى كلمة: سجل.

فيحاول زاهر أن يفهم معنى كلمة سجل التي قالها الرائد حسين فيتذكر المسجل الموجود في السوار، وبالفعل بدأ زاهر في تفرغ محتويات

جهاز التسجيل بالسوار من خلال الوصلة إلى الهاتف الجوال التي أعطاه إياها أيضًا الرائد حسين، وبعد انتهائه منها أعاد سماع التسجيل الصوتي وأسرع من تشغيله حتى وصل إلى كلمة السر، فوضع هاتفه أمام جهاز البصمة وتوارى بجانب الحائط متخذًا حذره وفي يده الأخرى السلاح الخاص به، وعندما فتحت البوابة لم يجد أحدًا خلفها، ولكنه وجد نفسه يمر في دهليز طويل يتجه به يمينًا ثم يسارًا إلى أن وصل إلى باب خشبي وكأنه باب مكتب، ووضع أذنه على الباب محاولًا التنصت لما يحدث بداخل الغرفة ولكنه لم يسمع شيئًا، فأدار مقبض الباب بحذر ودخل فجأة موجهاً سلاحه داخل المكتب ولكنه لم يجد أحدًا أيضًا، ورأى بابًا آخر في وجهه على اليمين ولكن جذب انتباهه الجانب الذي يواجهه مباشرةً من المكتب، وهو عبارة عن زجاج شفاف يكشف ما خلفه وعندما اقترب منه وجد نفسه يرى كل ما يحدث أسفله بوضوح، فقد كان بالأسفل حركة ونشاط غير عاديين وأشد ما كانت دهشته حينما رأى المساحة الضخمة التي أسفل قدميه، ويوجد ماكينات رافعة تنقل صناديق البضاعة التي يأتي بها العمال من الخارج، وتعتبر هذه الماكينات بوابات أخرى تصل إلى أماكن لا يعلمها وعدد ضخم من العمال والمشرفين، وتيقن في هذه اللحظة أنه أمام منظمة دولية ضخمة لن تستطيع مواجهتها أي قوات هزيلة، وبدون خطة أمنية مدروسة ومحكمة الثغرات للقبض على هؤلاء المخربين والقتلة ونسف هذا المكان بالكامل، وبدأ زاهر يتفحص المكان بعينه حتى يرى كيف يستطيع الوصول إلى دواخل هذا المكان الذي يتم تخزين البضاعة به، فوجد أن الساحة السفلية التي تشغلها حركة العمال يحيط بها قضبان كقضبان القطار مثبتة على كمر معدني، وتتحرك عليها عربات فردية كعربات القطار ولكن بحجم أصغر كثيرًا يستقلها أفراد يرتدون أزياء تشبه أزياء رواد الفضاء وأقنعة على وجوههم للتنفس، فاستنتج من ذلك وجود معامل بالداخل لعمليات

كيميائية وتضاربت أفكاره، كيف يكتشف كل هذا وحده وتذكر أنه لم يرسل موقعه إلى الرائد حسين، فأخرج موبايله ليرسله له ولكن كانت دهشته حينما لم يجد أي اتصال بالشبكة، فأغلق الهاتف وأعاد فتحه ولكن لا شيء جديد وقام بالتقاط بعض الصور للمكان من الداخل، وتسجيل فيلم قصير لحركة العمال بأسفله وحفظه على هاتفه لربما كُتبت له النجاة من هذه القلعة الحصينة، وعندما كان يضغظ على زر الحفظ لأخر شيء وهو الفيلم وجد باب المكتب يفتح عليه.

* * *

حاول الرائد حسين الاتصال بالعميد رأفت فهمي أكثر من مرة ولكنه وجد هاتفه مغلقاً، فقام بالاتصال بسكرتير الوزير وطلب منه مقابلته ولكن السكرتير رفض نظراً لتأخر الوقت ومن المؤكد أن الوزير قد أوى إلى فراشه، ولكن حسين أصر على مقابلة الوزير وبالفعل أخذ سيارته واتجه صوب فيلته وقبل أن يصل لها أوقفه الحارس الشخصي للوزير مخاطباً إياه بأنه مستحيل مقابلة الوزير الآن، ولكن حسين كان على درجة قوية من الإصرار مما اضطر قائد الحرس للاتصال بغرفة الوزير وإخباره بما يحدث، فاندش لذلك وأعطى أوامره بالسماح لحسين بالدخول إلى الفيلا ونزل لاستقباله فوجده في حالة يرثى لها قائلاً:

- ماذا حدث يا سيادة الرائد؟... هل هذا وقت تأتي به؟

- الرائد حسين متوتراً: يا أفندم أنا أعتذر أشد الاعتذار؛ لكن المعلومات التي لدي سيادتكم إذا عرفتها، ستوقظ الداخلية كلها بنفسك الآن.

- فنظر له الوزير مندهشاً: الداخلية كلها!!! ألهذه الدرجة الأمر

خطير؟

- حسين: أخطر مما تتصور يا افندم.

ثم يشرح له حسين باختصار تطورات الموقف والمكان المتواجد فيه زاهر، وأنه ربما يكون لهذه المنظمة شبكة اتصال خاصة بها وإذا افتضح أمر زاهر ربما ضاع كل شيء، فانتفض الوزير فجأة من مجلسه قائلاً بانفعال غير طبيعي، أقبل على أثره قائد الحرس الشخصي وجنوده موجهين أسلحتهم في وجه حسين، ولكن الوزير يوقفهم بإشارة من يده:

- هذا إهمال واستهتار هذه مافيا دولية، هؤلاء يريدون تدمير شباب البلد ولا بد أن يعدموا وهذا المكان يتم تدميره بالكامل، لا بد من اقتحام مسلح بأحدث الأسلحة حتى لو اضطررنا أن نهد المكان على من بداخله.

- حسين بتوتر شديد: أنا مع سيادتك يا افندم لكن نحن من مصلحتنا الآن الوصول لقائدهم، لأنهم احتمال كبير يكون لهم مكان آخر إذا اكتشف هذا.

- وزير الداخلية: لديك حق... أين هذا المكان بالتحديد؟

- حسين: للأسف لم أسمع من زاهر غير أنه داخل جبل في الصحراء، وأن هذا المكان يحيط به الجبال من كل مكان ويحتاج لدراسة قوية.

- وزير الداخلية: وبالطبع الضابط المسئول عن هذه العملية معهم الآن.

- حسين بتوتر: بالضبط يا افندم.

- وزير الداخلية: إنها مصيبة إذا أمسكوا به لن يخرج من هناك حي ولا حتى ميت... دول هيفرموه... وكيف نصل إليه الآن؟

- حسين بعد أن غمر العرق ملبسه: وماذا نحن فاعلون سيادتك يا

افندم؟

- وزير الداخلية بصوت صارم: سأتصل بكل القيادات العليا حالاً وأتواصل مع وزير الدفاع نفسه، نحن لن نستطيع البحث في الصحراء كلها محتمل يكون لديهم معلومات يستطيعوا أن يفيدونا بها، لا بد من مساعدة الجيش لأننا بالطبع سنحتاج للأسلحة الثقيلة، لأن بالتأكيد المافيا التي لديها كل هذه الإمكانيات يكون لديها تسليح قوي، ومحتمل نحتاج لطائرات هيليكوبتر أيضاً.

* * *

انبطح زاهر فجأة أسفل المكتب الذي كان يقف خلفه وهو ينظر من خلال الحائط الزجاجي على الساحة السفلية، حينما سمع مقبض الباب المجاور لهذا الحائط وليس الباب الذي دخل هو منه يدار، ولحسن حظه كان أحد الرجال العاديين الذي جاء ليأخذ شيئاً من المكتب، وفتح هذا الشخص خزانة بها محتويات كثيرة وأخذ منها بعض الأوراق وعاد حيث كان، فخرج زاهر مسرعاً من تحت المكتب واتجه صوب الخزانة وفتحها فوجد بداخلها رداء كالذي رأى أحد الرجال يرتدونه، وعلى الفور دون تفكير ارتدى هذا الرداء ليكون رخصته للتجول وسط هؤلاء الرجال دون أن يكشفه أحد، وبالفعل عندما خرج من الباب المجاور للحائط الزجاجي استطاع أن يسير ضمن هؤلاء الرجال، ثم استقل إحدى العربات التي تسير على القضبان وانطلق بها حتى عبرت بوابة إلكترونية كشفت على العربة وعلى الشريحة الإلكترونية المثبتة على الرداء الذي يرتديه زاهر، ولكن فوجئ أن الرد الآلي أجابه بأنه غير مقيد بالنظام ويجب إدخال بصمته الشخصية لتسجيل بياناته مع كود الرداء على النظام خلال ثلاثون ثانية وإلا سيتم إطلاق إنذار بوجود دخيل في المكان، وفي سرعة تعالت فيها صوت دقات قلب زاهر وضع إصبعه لتسجيل بصمته وتقبلها النظام وفتحت له البوابة، ثم انطلقت

العربة داخل ممر متعرج يحتوي على الكثير من الغرف المرقمة وعليها جهاز بصمة ولكنه توقف عند غرفة كتب عليها المعمل، ثم خرج من العربة ووضع بصمته على جهاز البصمة وتم مسح الشريحة الإلكترونية الخاصة بردائه وفتح الباب أمامه، وأشد ما كانت دهشته حينما رأى معدات إلكترونية ضخمة لم يعرف عنها شيئاً، ورجال كثيرون يقومون بعمل تجارب تحليلية وأمامهم أنواع كثيرة من البودرة فتقدم وسار وسط هؤلاء وفجأة طلب منه أحدهم المساعدة.

* * *

سطعت شمس الصباح وكانت صديقات ياسمين قد قضوا ليلتهن الأخيرة في فيلتها، واستيقظوا جميعاً على دعوة الخادمة الخاصة بياسمين للفطور، وبعد أن أخذت كل واحدة منهن الحمام الخاص بها توجهن إلى مائدة الطعام، ولكن لم يكن لديهن شهية لتناول الفطور فقالت دينا:

- الآن، ماذا علينا فعله؟

- ياسمين بشرود: من المفترض أن نذهب إلى شمس ونكون بجانبها لا يصح أن نتركها لوحدها.

- لارا: لديك الحق، بالتأكيد هي تحتاجنا لنكون معها.

وبالفعل توجهن إلى فيلا حاتم التي تقيم بها شمس أخته وعندما دخلن الفيلا أخبرهن كبير الخدم منصور أنها غادرت أمس بعد صلاة المغرب ولم تعد حتى الآن، فاضطرت ياسمين وزاد قلق صديقاتها على شمس، فقامت بالاتصال بها على هاتفها الجوال ولكنها وجدته مغلقاً ثم قامت بالاتصال بعمر فأجاب الأخير:

- صباح الخير يا ياسمين... كيف حالك اليوم؟

- ياسمين: الحمد لله يا عمر... كيف حالك أنت؟
- عمر: الحمد لله... أين أنتِ الآن؟
- ياسمين: أنا بمنزل شمس.
- عمر: شيء جيد أنكِ هناك... أنا قادم في الطريق الآن.
- ياسمين بتردد: ولكن... شمس ليست بالمنزل... عم منصور أخبرني أنها خرجت منذ الليلة الماضية بعد صلاة المغرب ولم تعد إلى الآن... وحينما اتصلت بها على هاتفها وجدته مغلقاً.
- عمر: غريبة... لماذا هذا القلق؟... أرجو أن تسألني عم منصور هل لديها صديقات ممكن تذهب إليهن؟
- فتوجه ياسمين حديثها لمنصور: أخبرني يا عم منصور... هل لشمس صديقات لتذهب لهن؟
- منصور: لا أعلم يا ابنتي شيئاً عنها لأنها جاءت إلينا منذ شهر ونصف فقط.
- فتعود ياسمين لمحادثة عمر قائلة: يقول إنه لا يعلم شيئاً عنها.
- فيصمت عمر لحظات ثم يوجه حديثه لها قائلاً: حسناً انتظريني وأنا ربيع ساعة إن شاء الله وسأصلك.
- ياسمين: حسناً.

* * *

قضى زاهر ليلة طويلة استطاع فيها التجول داخل ذلك الحصن المنيع وعرف كل مداخله ومخارجه، واستطاع أن يرسم رسمًا مبسطًا للمكان والتقط بعض الصور للماكينات التي رآها، واستطاع أيضًا أخذ بعض البودرة من مختلف أنواعها، وأخذ جزءاً من سائل معين كانوا يقومون

بخلطه مع البودرة وإذابتها تمامًا به، ثم أسرع تجاه المكتب الذي دخل منه إلى الساحة وقام بخلع رداءه ووضعها كما كان في الخزانة الخاصة به، وفتح باب المكتب الرئيسي وعندما خرج لم يجد السيارة التي جاء متسلقها من أسفلها وذلك يعني عدم استطاعته الخروج من هذا المخرج، فاضطر عائدًا لارتداء الرداء الخاص بمعامل الكيمياء ثم هبط إلى الساحة التي كانت تمتلئ بالعمال، وتوارى خلف شاحنة ضخمة كتب عليها خطر الاشتعال، وكانت دهشته حين رآها لأنه خلال الليلة السابقة لم ير بوابة تسمح بمرور مثل هذه الشاحنة، فجالت برأسه فكرة دق لها قلبه بعنف، وهي الدخول في الفتحات العلوية الخاصة بملاء هذا السائل الخطر، ولكنه لا يعرف ما نوع هذا السائل فأخرج الزجاجات التي معه واشتم رائحتها فوجدها رائحة تشبه البنزين فاطمأن إلى ذلك، حيث إن الرداء الذي يرتديه سوف يقيه من أي مشكلة يؤثر بها هذا السائل على جسده، وبالفعل نفذ فكرته واستطاع أن يتسلق السيارة ويدخل من إحدى فتحاتها دون أن يراه أحد، وعندما تحركت السيارة وعبرت البوابة الإلكترونية دوى إنذار شديد أربك كل من في المكان وأوقف حركة العمل حتى السيارة وقفت مكانها، فقد شعر نظام الليزر بالشريحة الإلكترونية المثبتة بزوي زاهر.

عادت شمس إلى فيلا أخيها فوجدت كلاً من عمر وياسمين وصديقاتها جالسين في ردهة الفيلا يتحدثون فابتسمت قائلة:

- الفيلا نورت بكم.

- فقام عمر مسرعاً من مقعده: أين كنتِ كل هذا الوقت يا شمس؟

لقد قلقلنا عليك، ولماذا هاتفك مغلق؟

- شمس: لم أغلقه ولكن محتمل يكون انتهى شحنه.

- ياسمين: حمدًا لله على سلامتكَ، أين كنتِ؟
- شمس: ذهبت لأزور مدفن أبي، ثم ذهبت بعد ذلك إلى إحدى صديقاتي لأنني لم أرد قضاء ليلة أمس بمفردي؟
- ياسمين: ولماذا لم تأتني لتقضيها معي؟... البنات أيضًا لم يتركونني وحدي أمس.
- شمس: لديهم حق في ذلك... فالأمس كان يومًا صعبًا.
- ياسمين: حسنًا ما رأيك في أن تقيمي معي الفترة القادمة؟ حتى لا تكون كل واحدة منا وحيدة بمنزلها، وأيضًا لأن صديقاتي لن يوافقن أهلهن على قضاء ليلة أخرى خارج منازلهن.
- شمس: فكرة صائبة... ونستطيع أيضًا التفكير سويًا فيما سنفعله الأيام المقبلة.



كان زاهر داخل الشاحنة في قلب السائل ويغمره إلى عنقه ورأسه ملامس لغطاء الفتحة، وهوى قلبه بين قدميه وشعر أن هذا السائل سيشتعل من حرارة جسده لما انتابه من خوف عندما سمع دوي الإنذار، وجاء الحرس الخاص بالمكان وقام بتفتيش كابينته السائق تفتيشًا دقيقًا ولكنهم لم يعثروا على شيء، وكذلك فحصوا الشاحنة من أسفلها والإطارات والهيدروليك الخاص بها ولكنهم لم يعثروا على شيء، ولم يجبل بفكر أحدهم أن يكون شخص مختبئًا داخل السائل، وبعد نصف ساعة من توقف العمل داخل المكان وفحص الشاحنة، سمح لها الحرس بالمرور واطمأن قلب زاهر عندما سمع صوت المحرك من جديد وشعر بحركة الشاحنة على الطريق، ثم انتظر ما يقرب من نصف ساعة كانت خلالها السيارة منطلقة في رحلتها،

ثم فتح الغطاء وصعد بحذر فوق السيارة وأخرج هاتفه وتفحص موقعه فوجد نفسه في الطريق المؤدي إلى القاهرة، فجلس فوق الشاحنة ثم اتصل بالرائد حسين فأجابه على الجانب الآخر قائلاً:

- زاهر... أما زلت حيًّا ترزق؟

- زاهر: نعم، والحمد لله.

- حسين: حمدًا لله على سلامتك يا بطل، أين أنت الآن؟

- زاهر: أنا حاليًّا أجلس فوق شاحنة كتب عليها خطر الاشتعال.

- حسين مندهشًا: ولماذا تجلس فوقها إذا؟!

- زاهر: لن أستطيع الإيضاح لك الآن... سأرسل لك موقعي وأرجو أن تبعث لي أحدًا من مديرية الأمن هنا يأتي خلفي ويأخذني على المطار، ثم اتصل سيادتكم بالمطار ليجهزوا لي طائرة أو يحجزوا لي في أقرب رحلة عائدة إلى القاهرة، لأن لدي معلومات خطيرة ومعني إثباتات مهمة جدًّا ستفيدنا في القضية.

- حسين: حسنًا لا تقلق سأجهز لك كل شيء إن شاء الله.

دخلت شمس وعمر وياسمين وصديقاتها إلى المحامي فهد فقال الأخير:

- صباح الخير عليكم جميعًا.

- شمس: أرجو أن تطمئنا حضرتك، هل قرأت الملف؟

- فهد المحامي: اطمئني يا دكتورة شمس... الحمد لله هناك أكثر

من موقف بالقضية في صالح حاتم، ممكن إن شاء الله نعتمد عليهم.

- شمس بابتسامة: أتعني حقاً أن هناك احتمال يأخذ براءة إن شاء الله.
- فهد: الحقيقة لن أعِدك بالبراءة... لأنه يوجد محادثة هاتفية مسجلة بالتهديد بالقتل، هذا غير السلاح الذي كان معه أيضًا... فهو احتمال يأخذ حكماً لكن أنا إن شاء الله سوف أبذل أقصى ما في وسعي لكي يكون مخففاً ولكني أريد أن أسأل سؤالاً: هل أنت متأكدة من براءة أخيك؟

- فتنظر له شمس شذراً: وهل لديك شك في ذلك؟

- فهد: أرجو أن تفهميني يا دكتورة، أخوكِ دكتور ولديه شركة استيراد والمادة التي استخدمت في عملية القتل مادة طبية، والقنينة كان له معرفة سابقة بها وكل هذه أشياء تثير الريب به، وستعتمد عليها النيابة في إدانته.

فتعصر شمس قبضة يدها وتنظر إلى الأرض صامته فتجيب ياسمين قائلة:

- أنا واثقة حضرتك أن حاتمًا مستحيل يفعل ذلك.

- فهد بابتسامة حزينة: معذرةً يا ياسمين أنتِ مثل ابنتي، لكن الحب دائماً لا يجعلنا نرى عيوب أحبائنا... واحتمال أن يكون الدافع وراء ما فعله حاتم الحفاظ على سمعة والده.

- فتنفعل ياسمين منتفضة من مقعدها: ما هذا الهراء الذي تقوله؟... إذا لم تكن مقتنعاً ببراءته أترك القضية وسنعطيهام لمحامٍ آخر يعرف كيف يخرجها منها.

فيقف عمر بينها وبين فهد المحامي وأخذها من يدها محاولاً تهدئتها، ويخرج بها من مكتبه إلى الردهة الخارجية قائلاً:

- اهديني يا ياسمين ليس بهذه الطريقة... ألا تدرين ماذا تقولين؟

- فتنفعل ياسمين: وأنت ألا تدري ماذا يقول؟

- عمر محاولاً تهدئتها: أنتِ لم تفهمي مقصده... الرجل يفكر معنا بصوت عالٍ ولكنه لم يجزم بأن حاتمًا هو من فعل ذلك... أنتِ أعصابك مضطربة بسبب هذا الموضوع، أرجو أن تهدئي لكي نصل إلى حل.

- ثم يدخلون إلى مكتب فهد فتعذر ياسمين: إني آسفة يا أ/ فهد ولكن حديث حضرتك أغضبني كثيرًا وأنا متوترة، فلم أعرف كيف أتحكم في أعصابي.

- فيبتسم فهد قائلاً: لقد قلت لكِ في البداية أنك مثل ابنتي... وعمامة أنا إن شاء الله لن أترك القضية وربنا يقدرني على عمل الخير.

الفصل التاسع عشر

بالفعل قام حسين بمحادثة مدير أمن شرم الشيخ لإرسال من يتبع زاهر ويأخذه إلى المطار، وجهاز طائرة كمثيلتها من قبل لنقله إلى مطار القاهرة، ثم وجد سيارة تنتظره فاستقلها وأخذته إلى طريق لا يعرفه ثم فوجئ بتوجه السيارة صوب أحد مراكز قيادات الجيش العسكرية، ووجد اثنين من الجنود ينتظرونه عند نهاية المدخل الذي عبرت منه السيارة، فاصطحباه إلى الطابق الثالث بالمبنى وسمحوا له بدخول إحدى قاعاتها، فوجد نفسه أمام أكثر من عشر قيادات عسكرية ذي رتب عالية فارتجف قلبه لحظة، ولكن عاد له اطمئنانه عندما شعر بيد تربت على كتفيه وكانت يد الرائد حسين فرحب به مبتسمًا قائلاً:

- حمدًا لله على سلامتك يا بطل، أنا احتسبتك من الشهداء إلى أن اتصلت بي وأرسلت لي الصور صباح اليوم.

- زاهر مبتسمًا: أنا بالفعل كان بيني وبين الشهادة خطوات، لكن الحمد لله ما زال بعمرى بقية.

- فينتسم وزير الداخلية مرحبًا به: كيف حالك يا زاهر يا بني رغم أنني فخور بك إلا أنني لست متفقدًا معك فيما فعلته... ذلك كان ممكن أن يكلفك حياتك... ويتضح لي أنك ضابط كفؤٌ والحياة العسكرية تحتاجك.

- زاهر مبتسمًا: شكرًا لحضرتك جدًّا على هذا الإطراء، ولكن لم يكن بيدي شيء غير ذلك، كان لا بد من دخول المكان لكشف مداخله ومخارجه قدر الإمكان ومحتوياته، لكي نستطيع اقتحامه في أسرع وقت؛ لأنه حسب المعلومات التي لدي من الرائد حسين لم يعد هناك وقت تقريبًا، وأنهم الآن يستعدون لتوزيع بضاعة جديدة سيضيق بها آلاف من الشباب غير الذي ضاع قبلهم، والحمد لله ربنا كتب لي النجاة لكي نستطيع تأدية المهمة التي أقسمنا من أجلها.

فيريت وزير الداخلية على كتف زاهر ثم يبدأ بتقديمه لكل القادة المتواجدين في حجرة الاجتماعات وكان معظمهم من الجيش، وقام زاهر بعرض مساحيق البودرة التي استولى عليها بالإضافة إلى السائل أيضًا، وعرض لهم ورقة كبيرة استولى عليها من داخل المكان، واستطاع رسم بعض التفاصيل التي تجعل المهمة سهلة بعض الشيء، وبدأ أحد ضباط الجيش المسؤولين عن تأمين حدود جنوب سيناء والتي تقع بها شرم الشيخ، عرض خريطة على شاشة إلكترونية موضحة الموقع الذي أرسله لهم زاهر بعد أن خرج مختبئًا في الشاحنة الضخمة، وبالفعل كانت الصورة واضحة تمامًا لهذا المكان أنه جبل شاهق الارتفاع تحيط به جبال أخرى تصعب الموقف عليهم، فاقترح أحد القادة بأن يقوم بإرسال بعض الأفراد من إحدى فرق القوات الخاصة المتدربة على مثل هذه المواقف الصعبة، ومراقبة مواعيد دخول وخروج الشاحنات من وإلى هذا المكان وعدد الأفراد القائمين على الحراسة، وعدد المداخل والمخارج بالتحديد فكان زاهر لديه بعضًا من هذه المعلومات فأجاب:

- اسمح لي سيادتك يا افندم أن أجاوبك على بعض النقاط.

- فيسمح له هذا القائد قائلاً: تفضل.

- زاهر: سيادتك جميع المداخل والمخارج الخاصة بهذا المكان لا يوجد بها أحد يحرسها من الخارج بل من الداخل، وهذا لأنها مغلقة بالكامل ببوابات معدنية وصراحة لا أعلم نوع المعدن، ولكن سمك البوابة يكاد يكون تقريباً من ثلاثة لأربعة سنتيمترات، هذا غير أن جميعها مزودة بأجهزة إلكترونية بعضها خاص ببصمة الصوت وبعضها ببصمة الإصبع، والحراس يكونون دائماً داخل الجبل خلف البوابات الرئيسية وهذا أول شيء... الشيء الثاني أن سيادتك إذا وقفت أمام أي اتجاه مقابل للجبل حتى وإن كنت قريباً منه وجهاً لوجه لن تستطيع تحديد مكان البوابة، لأنه بعد إغلاق البوابة الإلكترونية يتم إنزال شيء مثل ساتر ترابي ولوحات من الرسم الثري دي (3D)، الذي يوحي لك بقوة أن هذا صخر طبيعي مستحيل تفرقه عن غيره... ثالث شيء وهذا هو الأهم أن سيادتك إذا لامست أذنك جسم الجبل من الخارج لن تسمع أي شيء، لأنه مغلف بطبقة عزل كاملة من الداخل، هذا غير الممرات الداخلية التي تستغرق بالسيارات تقريباً دقيقتين لكي تصل لقلب الجبل من الداخل، ولاثنتي عشر دقيقة تقريباً لو سيراً على الأقدام... رابع شيء أنهم لا يستخدمون شبكات الهواتف العادية حتى لا يتتبعهم أحد ويكشفهم، ولهم نظام اتصال خاص بهم ومشفّر أيضاً.

- فينفعل وزير الدفاع: حقاً إنها قلعة حصينة من الداخل وليس مجرد مكان لتخزين المخدرات.

فيشير زاهر إلى مساحيق البودرة والسائل الذي قام بوضعه أمامهم في بداية دخوله قائلاً:

- يا افندم سيادتك هناك بالداخل معمل ضخّم به تجهيزات علمية غير طبيعية، وأعداد كبيرة من البشر يقومون بعمل تركيبات واختبارات

وأشياء أنا عقلي لم يستوعبها ولا أعلم عنها شيئاً، ولذلك التقطت لها بعض الصور وأرسلتها للرائد حسين حينما خرجت من الجبل، لأنه بالطبع لديهم جهاز تشويش داخل الجبل يمنع استقبال أو إرسال إشارات خارج مجالهم.

- فيجيب حسين قائلاً: أنا بالفعل استلمت الصور وأرسلتها للمعامل الخاصة بنا، ثم اتصلت بالمعمل مرة أخرى وسيرسلون لي أحداً يأخذ العينات التي أحضرها زاهر، ثم يقومون بتحليلها في أسرع وقت ثم يعطوننا النتائج.

* * *

- جاءت تقارير المعامل تشير إلى استخدام أنواع من المخدرات النادرة والغالية الثمن، وأقلهم في المادة الفعالة الميثامفيتامين ويصنف في المرتبة الثانية عشر على مستوى المخدرات العالمية، ويكون عبارة عن بودرة يتم استنشاقها أو أقراص يتم ابتلاعها، وسعر الجرام منها يصل مائة دولار أي ما يعادل تقريباً ألف وثلاثمائة جنيهاً مصري، أما النوع الثاني هو ثنائي إيثيل أميد حمض الليسرجيك وهو العقار الذي تم استخدامه في قتل عفاف زينهم -، أما العقار الثالث فهو خليط بين الاثنين وضع تحت ضغط يصل لواحد بار باستخدام سائل لدماج المسحوقين مع بعض ولم يتم التعرف عليه دولياً، أما السائل فهو عبارة عن كحول لا سيبرتو يتم استخدامه للتمويه عن طريق وضع البودرة به، ويتم إذابتها لعدم الاستدلال عليها بنسبة واحد إلى ثمانية عشر بالمائة، ثم يتم استخلاصها بعد ذلك عن طريق نظام تنقية خاص مكون من ثلاثة مراحل لفصل هذا الكحول عن البودرة، وتختلف النسب حسب نوع كل مسحوق منهم، وبعد أن اطلعت القيادات العليا على هذا التقرير الطبي أصابهم الذهول وقال وزير الدفاع:

- هذه المنظمة بالتأكيد تعمل هنا منذ عدة سنوات، مستحيل تكون وليدة فترة قريبة أبدًا لكي تصل لهذه المرحلة من التجهيزات داخل البلد.

- وزير الداخلية بكل أسف وتجهم: بكل أسف يتضح لي أيضًا ذلك.

- فيويخه وزير الدفاع بأسلوب راقٍ: أعتقد أن رجالك يا معالي الوزير مهتمين بأشياء أخرى غير عملهم في الداخلية.

فلم يستطع وزير الداخلية الرد عليه وفضل الصمت، وبعد مرور ثلاثة أيام من التدريب المستميت ليلاً نهارًا على نماذج خاصة كالمتواجدة بصحراء جنوب سيناء، وصل فيها الجنود للمستوى المطلوب وتجهيز خطة محكمة لاختراق الجبل بعد معرفة مواعيد دخول وخروج الشاحنات وفتح وغلق البوابات الإلكترونية، فقد تم وضع خطة الاقتحام وهي التحليق بطائرات هيليكوبتر محملة بالقذائف على مسافة قريبة من الجبل، وإحاطة قوات المشاة للجبل المطلوب من جميع الجهات ومعهم الأسلحة الثقيلة ومنها قاذفات الطائرات، ولم تستطع الدبابات دخول هذا المجال نظرًا لكثرة الجبال ووعورة الطرق الصخرية، حتى الطريق التي تسير منه الشاحنات كان مخصصًا لعرضها بالضبط أو يزيد بضعة ستميمترات قليلة غير أنه مكشوف للطريق الخارجي وكان هذا ضد سرية الخطة، ولكن كانت سيارات الجيش والشرطة والمدربات تقف على الجانب الآخر من الصحراء حتى يتمكنوا من الانسحاب إذا ساءت الأمور، وكان الاعتماد كليًا على الأسلحة الثقيلة المحمولة على الأكتاف، واحتشدت القوات حول الجبال وتقدم زاهر من البوابة العملاقة التي عبرت منها الشاحنة في الجهة الخلفية للجبل، وتوارى خلف الصخور منتظرًا قدوم الشاحنة لتسلقها لتكون وسيلته لدخول هذه القلعة، وبالفعل فتحت البوابة الإلكترونية وعبرت الشاحنة وبعد تخطيها من البوابة بضعة أمتار حدث صوت بسيط ثم توقفت فجاءة، وعندما اقترب منها

الحارسان المسئولان عن البوابة سقطا في الأرض فاقدى الوعي وكان ذلك بسبب عبوة غاز قذفها زاهر أسفل الشاحنة وهي تعبر، وهذا الغاز يحدث بعض التشنجات ثم يؤدي إلى فقدان الوعي وأخرج سلاحه وقام بتركيب كاتم الصوت وتشغيل شعاع الليزر، ثم صوب سلاحه تجاه عدسة كاميرا المراقبة المثبتة أعلى البوابة لمراقبة الطريق، أما بخصوص السائق فقد تولى أمره جندي تسلق الشاحنة مع زاهر ثم وصل إلى الكابينة وأطلق الرصاص على رأس السائق فأرداه قتيلاً، ثم اتجه زاهر مسرعاً واصطحب هو والجندي الحارسين ووضع إصبع إحداهما على الجهاز الإلكتروني الخاص بالبصمة ففتحت البوابة، وأعطى الإشارة المتفق عليها للجنود المتمركزين على مقربة منهم فأسرعَت القوات مقتحمة البوابة وكبلوا الحارسين وسلموهما لزملائهم، ثم تسلق بعض الجنود السيارة واتجهوا بها داخل الممر وسار بعضهم على أقدامهم إلى أن وصلوا آخر الممر، وكانت الساحة وقت ذلك كخلفية النحل ولكن قطع عليهم تركيزهم في العمل صوت زاهر وهو يقذف بنفسه من داخل السيارة هو وزملائه موجّهين أسلحتهم إلى كل المتواجدين بالمكان، وترك السيارة تسير بدون سائق مسرعة وتصطدم بالجدار المقابل لها وإحداث ثقب به ثم يقول زاهر منذرًا:

- اثبتوا جميعًا في أماكنكم وإلا أي حركة سأدمر المكان.

وبالفعل وقفت الحركة تمامًا ويكاد الفرد يسمع صوت أنفاس المحيطين به من الصمت، ولكن ما لم ينتبه له زاهر أثناء دراسته للمكان هو وجود أسلحة آلية مثبتة أعلى المكان، تدور حول نفسها في حركة دائرية ولديها قدرة على إطلاق أربع مائة وخمسين طلقة في الدقيقة وحدث ما لم ينتبه له زاهر، تم إطلاق الرصاص من هذه الأسلحة فأصابت اثنين وقتل آخر من الفرقة وذلك غير العمال الذين أصابتهم وقضت عليهم، وانتشرت باقي الفرقة في أرجاء المكان محاولة الهروب من الرصاص الذي أطلق عليها

كالمطر، ثم خرج الحراس مدججين بالسلاح موجّهينه صوب الجنود، وأصاب كلا الطرفين كل منهما الآخر وقُتل الكثير وتدمرت أجزاء من المكان، وحاول زاهر الوصول إلى مكان الزعيم ومعه بعض الجنود وقام باقتحامه، ولكن لشدة أسفه لم يكن هناك غير رجال عاديين من العاملين لدى المنظمة رغم وجود السيارة الخاصة به، وكان الوقت المطلوب للاقتحام والخروج من المكان سالمين حسب الخطة ألف (أ) هي خمسة وعشرون دقيقة، ولكن في الدقيقة العشرون فوجئت القوات المحتشدة خارج الجبل والطائرات المحلقة فوقه بمدافع وأسلحة مضادة للطائرات تخرج من فتحات بالجبل لم تكن ظاهرة، وتم ضرب الجنود والطائرات المحلقة واستطاعت المافيا إسقاط طائرة ونسف بعض المواقع التي يحتشد بها الجنود، ولكن في مثل هذه الحالة كانت تنص الخطة (ب) على تدمير المكان بالكامل مهما كان عدد الجنود والضحايا بالداخل، وبالفعل بعد تلقي الإشارة بدأت الطائرات بإطلاق قذائفها صوب الجبل وبدأ الجنود أيضًا في ترك العنان لقذائفهم تفجر أركان الجبل، ودارت المعركة بين الطرفين وكان حرب أقيمت في لحظة فكان دوي الانفجار مفعجًا، وبدأت صخور الجبل في الانهيار وتدافعت الصخور بشتى أحجامها تجاه الجنود واستطاع منهم من استطاع الاحتماء خلف صخور أخرى أو فتحات لا تصلها هذه الصخور، وسقط منهم آخرون جرحى وشهداء في سبيل واجبهم واستمرت الطائرات في القصف المتتالي ولكن استهدفت طائرة أخرى وسقطت على موقع بعض الجنود فخروا صرعى أسفلها، ولكن كانت الصدمة عندما رأت القيادات على الطرف الآخر عدد أربع شاحنات تظهر من جوف جبال ممتدة في آخر جزء من الطريق، واتضح أنه كان يوجد طريق ممهّد للطوارئ لمثل هذا اليوم، ثم انطلقت سيارات القيادة والمدرعات خلف هذه الشاحنات تطاردها في نفس الوقت الذي كانت تهوى فيه آخر صخور مرتفعة من

الجبل، وتهدم الجبل بالكامل وملاً الغبار وملأت الصخور المتفتتة رقعة كبيرة من الصحراء واستشهد الكثير من الجنود داخل وخارج الجبل، وكانت الأربع شاحنات منطلقة بأقصى سرعتها ولكن من حسن الحظ أن آخر شاحنة كان قد تمكن زاهر من تسليقها والوصول إلى الكابينة الرئيسية، واستطاع أن يصوب سلاحه تجاه السائق وقتله ثم أخذ مكانه أمام عجلة القيادة، وزاد من سرعة الشاحنة وكلما حاول تخطي الشاحنة التي تسبقه كانت تمنعه، ولكنه استطاع أن يصطدم بمؤخرتها فدارت الشاحنة نصف دائرة ولم يستطع قائدها التحكم بها ثم انقلبت على جانبها وبدأت في تفريغ السائل المشتعل، وعندما حاول اللحاق بالشاحنة الثانية وجدها ابتعدت عنه بمسافة قليلة ثم دارت نصف دائرة ووقفت بعرض الطريق فجأة ولم يكن أمام زاهر أي اختيار غير الاصطدام بها، وبالفعل كانت شاحنة زاهر متجهة للصدام بالشاحنة السابقة لها، ولكن كان أحد ضباط الجيش قادم بسيارة جيب بأقصى سرعة من الجانب الأيسر فقفز زاهر من الشاحنة على مقدمة الجيب، وترنح بعض الشيء وكاد أن يسقط أسفل إطاراتها لولا أن تدخل القدر في هذه اللحظة وتعلق بالمرآة الجانبية، ثم صعد إلى كابينة السيارة وانحرف بها قائدها مسرعاً يساراً بعيداً عن الطريق الرئيسي، وفي نفس اللحظة اصطدمت الشاحنة التي تركها زاهر بمثلتها ودوى انفجار رهيب واندلعت ألسنة اللهب إلى عنان السماء، واستمر قائد الجيب ومعه زاهر في مطاردة الشاحنة المتبقية وزاد من سرعة سيارته، ولكنه لم ينتبه إلى أن سائق الشاحنة استدرجهم إلى طريق وعر صاعدًا إلى بعض المرتفعات وقفز زاهر من الجيب إلى الشاحنة، ولكن فوجئ بأن السائق قام بفصل مؤخرة الشاحنة عن مقدمة السيارة التي بها كابينة السائق، فركض مسرعاً فوق مؤخرتها ثم قفز فوق مقدمة السيارة (الكابينة الرئيسية) ولكنه لم يستطع غير التمسك بحافتها، وعندما وصل إلى مقدمتها وجد السائق يقفز من الكابينة

والشاحنة في مواجهة نهاية الطريق إلى الهاوية، ولم يكن بيده القرار فقفزت السيارة إلى الهاوية وهو معها واعترضت مؤخرة الشاحنة طريق قائد الجيب وانفجرت أمام سيارته، ولكنه استطاع بمهارة أن يتفادها ورغم ذلك لامس الإطارات الخلفي للسيارة الجيب النيران فانفجر واختل توازن السيارة واتجهت في خط متعرج للسقوط إلى الهاوية، ولكنه استطاع إيقافها قبل النهاية بالضغط على المكابح الخلفية وإدارة عجلة القيادة في اتجاه اليسار، مما أمكنه من التوقف بالعرض ونصف سُمك عجل السيارة في الفراغ والسّمك الآخر على نهاية الطريق، وعندما نزل من السيارة وقف أمام الهاوية ينظر إلى الشاحنة المحطمة المتناثرة أجزائها ولم ير أثر لزاهر متيقنًا بأنه أصبح أشلاء متناثرة نتيجة لسقوطه مع السيارة، وعندما التفت إلى الخلف وجده في وجهه وملابسه ممتلئة بالغبار فاحتضنه بقوة رغم عدم وجود علاقة ما بينهما، ولكن جمعهما حب العمل والإخلاص للوطن وروح الفداء وعندما سأله ضابط الجيش كيف نجى؟ أشار زاهر بيده إلى جذع شجرة أسفل نهاية الطريق استطاع أن يقفز من الشاحنة في اللحظات الأخيرة وهي تهوي من نهاية الطريق، وتعلق بهذا الجذع الذي كان سببًا في نجاته ثم تسلق الأحجار المجاورة له إلى أن وصل إلى القمة مرة أخرى.

* * *

وجد حاتم الحرس الخاص بالسجن يصطحبه إلى وكيل النيابة وعندما دخلوا إلى مكتبه، طلب من العسكري الانصراف ومن حاتم الجلوس، ثم وجه له الحديث قائلاً:

- دكتور حاتم... أود أن أسألك بعض الأسئلة عن شركتك.

- حاتم: تفضل يا أفندم.

- وكيل النيابة: ما هو نشاط شركتك؟

- حاتم: الاستيراد والتصدير ومعاملات تجارية داخلية وخارجية.

- وكيل النيابة: ما هي الأشياء التي تقوم باستيرادها؟

- حاتم: أنا لا أقوم بالاستيراد لحسابي الشخصي، ولكن أقوم بالاستيراد لشركات أخرى، فأنا أوفر عليها إجراءات ووقت كثير مقابل المال من خلال علاقاتي بالسوق المحلي والخارجي، واعتمادًا على اسم شركتي في السوق في إنهاء الأوراق والتعاملات كل هذا بالنسبة لي أسهل مما يكون، أما بالنسبة لأي شركة أخرى يكون الموضوع صعبًا، ويحتاجون لوقت كثير وإجراءات كثيرة، فيصبح أمر المال بالنسبة لهم مقابل اختصار كل هذا لا شيء.

- وكيل النيابة: دكتور حاتم، يؤسفني أن أخبرك بأنه موجه لك تهمة الاتجار في أخطر أنواع العقاقير الطبية التي تُستخدم كمواد مخدرة، ويعتبر هذا اتجار في المخدرات وإدارة مكان لهذه الأغراض، ووضع اليد على ممتلكات الدولة بدون وجه حق.

فتجحظ عين حاتم ويعتريه الجمود وتصيبه حالة من الصمت لا يعرف كيف يرد على هذه الاتهامات، ولكن يشعر وكيل النيابة بغرابة موقف حاتم من التصنع بالجهل لكل أفعاله، فيقوم بسرد تفاصيل أحداث المعركة التي دارت بين قوات الجيش والشرطة ضد أفراد العصابة المسلحة في الجبل، وأنهم عندما قاموا بالكشف على لوحات الشاحنة الوحيدة التي تبقت دون أن تنفجر والتي سقطت على جانبها، وجدوا أنها ملك لشركة العالمية للتصدير، وعندما قاموا بتحليل السائل الذي كانت تحمله وجدوه مزيجًا من الكحول والبودرة المخدرة، ثم سرد على مسامعه أنواع البودرة التي اكتشفوها لديه، وعن التعامل التجاري الذي كان بينه وبين الشركة المصنعة لبعض مساحيق غسيل الملابس التي كان يخفي داخل صناديقها وأكياسها البودرة المخدرة،

وعندما تمت مواجهة هذه الشركة بتهمة الاشتراك في اتجار المخدرات نفت هذه التهمة، وأنها ليس لها علاقة بهذا الموضوع، وأنها تتعامل مع شركته لمجرد الإسراع من عمليات الاستيراد.

* * *

عندما وصلت يس المهدي تطورات هذه القضية عن حاتم من خلال وكيل النيابة أمر يس المهدي محاميه بتصفية كل التعاملات التي بينه وبين حاتم، وعدم التعامل مع شركته مرة أخرى، ثم ترك مكتبه لأول مرة في تاريخ عمله قبل مواعيد انتهاء العمل، وذهب إلى الفيلا وواجه ابنته ياسمين قائلاً: - من اليوم لا أريد أن أسمع منك اسم حاتم هذا نهائياً، وهذه الخطبة التي بينكم تعتبرها كأن لم تكن.

- فتندش ياسمين قائلة: ماذا حدث يا أبي؟!

- يس المهدي: بعد كل ما بنيته في الأعوام الماضية هذا الطبيب الآن سوف يسيء لسمعتي واسمي في السوق، سوف يهدم كل ما بنيته في سنين بلحظة... الأفندي علمت اليوم أنه زعيم مافيا... ومن أكبر تجار المخدرات... والمخدرات التي يتاجر بها أيضاً كلها بوردرة صعب أن يستوردها أحد إلا إذا كان تاجراً عملاقاً وأرصده في البنوك ليس لها حدود، وبالتأكيد له شركاء يمولونه... هذا غير أن نوعاً من أنواع البوردرة التي يتاجر بها هي نفس النوع التي قُتِلَتْ بها عفاف زوجة والد طارق صديقكم.

ياسمين والدموع تسيل من عينيها كالمطر دون أن تدري وبصوت متهدج:

- وما الدليل على كل ذلك؟ وكيف علموا به؟

- يس بانفعال: أما زلتِ تدافعين عنه... قضية القتل لم أهتم بشأنها

واعتقدت أنه مظلوم لكن الاتجار في المخدرات مستحيل... الدكتور يا هانم الذي ما زلتِ تدافعين عنه كان يملك معامل كيمياء ومخازن لتخزين البضاعة في بطن جبال في قلب الصحراء بجنوب سيناء، ولكي تقتحمه الشرطة لجأت للجيش ليدعمها ومع ذلك لم يستطيعوا اقتحام المكان ويقبضوا على كل من يعمل بالداخل، فقام الجيش بضرب الجبل وتدميره على كل من بداخله واستشهد جنود وضباط كثيرون في هذه العملية، وهذا يعني أنه تاجر مخدرات وقاتل وحرامي يسرق ممتلكات الدولة.

وضعت ياسمين يدها على فمها من فرط دهشتها لما سمعته من حديث والدها عن حاتم، ولم تستطع التفوه بكلمة واحدة، وشعرت بالأرض تميد بها من تحت أقدامها وسقطت فاقدة الوعي.

دخل زاهر إلى حجرة الاجتماعات الخاصة بوزير الداخلية، فوجد بها وزير الدفاع وكل القيادات العسكرية الذين سبق أن اجتمع بهم قبل أيام قليلة لتنفيذ مهمتهم، فحياه وزير الداخلية قائلاً:

- أنت اليوم بطل من أبطال مصر الحقيقيين يا زاهر... الداخلية ومصر كلها تتشرف بأنك تكون ابناً من أبنائها، أنت أدت مهمتك أكثر مما طلب منك وأكثر مما ينبغي... أنا فخور بك وأعتبرك كابن من أبنائي.

- زاهر مبتسماً بعزة: هذا شرف لي يا افندم أن أسمع هذا الكلام من سيادتك.

- يتقدم وزير الدفاع من زاهر مصافحاً له قائلاً: القيادة العليا قررت منحك يا سيادة الملازم وسام نجمة سيناء من الدرجة الثانية، طبقاً لما قدمته من تضحية لأجل بلدك الحبيب مصر، ونتمنى لك مزيداً من التقدم والنجاح.

ثم يطلب من كل الحاضرين الدعاء بالرحمة وقراءة الفاتحة على أرواح الجنود والضباط الذين ضحوا بأرواحهم خلال هذه المهمة لإنقاذ أبناء وطنهم من أيدي أعدائهم، وسلامًا على كل روح استشهدت في سبيل الله تحقيقًا للأمن والأمان لأرض الكنانة الوطن الغالي مصر الحبيبة.

وقام وزير الداخلية بترقية الرائد حسين ترقية استثنائية لما بذله من مجهود وعبقرية في التخطيط لتنفيذ ونجاح هذه المهمة، والعفو عن المقدم صلاح رشوان وإصدار قرار بعودته للخدمة، بعد أن علم من حسين وزاهر الدور الهام الذي لعبه في تحويل مسار العملية من الفشل للنجاح حين اكتشف وجود المنظمة في أرض سيناء وإسراعه بإبلاغ زميله في العمل دون تهاون.

* * *

عندما دخل عمر وشمس إلى النيابة ووجدت أخيها في هذا المشهد والشحوب يبدو على وجه ويحاكي وجوه الموتى، ارتمت بين أحضانها تاركة لعينيها العنان تذرّف من الدموع ما تشاء لما وصل إليه حال أخيها، وعمر واقفًا بجانبها لا يملك من الحديث ما يمكن قوله ثم سمعا صوت يس المهدي من خلفهم قائلاً:

- حقًا إنها خسارة... أنا لا أعلم كيف أنجب شكري محفوظ إنسان مثلك؟ أنت هدمت سمعة أبيك واسمه في السوق، أنت دمرت كل النجاح الذي بناه وأنا خُديعت فيك واعتقدت أنك خليفته، لكن للأسف صدق من قال يخلق من ظهر العالم فاسدًا، من اليوم ليس لك أي علاقة بي ولا بابنتي، لا بد أن تنساها تمامًا وتخرجها من حياتك نهائيًا مثلما أخرجتك هي من حياتها.

ثم يعطيه المجوهرات التي أعطاها لياسمين في خطبتهما وتركه هو وشمس وعمر في حالة من الذهول، وسقط حاتم على مقعده لا ينبس بكلمة

وكأنه شل لسانه عن الكلام، واحتضنته شمس بكل قوتها باكية وجاء الحرس وأخذ حاتمًا إلى الزنزانة الخاصة به بالقوة من بين ذراعي شمس، فأخذها عمر بين أحضانها وأخذ يربت على كتفيها لكي تهدأ، ولكن لم يكن سهلاً عليها رؤية أخيها في مثل هذه المواقف تنهال عليه الاتهامات من كل حذب وصوب.

ثم دخل حاتم زنزانته شاردًا ليس له حول ولا قوة لا يعرف ماذا حدث له، فجأة دون إنذار انهارت السماء فوق رأسه أطاحت به الدنيا ويكل شيء حوله، بعد أن كان في أعلى قمم جبال السعادة والحب، تحيط به وبحبيبه التي اختارها قلبه الورود والأمانى الزاهية، الملاك الذي طالما تمنّاها ولكن لم تمنحه الدنيا الكثير من هذا، فانتزعت فجأة من فوق هذه القمم وألقت به في وديان الجحيم، يتجرع منها القسوة والأسى والحزن والضنى والهجر والبكاء كما تنتزع الروح من الجسد عند الموت، شعر ببرودة تسير في أوصاله وتتجمد عروقه ويفقد الشعور بجسده وكل ما استطاع التعبير به عن حزنه ومرارة شعره، يستحث به حبيبه على البقاء بجواره يلومها على فراقه في هذه العاصفة وحده لا سند له، محتمل إذا كانت بجانبه الآن كان استطاع التحمل لهذه الكوارث، لكن بعد أن بقي وحده لم يكن لديه دافع لذلك ولم يبق له في الدنيا ما يبكي عليه.

غفت عيناك ليلاً

وقلبي أضناه السهر

يشكول للقمر حالي

وتنزف دموعي كالمطر

لا تدري شيئًا عن آهاتي

وأضلعي بالآلام تعتصر

وبالنفس تسكن الجراح
وشيدت بالنزيف قصر
أهانت عليكِ روعي
يذبحها النسيج المر
رويّت زهرة حياتي
بنسيم بسمتك العطر
وترعرعت بين يديك
لتظلل أيام الدهر
من شمس الحزن والوجع
وتعيد أيام السمر
لا ترحلي وتتركيني وحدي
فبدونك قلبي منكسر
فقبلك جنة الخلود
وبنظرة عيونك أثمر
عودي لي كما كنتِ
يا من بحبي ظفر
فلم يظفر به من قبلك
يا من جعلت قلبي جمر
يؤجج النيران بحياتي
فأعشقها ولا منها أستتر

ليت كلماتك تريحني
أو تتزعمني الضجر
أشكولليل معاناتي
وقلبي بالبكاء ينفطر
ما كنت أعرف قيمتي
لديك يا مليكة العمر

الفصل العشرون

بعد مرور شهر كانت فيه الحياة كالجحيم للجميع بعد أن كانت تملأ ضحكاتهم أرجاء السماء ولا تخلو الكافيات من تجمعاتهم، أصبحوا لا يلتقون إلا قليلاً ويعودون والحزن يملأ قلوبهم، وانتهت خلال هذه الفترة امتحانات كلية الصيدلة، وأنهى كل من عمر وشمس وطارق امتحاناتهم وهم في حالة اضطراب لا يعلمها سوى الله لما حدث لهم من مشاكل جمّة خلال هذه الفترة، وظلت ياسمين كثيرًا من هذه الأيام لا تغادر حجرتها إلا لقضاء حاجتها، ثم تعود مجددًا شاردة لا تريد التنزه ولا التحدث مع أي شخص آخر ولا حتى والدها الذي حاول كثيرًا الجلوس معها والتحدث إليها، ولكن في كل مرة كان يجدها تبكي أمامه في صمت، وكلما حاول احتضانها كانت تبقى مكانها في حالة جمود، مما يضطره إلى الخروج من غرفتها حتى جاء يوم محاكمة حاتم شكري ووجدها مرتدية ملابسها مبكرًا تهم بالخروج فاندش منها سائلًا:

- صباح الخير يا حبيبتى... إلى أين أنت ذاهبة مبكرًا هكذا؟
- فترد عليه ياسمين في حالة جمود: إنني ذاهبة إلى المحكمة.
- يس: محكمة... ماذا تقصدين؟!
- ياسمين: اليوم حضرتك محاكمة حاتم.
- يس بانفعال: أما زلت تهتمين لأمر هذا البني آدم الفاشل؟!
- ياسمين بنفس الجمود: ولماذا حضرتك مزعج إذًا؟ ألم تنه خطبتي منه؟ ماذا تريد إذًا؟

- يس بنفس انفعاله: أنا لا أريدك أن تهتمي لأمره نهائياً... أنا أريدك أن تنسيه تماماً.

- ياسمين: أنا آسفة هذا الأمر ليس بيدي عن إذن حضرتك.

ثم تركه في حالة من الانفعال وتغادر الفيلا متجهة إلى المحكمة، وعندما تصل تجد صديقاتها وشمس وعمر في انتظارها فيستقبلونها ويدخلون معاً إلى المحكمة، ويجدون فهذا المحامي في انتظارهم ولم يتخل عن القضية ليقف بجوار حاتم، ويعلن الحاجب دخول القاضي قائلاً:
- محكمة القضية رقم ١٦٠١.

- فيتقدم فهد المحامي مقدماً نفسه للقاضي: فهد الصافي حاضر عن المتهم.

وتبدأ النيابة في إدانة المتهم قائلة:

- سيدي القاضي حضرات المستشارين إن قضية اليوم ليست قضية واحدة، وإنما مجموعة قضايا لمتهم واحد جميعها ترتبط برباط واحد وهدف واحد... إن المتهم المائل أمامكم اشترك في جريمة قتل بعقار يستورده من الخارج يخفيه داخل البضاعة التي يستوردها لحساب عملائه دون أن يشك فيه أحد، اعتماداً على سمعة واسم شركته في السوق المحلي والخارجي، وذلك غير أن مهنته العلمية نفيده في أنواع العقاقير المخدرة التي يستوردها من الخارج للاتجار بها داخل البلد وتدمير شباب الدولة، ومن الأدلة الموضحة أمام سيادتكم أن المتهم في القضية الأولى وهي مقتل عفاف زينهم وجدّ قلمه الشخصي داخل شقة المجني عليها، وهذا يبدو أنه سقط من المتهم أثناء ارتكابه لجريمته دون أن يدري مما يقطع الشك في اشتراكه مع المتهمين اللتين سبق الحكم عليهن بالإعدام في القضية رقم ٣٣٥١، أما القضية الثانية فهي قضية جيل كامل قام هذا المتهم بتدميره عن طريق السموم

المختلفة التي يدفع بها إليهم لمجرد كسب المال، ليعيش هو متربعا في عرشه على مقابر أحلامهم التي دفنت هروبا من واقعهم... ولكن يا سيادة الرئيس هل يكفي المتهم بذلك؟ لا، أقولها بملء فمي لا، لقد استغل أطباء مهرة آخرين في اختراع سم جديد أكثر فتكا من ناظريه عن طريق خلط عقارين من أخطر العقارات المعروفة في سوق الطب، ليخرج منه مادة أكثر فعالية وسرعة في تدمير شبابنا وبناتنا أيضا ولم يكتف بذلك، وهى القضية الثالثة الموجهة إليه وهو وضع يديه على ممتلكات الدولة بدون وجه حق، وتحويلها إلى وكر باستخدام مهندسين ليست لديهم مبادئ أو ربما كانت لديهم، لتخزين هذه السموم بهذا الوكر في جبال مكان من أقدس الأماكن التي ذكرت في القرآن وهى سيناء وبالتحديد جنوب سيناء، وهل يكفي المتهم بذلك؟ لا أكررها لا فحينما هاجمت قوات الجيش والشرطة المقر الذي يحوي كل جرائمه لم يستسلم ويسلم أرواح كثيرة من الموت والأذى، فقد أصر على التماذي في جبروته وهدر الكثير من الأرواح، فقد استشهد في هذه المعركة الأليمة ثلاثة وسبعون جنديا من الشرطة والجيش وذلك غير المصابين أيضا وغير الأفراد الذين كانوا يعملون معه من أطباء ومهندسين وعمال... يا سيادة الرئيس نحن لسنا أمام شخص عادي مثلي ومثلك، وإنما نحن أمام وحش بشري شره للمال، فهو على استعداد تام لعمل أي شيء مقابل الحصول على المال حتى لو كان ذلك على حساب أحلام وطموحات ودماء كل من حوله... فكم من شاب وفتاة في مصحات العلاج من الإدمان، وكم من شاب وفتاة دفنت أحلامهم في المقابل بسبب الإدمان، وكم من شاب وفتاة في السجون بسبب القتل والسرقة بسبب الإدمان... هل نستطيع حصر كل هؤلاء الشباب الذين فقدناهم بسبب هذا الوحش الأدمي... إنني يا سيادة الرئيس أضع القضية بين أيديكم وكلي إيمان بأنكم سوف تتخذون من العدالة ما يرضي الله ويريح الضمير... وشكرا لك سيدي الرئيس.

- ثم يوجه القاضي حديثه إلى فهد المحامي قائلاً: الدفاع يتفضل.
فيبدأ فهد مرافعته بأية قرآنيه قائلاً:

- سيادة الرئيس حضرات المستشارين يقول الله تعالى في كتابه
الكريم في سورة الحجرات: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصَيِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ
تَدْمِيمًا ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ صدق الله العظيم.

إن النيابة في أول قضية تحدثت عنها وهي قضية المجني عليها عفاف
زينهم رقم ٣٣٥١، قد وجهت تهمة القتل مع سبق الإصرار والترصد إلى
موكلي حاتم شكري محفوظ، بالاشتراك مع المتهمتين اللتين تم الحكم
عليهما بالإعدام في نفس القضية السالف ذكرها، وذلك بناء على ما استجد
من أدلة وهو وجود قلم المتهم الضائع في منزل القتيلة، وأرجو وضع خط
أحمر تحت كلمة ضائع قبل وقت وقوع الجريمة و...

- وكيل النيابة معترضاً: أعترض سيادة الرئيس على هذه الكلمة التي
يريد الدفاع لفت انتباه المحكمة إليها، حيث إنه لا يوجد دليل على فقدان
المتهم لقلمه وإنما الدفاع يريد المماطلة وإضاعة وقت المحكمة هباءً.
- القاضي: الاعتراض مقبول.

- الدفاع مبتسماً: وإذا كنت أملك الدليل سيدي الرئيس.
فنجحظ عينا وكيل النيابة وينظر القاضي إلى الدفاع قائلاً:
- تسمح تقدم دليلك يا حضرة المحامي.

- فيعطيه فهد المحامي ورقة ثم يقول: سيادة الرئيس إن هذه الورقة
هي صورة من إيميل رسمي تم إرساله من موكلي في اليوم المذكور أعلاه
وهو قبل وقوع الجريمة بعدة أيام، أي قبل أن تُقتل المجني عليها إلى شركة
(لامبي) وهي من أكبر الشركات المصنعة للأقلام ذو تصميم فريد من نوعها،

يطلب منها المتهم صناعة قلم بمواصفات خاصة له وعليه أيضًا أول حرفين من اسمه، وذلك لفقدانه قلمه الخاص الذي تم تصنيعه من قبل.

- فينظر القاضي إلى وكيل النيابة قائلًا: اعتراضك مرفوض.

ويبدأ الأمل يتسلل إلى نفس ياسمين وشمس ببراءة حاتم من هذه القضية ويكمل فهد المحامي دفاعه قائلًا:

- وهذا يا سيادة الرئيس ينفي تمامًا أي علاقة للمتهم حاتم شكري بجريمة قتل المجني عليها عفاف زينهم، ذلك غير أن شهادة أصدقائه والعامل الذي يعمل باليخت البحري الخاص بالمتهم أكدوا بالفعل ضياع قلم المتهم، وذلك أثناء واقعة حدثت أمامهم وهي حين هم المتهم بتوقيع شيك لأحد التجار لم يجد قلمه بجيبه.

- فينتفض وكيل النيابة من مقعده قائلًا: وهل ينكر محاولته لقتلها بسلاحه الشخصي، والمحادثة الهاتفية التي دارت بينهما وقد هددها بقتلها إذا فضحت أمر زواجها العرفي بوالده.

- فهد المحامي: سأجيب على أول نقطة سيادتكم وهي محاولة قتلها بسلاحه الشخصي فقط بجملتين، وهو أن السلاح الذي كان يحمله حاتم شكري هو مجرد سلاح صوت يحدث انفجارًا فقط عند الضغط على الزناد الخاص به وهذه هي الجملة الأولى، أما الثانية فهي أن السلاح الذي كان يحمله حاتم شكري كانت خزنته فارغة من أي ذخيرة، وهذا يعني أن حاتم شكري لم يكن في نيته أبدًا قتل الشخصية التي ادعت أنها عفاف زينهم، ولذلك أرجو من سيادتكم الحكم ببراءة المتهم من هذه القضية لعدم وجود دليل مادي صحيح على اقترافه لجريمة القتل.

ثانيًا بالنسبة لقضية الاتجار في أكثر من نوع من المخدرات واستغلال اسمه التجاري وسمعته في استيراد هذه المواد كما ذكرت النيابة داخل بضائع

شركات أخرى، فليس هناك أي دليل مادي على أن أنواع السموم التي كانت في هذه البضائع هي ملك لحاتم شكري أو يست...-

- يعترض وكيل النيابة قائلاً: عفوًا سيادة الرئيس أعترض على ذلك حيث إن هناك العلاقة واضحة وصريحة بين المتهم وبين هذه السموم المخدرة، حيث إن نوع السموم التي وجدت في بضائع الشركات التي يستوردها حاتم شكري باسم شركته، هي نفس نوع السموم التي وجدت مذابة داخل كحول ومخزنة داخل شاحنات هي ملك في الأصل لحاتم شكري، واسمحوا لي أن أوضح بالعامية فأنا أقصد أن السموم التي وجدت في مساحيق الغسيل، هي نفس السموم التي وجدت مذابة في الكحول المتواجد في شاحنات يمتلكها حاتم شكري، والشاهد على ذلك هو الملازم أول زاهر منير، وهو ضابط مهندس كان تقدم بالعمل في شركة موشن للمصاعد، والتي يمتلكها رجل الأعمال المعروف بس المهدي نظرًا لشك إدارة مكافحة المخدرات به، وأنه هو المسئول عن إدخال هذه السموم إلى البلد مستغلًا اسمه وسلطته، ولكن حين تبين أن هذا الرجل ما زال نقي الضمير ونظيف اليد كما ظل لأكثر من خمسة وعشرين عامًا... قام الملازم أول زاهر بتتبع المتهم حاتم شكري وشركته ودخول مخزنه أو مصنعه لا أعرف كيف أسميه، ولكن المكان الذي وضع يده عليه دون وجه حق من ممتلكات الدولة للوصول إلى الدليل الذي يدينه وتستطيع المحكمة أخذ أقوال الشاهد.

فينادي حاجب المحكمة على زاهر منير فيتقدم الأخير إلى منصة الشهود، فيحلف اليمين ويذكر بياناته الشخصية ثم يبدأ القاضي في سؤال زاهر قائلاً:

- هل سبق لك وقمت بدخول هذا الجبل الذي ذكرته النيابة؟

- زاهر: نعم يا افندم.

- القاضي: هل تستطيع وصفه ووصف ما رأيت؟

فيسرد زاهر على مسامعه كل تفاصيل المكان من الداخل وأنواع العقاقير التي رآها بالداخل، وكيف تتم عملية الإذابة وعملية خلط العقاقير ببعضها ومداخل ومخارج المكان، والعربات التي تسير على القضبان كالقطار وبعض أرقام الغرف.

- فينظر القاضي للدفاع قائلاً: هل تريد سؤال الشاهد؟

- الدفاع: نعم، سؤال واحد سيادتك.

- ثم يوجه حديثه لزاهر قائلاً: هل رأيت أي دليل يثبت أن المكان

الذي كنت به ملك شخصي للمتهم؟

- زاهر: لا ولكن الش... ..

- فيقاطععه الدفاع: هذا ما أريد أن أصل إليه سيادتكم، أنه لا يمكن

إثبات أن هذا المكان كان في يوم من الأيام ملك لحاتم شكري لعدم وجود أي دليل مادي على هذا... ولذلك التمس من عدالتكم الحكم ببراءة موكلي حاتم شكري أيضًا في قضية وضع اليد على ممتلكات الدولة.

- فيقف وكيل النيابة بانفعال قائلاً: يا سيادة الرئيس سوف أقف هذه

المرة بجانب الدفاع والمتهم وليس ضدهم، وأقول إنه بالفعل لا يوجد دليل مادي على أن حاتم شكري وضع يده على ممتلكات الدولة نظرًا لفقدان هذا الصرح الملوث وانتهياره بالكامل، ولكن هناك كل الأدلة على أنه هو مالك كل أنواع العقارات المنتشرة بالسوق المحلي حاليًا، نظرًا لما ذكرت من قبل تواجدها داخل البضائع التي يستوردها وداخل الشاحنات التي أيضًا هو مالكتها.

- القاضي يوجه حديثه إلى الدفاع: هل لديك شيء آخر تريد ذكره؟

- الدفاع: لا... شكرًا سيادة الرئيس.

- القاضي: الحكم بعد المداولة.

مضت الدقائق طويلة وثقيلة ولكن الأصدقاء لم يفقدوا الأمل، إلى أن خرج القاضي ونادى الحاجب محكمة وجلس القاضي قائلاً:

- أولاً حكمت المحكمة حضورياً في القضية رقم ٣٣٥١، والمتهم فيها حاتم شكري بالاشتراك في قتل المجني عليها عفاف زينهم بالبراءة لعدم ثبوت الأدلة.

- ثانياً حكمت المحكمة حضورياً في القضية رقم ١٦٠١ والمتهم فيها حاتم شكري بوضع يده على ممتلكات الدولة عنوة بالبراءة لعدم وجود ما يثبت ذلك.

- ثالثاً حكمت المحكمة حضورياً في نفس القضية السالفة والمتهم فيها حاتم شكري باستيراد والاتجار في العقاقير المخدرة، التي تؤدي إلى الوفاة والإدمان وما نُسب إليه من تعمدته في الاشتباك مع القوات المسلحة والشرطة، مما أدى لاستشهاد الكثير من الجنود والضباط بالإعدام شنقاً... رُفعت الجلسة.

هوت كل القلوب في الأرض حينما نطق القاضي بآخر حكم بعد أن عمت الفرحة أوصالهم لتبرئة حاتم من القضيتين الأوليين، وصرخت كل من شمس وياسمين والدموع تنهمر من عيونهما متعلقتين بالحاجز الحديدي الذي يقف خلفه حاتم، وتلامست يدي حاتم بيدي شمس وياسمين ولأول مرة سقطت الدموع من عين حاتم دون أن يشعر، وابتسم ابتسامة حزينة وهو ينظر لياسمين قائلاً:

- لن يحزنني شيء بعد الآن حتى الموت... أنا في منتهى السعادة لأنني سأموت وأنا أرى دائماً براءتي في عينيك، بعد أن أحسستُ بنفس لمسة

الحب بيديك التي أحسستها أول مرة تقابلنا بها، لم تعد تهمني الدنيا بأكملها أن تتأكد من براءتي... ولن يهمني الناس أن تعرف حقيقتي... كل ما يهمني الآن أنك ما زلتِ حبيبتِي... قلبك هذا هو ما حلمت دومًا به... هذا هو الحب الذي طالما تمنيتُه... هذه اللمسة هي التي بحثت دومًا عنها... وهذه هي اللحظة التي خفت ألا أجدها... اللحظة التي تراني بها كل الناس صورة... وحبية عمري تراني بها أحلى صورة... لا تبكي يا حبيبة العمر ولا تخافي... فحبك لي زاد إيماني... ونظرة عيونك جعلتني... أعرف قيمة حبي... ولكن ما سيؤلمني بعدك... أني سأفارق حضنك... وهو الذي تمنيت أن أحيأ به... لو هابكي اليوم... هابكي على سعادة لم تدم... وأنت بعيدة عني... أو عديني حبيبتِي... تظل البسمة بعيونك... أو عديني حبيبتِي...

مرت الأيام ثقيلة رطبة خالية من كل طعم ولون والحزن والدموع يعصفان بالقلوب، وكل منهم في غرفته لا يبارحها ولا يلتقون إلا بعمر كي يطمئن على شمس، حتى ياسمين رفضت مقابلة كل إنسان حتى صديقات عمرها، ولم تأكل إلا ما يداوي آلام الجوع ونحل جسدها وخفت جمالها وذبلت عيونها من كثرة ما ذرفت من دموع الفراق، ولم تعد الجميلة التي عهدوها من قبل، فأصبحت فتاة هزيلة ضعيفة فتك بها الحزن وقضت عليها الآلام، ولم يعد يرضيها شيء في الدنيا بعد فقدان حبيبها، فإما تحيا به أو تذهب معه، فلم يعد في الدنيا مكان لها واختارت طريق الرحيل ودخلت المستشفى، وظلت أيامًا طوألًا فاقدة الوعي لا تدري شيئًا عما يدور حولها، وفقد الأطباء الأمل في شفائها وعجزت الكلمات عن وصف حالتها وبكت العيون لأجلها حتى يعفو عنها الله.

جلس حاتم وحيداً لا يدري كم قضى من أيامه جالساً بين هذه الجدران البالية التي شهدت نهاية الكثير قبله، وبكت عيناه وخفق قلبه ليس خوفاً من الموت ولكن لفراق القلب الذي أحبه، فقد كان له دنيا الخيال الذي عبر له بشرح الآمال وتمنى قضاء العمر جالساً بداخله مهما طال العمر، والعيون التي رآها بأحلامه ورسمها له الخالق بإبداع، كل شيء تمناه وجدته حقيقة بين يده لم يكن يتوقع أبداً أن تكون نهاية الرحلة السعيدة آلاماً دامية وفراقاً طاغياً يتهشم على صخرته قلباهما، وبينما هو يفكر في كل هذا يجد ضابطاً يدخل حجرته ويقف أمامه ويمد يده له بالمصافحة فيدهش حاتم من هذا الموقف قائلاً:

- ليس هناك داعٍ للشفقة يا حضرة الضابط، فأنا لست خائفاً من الموت، فلقد فاضت روحي منذ آخر لحظة رأيت بها القلب الذي أحببته عندما حانت لحظة الفراق، فأنا لست محتاجاً لعطفك ولا عطف أي أحد آخر ومثلما قال الرئيس الشهيد (أنور السادات): إنى أفضل احترام العالم بغير عطف على عطف العالم إذا كان بغير احترام.

فيجلس الضابط القرفساء مقترباً من حاتم قائلاً له:

- ألا تذكرني يا دكتور حاتم؟... أعتقد أن السنوات غيرتنا نحن الاثنين... لكن أعتقد أنك إذا دقت النظر فيّ ستعرفني... أنظر إليّ.

- فينظر له حاتم محاولاً أن يتذكره قائلاً: هل تقابلنا من قبل؟

- الضابط: نعم كثيراً جداً، وضحكنا سوياً ولعبنا.

- ولكن ذاكرة حاتم لم تسعفه لذلك فقال: أنا آسف حضرتك أعتقد أنه اختلط عليك الأمر.

- الضابط مبتسماً: هل تعتقد أنه من السهل نسيان الحاج شكري

محفوظ وابنه حاتم وأخته شمس؟

- فيندهش حاتم قائلاً: من أنت؟
- الضابط: أنا الأيام الحلوة، ذكريات الطفولة أنا هشام رزق ممدوح.
- فيغلق حاتم عينيه للنصف فيبرق مسرعاً: هشام ابن عم رزق الجنائي.
- فيتسم هشام ويحتضنه مسرعاً حاتم قائلاً: هشام... ياااااه أين الذكريات الجميلة؟
- الضابط هشام: بحثت عنك كثيرًا يا حاتم لكي أصل لك، لكني لم أجد لك طريقًا، كنت أود رؤيتك منذ زمن.
- حاتم بحزن: كنت أتمنى أن لا تعثر علي.
- فيحزن هشام قائلاً: ألا تريد رؤيتي؟
- حاتم مبتسمًا بسخرية: أنا لا أريدك أن تراني في هذه الحالة.
- هشام مبتسمًا بحنان أخوي: كيف تقول ذلك؟... أنت أخي وصديقي... كيف أنسى وجودك بجائبي وبجانب والذي رحمه الله يوم أن طردنا والدك من المنزل؟ لولا المال الذي أعطيتني إياه لم نكن لنجد لقمة نأكلها كان مديديه للناس على الأرصفة، أنت فضلك كبير جدًا علينا يا حاتم وسبقني دينًا في رقبتي إلى نهاية العمر.
- حاتم مداعبًا هشام: لو كنت أعرف خاتمتي ما كنت سرقت.
- فيتسم هشام: حتى لو كنت تعلم ما سيحدث لك كنت ستفعل ذلك أيضًا، أنت طول عمرك قلبك طيب وتحب الخير لغيرك ولا تقسو على أحد.
- فيتسم حاتم في حزن قائلاً: هل أنت المسئول عن حراسة السجن هنا؟

- هشام: لا ولكن قرأت الخبر على الفيس بوك وتويتر؛ لأنه بالطبع الموضوع انتشر بطريقة كبيرة جدًا فكان لا بد أن آتي لكي أطمئن عليك.
- حاتم: تسلّم يا صاحبي.

وبعد مرور عدة أيام تضرع فيها الأصدقاء إلى الله داعين بشفاء ياسمين، بدأت محاولات الأطباء تؤتي ثمارها وبدأت ياسمين تسترد وعيها رويدًا رويدًا، وظلوا جالسين بجانبها لم يفارقوها حتى في النوم شمس وصديقاتها ندى ولارا ودينا كن دائمات التردد عليها، وعمر كان ساهرًا على خدمتهن دائمًا ملييًا احتياجاتهن حتى أفاقت ياسمين في يوم، فوجدتهم بجوارها فابتسمت في شحوب قائلة: يااه... أما زلت حية؟

- شمس وصديقاتها: حمدًا لله على سلامتكم... لقد قلقنا عليكم كثيرًا.
- فسقطت دمعة من عين ياسمين: أنا لا أريد أن يقلق عليّ أحد... أنا أريدكم أن تتركوني أغادر هذه الدنيا... لم يعد لي بها مكان.
فتماسكوا جميعًا من حولها حتى قال عمر مداعبًا إياها:
- وهل تعتقدون أن الدنيا ستوافق على فقدان أحلى زهرة بها بهذه السهولة؟

- فتبتسم شمس مهممة قائلة: احم احم... أنا ما زلت هنا تغزل بها دون أن تجذب انتباهي.

- فتبتسم ياسمين بحزن: ربنا يبارك فيكم.

- فتداعبها دينا: يكفي كل هذا الوقت الذي قضيتيه هنا، نحن اختنقنا من رائحة البينج وحالة الكآبة التي هنا، هيا تماثلي للشفاء سريعًا كي نعود للخدع التي نفعلها ببعضنا.

وجاء يوم تنفيذ حكم الإعدام على كلِّ من أم مطهرة وحر قاهم، وقد تم نقلهم من السجن الذي كانتا به حيث ظلّا هناك حتى انتهاء مدة الطعن، ثم بدأ نقلهم في سيارة الترحيلات كي يتوجها إلى مكان الإعدام وقامت سيارة شرطة بحراسة سيارة الترحيلات، وقد كان معهما في نفس السيارة شخص آخر محكوم عليه بالإعدام في قضية أخرى وهي خطف الأطفال وسرقة أعضائهم، وسارت السيارتان في طريقهما وفجأة أثناء الطريق وبدون سابق إنذار انفجرت السيارة التي تحرس سيارة الترحيلات، وبالتالي وقفت سيارة الترحيلات ونزل منها الضابط المكلف باصطحاب المجرمين هو والجندي سائق السيارة، فخرج من على الطريق الآخر رجال محملين بالسلاح ومعهم صندوق بلاستيك، وأمر الضابط الجندي بفتح الأبواب الخلفية للسيارة وإنزال المتهمين ثم سأل رئيس الجماعة المسلحة الضابط قائلاً:

- هل تأكدت أن الأموال وضعت في حسابك يا عماد بك؟

- الضابط عماد: بالتأكيد يا جندي.

- جندي رئيس الجماعة: تسلّم يا كبير... مانجلكش في حاجة وحشة... تأمرنا بشيء.

- الضابط عماد: لا، تسلّم.

ثم يصطحبوا المتهمين معهم ويذهب خلفهم المتهم الثالث فيوقفه الضابط عماد قائلاً:

- أين أنت ذاهب يا حيوان؟

- فيرد المتهم: سأذهب أنا أيضًا... ولكن ليس معي مال أدفعه لك، فاعتبرها زكاة عن صحة سعادتك.

- الضابط عماد: لماذا يا روح أمك؟... شايفني بوزع كحك العيد.

فتهمس المرأتان في أذن جندي رئيس الجماعة ببعض الكلمات فيتحدث بناء على ذلك إلى الضابط عماد قائلاً:

- بعد إذئك يا عماد بك اسمح لنا أن نأخذہ معنا.
- الضابط عماد: ولكن هذا ليس ضمن اتفاقنا يا جندي... وأنت تعلم كل شيء وله ثمن.
- جندي مبتسمًا: يا بك اعتبرها لوجه الله... صدقة جارية.
- فيتسم عماد: حسنًا... إذا كان لوجه الله.
- وبعد أن ينصرف جندي وجماعته مصطحبًا المرأتان والمتهم الثالث، يأمر الضابط الجندي الذي معه بإحضار الصندوق البلاستيك الذي أحضره جندي، ثم فتحه وألقى به أسفل السيارة وأشعل النار بها.

نشرت الصحف وانتشر على مواقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك وتويتر وانستيغرام خبر هروب ثلاثة متهمين محكوم عليهم بالإعدام، وهم في طريقهم لتنفيذ الحكم وانفجار سيارة الحرس بعد أن اكتشف أنه قد تم تركيب قنبلة بها يتم التحكم في وقت انفجارها عن بعد، واختفاء الضابط المسئول عن المتهمين في سيارة الترحيلات والجندي الذي كان يقودها بعد أن أحرقتها أشخاص مجهولون ولم يتم العثور على الضابط أو الجندي، وقد صرحت وزارة الداخلية بأنه تم اختطافهما من قبل الجماعة المتسببة في هذه العملية بغرض الضغط على الشرطة، ولم تنشر أي معلومات أخرى.

ولهذا الحدث قد قررت الداخلية تنفيذ حكم الإعدام على المتهمين في زنازنتهم أو ترحيلهم فورًا بعد انتهاء حكم المحكمة إلى المكان الذي سوف يتم فيه تنفيذ الحكم لتفادي هذه الأحداث، وقد كان ذلك من سوء حظ حاتم حيث إنه سيطبق عليه ذلك القرار كغيره وجاء يومه سريعًا وقد قضى في زنازنته شهرًا وحيدًا ظنه دهرًا كاملًا، حيث تنص القوانين على

المحكوم عليهم بالإعدام بعزل السجين المحكوم عليه بذلك الحكم في زناينة انفرادية في عنبر مستقل خاص بأحكام الإعدام، وتعيين حارس خاص لكل حالة وقد يظل السجين في هذه الزناينة الانفرادية عدة سنوات أو شهور أو أسابيع حسب الفترة المتبقية لتنفيذ الحكم عليه، هذا غير أن الزنازين وضعها غير آدمي البتة فقضاء الحاجة في وعاء من المعدن (جردل) والإضاءة معدومة والطعام رديء والتهوية سيئة والرعاية الطبية منعدمة، ولا يوجد أي وسائل للتواصل مع العالم الخارجي كل هذا يحدث قبل وأثناء تنفيذ الحكم، ولحسن حظ حاتم أنه وجد من يربط عليه وحدته وهو صديقه هشام رزق الذي أوصى توصية جيدة عليه، فتمت معاملته بأسلوب أفضل ممن حوله، وكان كلما طلب أي شيء من حارسه كان ينفذه حتى أنه أتى له ببعض الأوراق وقلم كي يقص ما اختلج قلبه من شعور وأحزان مؤلمة وقاتلة، وفجأة وبدون إنذار فتح باب السجن ليصطحب الحرس حاتم إلى المشنقة وحينما كانوا يسرون في طريقهم سقط حاتم فجأة دون حراك.

بعد أن وصلت أم مطهرة وحقاقهم والمتهم الثالث مع الجماعة المسلحة إلى مكان مدخله عبارة عن فتحة في مجموعة من الصخور في صحراء المقطم، له مداخل وعلامات خاصة لا يعرفها أحد غير المترددين عليها، وهو المكان الذي كان معداً مسبقاً لإخفاء المتهمين وعندما وصلوا تم تجهيز الطعام والشراب لأجلهم وبدأ جنيدي يسأل المتهم الثالث قائلاً:

- أشرقت الأنوار يا ريس... لم نتشرف باسمك الكريم.

- المتهم: زيكو... اسم الشهرة.

- جنيدي: عاشت الأسامي يا أخ.

- زيكو: عشت يا مريسة.
- جنيدى: المعلمة أخبرتنا أنك دكتور ولك في الطب... والذي منه.
- فيتسم زيكو: ليس لهذه الدرجة، أنا مجرد تمرجي ولكن أفهم في مسائل الطب بعض الشيء.
- جنيدى: هذا شيء عظيم، نحن لدينا عمل لك.
- زيكو ساخرًا: هل لديكم مريض؟
- جنيدى: أعوذ بالله لا تقول ذلك... نحن لدينا كمية بودرة ونتاجر بها وشباب وبنات يأخذون حقن مخدرة فلتساعدنا في ذلك.
- زيكو: ليس هناك مشكلة.
- أم مطهرة: أخبرني يا زيكو هل تفهم في التحاليل؟
- زيكو: أنا أفهم في أي مصيبة يا معلمة طالما فيها أموال؟
- جنيدى: لا تقلق يا جدع، المعلمة لا أحد يعمل معها إلا وينعم في الذهب.
- زيكو: وأنا من اليوم معكم.

ذهبت شمس في اليوم التالي لتنفيذ حكم الإعدام في أخيها لاستلام متعلقاته فعلمت أنه توفي إثر أزمة قلبية ولم تستطع رؤيته لأخر مرة، وعادت إلى منزلها والدموع تنهمر من عينيها وعمر جانبها لا يملك لها شيئاً وعندما أفرغت محتويات الظرف الذي سلمته لها إدارة السجن، وجدت ساعته وخاتمه وقلماً وبعض الأوراق التي كتب على أول صفحة منها ياسمين وعلمت أنه أراد إرسالها لياسمين بعد وفاته، وطلبت شمس من عمر أن يأخذ هذه الأوراق ويذهب بها إلى ياسمين ليعطيها لها وأنها تريد أن تبقى

وحدها بعض الوقت، ولم يجادلها عمر نظرًا لمعرفته بحالتها النفسية الحالية فريضخ لطلبها ثم اتجه إلى فيلا ياسمين، فرحب به والدها وأخبره أنها ما زالت بغرفتها لا تريد مقابلة أحد ولم تأكل إلا ما يبقياها على قيد الحياة فقط، ولكن عمر أخبره أن حاتم ترك لها بعض الأوراق فطلب يس المهدي من الخادمة الخاصة بياسمين أن تبلغها بأن لديها رسالة من حاتم، وعندما سمعت ياسمين هذه الكلمات تيقنت أن كل شيء قد انتهى، وأصبحت الدموع تنحدر على وجنتيها دون أن تشعر بها لكثرة ما بكيت واعتادت على ذلك ونزلت إلى الردهة لمقابلة عمر، ورأى عمر فتاة أخرى غير التي عاهدها من قبل يوم خطبتها لحاتم، ففي خطبتها كانت زهرة يانعة في بستان الربيع أما الآن فأصبح وجهها يحاكي وجوه الموتى من كثرة اصفراره وانعدام اهتمامها بنفسها وغذائها، فاقرب منها عمر وسلم عليها وأعطاها أوراق حاتم فأخذتها دون أن تنفوه معه بكلمة، وصعدت مرة أخرى إلى غرفتها فنظر له والدها معترزًا، ولكن أجابه عمر بأنه مقدر موقفها وحالتها النفسية.

عقد اجتماع بين أعضاء المنظمة والزعيم ورحب الأعضاء جميعًا بعودة بنات الحاج محروس إلى المنظمة مرة أخرى، وبدأ الاجتماع بكلمة الزعيم قائلاً:

- بالطبع جميعكم تعلمون ما حدث بجبل آمون وما آلت إليه نهايته بسبب الشرطة والجيش، لقد خسرنا أموالًا طائلة تقريبًا فيما يعادل ستمائة وخمسين مليون دولار، تكاليف تجهيز المكان والمعامل والمعدات الداخلية والشحنة التي دفنت والتي احترقت، كل هذا غير المخزون الذي كان موجودًا معهم أيضًا، وهذا يعني أن الشحنة الأخيرة انتهت تمامًا وليس لدينا غير الشحنة التي استلمناها نعتمد عليها الفترة القادمة إلى أن تأتي

الشحنة الجديدة، وأيضًا لا بد أن نرفع سعر البودرة التي لدينا حاليًا لكي نستطيع دفع ثمن القادمة، هذا غير أننا لن نستطيع عرض النوع الثالث الذي اتفقنا عليه لأن بالطبع ليس لدينا معامل الآن وكل الأطباء الذين كانوا يعملون في هذا الموضوع دفنوا في الجبل.

- فيتذمر أحد الأعضاء من الموقف قائلًا: لقد خسرنا بسببك كل أموالنا وليس أمامنا غير انتظار الشحنة القادمة، وغير ذلك تريد منا أيضًا أن نرفع السعر على العميل، هل تريدنا أن نخسر هذه الشحنة أيضًا؟

فينظر نائب الزعيم إلى هذا العضو ويضغط على زر أسفل الطاولة فتنتطق قذيفة من خلف الجدار تفجر رأس هذا العضو بدون جدال، ويبقى جسده باقيًا بدون رأس وتبرق أعين الجميع من هول الموقف ولا يستطيع أحد أن ينطق بكلمة فيتحدث نائب الزعيم قائلًا:

- هل يوجد أحد لديه اعتراض آخر؟ أم موافقة بالإجماع.

فيرفعون جميعًا أيديهم بالموافقة ثم تتحدث أم مطهرة قائلة:

- يا زعيم لقد هرب معي شاب من السجن وأخبرني أنه كان يعمل بالطب وبالتحاليل أيضًا ويمكن يفيدنا لو سخرنا عقله لنا.

- فينفع الزعيم قائلًا: وهل أخبرك أحد أننا نصنع طبخة هيروين لكي تحضري لي شخصًا ليس له قيمة وتقولي لي نستفيد به؟ نحن كان يعمل لدينا أباطرة.

ثم يعلن بصوت عنيف انتهاء الاجتماع فيغادرون جميعهم إلا النائب يبقى مع الزعيم فيندش الأخير قائلًا:

- خير، هل هناك مصيبة أخرى تريد أن تخبرني بها؟

- النائب: لماذا؟ هل جلبت لك مصائب من قبل؟

- الزعيم: أعتقد أنك إذا كنت تتابع الضابط الذي كان يعمل عند يس المهدي لم تكن لتحدث هذه الكارثة، ولكنك تركت الملعب لطفل وشخص فاشل إلى أن هدموا كل شيء.

- النائب: أنا كنت مثلك مهتم بأمر الشحنة وأتابعه معك خوفاً من الموضوع، ولم يأت بخاطري أن الصدفة تفعل ذلك.

- الزعيم بضيق صدر: حسناً كل شيء انتهى الآن وسنبداً مرة أخرى من جديد... ماذا تريد مني الآن؟

- النائب: ما رأيك في أن نجرب الشاب الذي حدثنا عنه بنت المعلم محروس، محتمل أن يفيدنا في شيء خلال هذه الفترة ولو لم يفدنا لن نخسر شيئاً.

* * *

الفصل الحادى والعشرون

بعد مرور عدة أسابيع سكن كل واحد منزله قام طارق بالاتصال بـ(دينا) بعد أن ظلت طيلة هذه المدة دون أن تحدثه نظرًا لغضبها منه، وفكرت أكثر من مرة في إنهاء علاقتها به بعد أن كان السبب في دخول حاتم السجن دون ذنب فأجابت قائلة:

- مرحبًا... ثم صمتت.

- فأجاب طارق بحزن: أعتقدت أنني لن أسمع صوتك مرة أخرى.

- دينا: خير... أتريد شيئًا؟

- طارق: أود أن أراك... أريد أن أتحدث معك.

دينا تحاول السيطرة على نفسها ولكن تغلبها دموعها وتنهمل كالنار:

- لم يعد بيننا حديث، وأفضل أن تمحو رقم هاتفي من هاتفك، وأن

تمحوني أيضًا من ذاكرتك كأنك لم ترني يومًا بحياتك.

- طارق: لماذا تفعلين هكذا؟... ماذا فعلت لك؟

- فتفجر دينا في البكاء بصوت متقطع: أنت خنت صديقك كان

محتملاً أن تكون سبب من أسباب وفاته لولا أ/ فهد أخرجه من قضية

زوجة أليك عفاف... كل هذا من أجل أن تنتقم لنفسك، كان قلبك قاسيًا

لأقصى درجة، لم تفكر بأي سبب آخر لوجود القلم في منزلك غير أنك تريد

أن تتخلص منه رغم أنه عرض حياته للخطر من أجلك... لكي ينقذك...

ضحيت به وخسرته وخسرتنا... خسرت بسببك أعز صديقاتي... صديقات عمري من أجل أنايتك... خسرنا بعض جميعًا... لم يعد في استطاعة أحدنا أن يقابل الآخر... لم يعد عمر قادرًا على مواجهة شمس؛ لأنك صديق عمره السبب في موت أخي حبيبته والتي ستصبح زوجته... لم يعد قادرًا على مواجهة ياسمين التي هي خطيبة أخي زوجته لأنك صديقه... ولم أعد أنا أيضًا قادرة على مقابلة صديقاتي لأنني أحببتك... لقد أضعت كل شيء بغباتك كل شيء، وخسرنا بعض وخسرنا كل ما هو جميل فعلناه سويًا.

وتعلق دينا الهاتف من فرط انفعالها وشدة بكائها، وكان أثناء محادثتها له يبكي بكاءً حارًا ولكنه كتم صوته، حتى لا تسمعه وهو جالس على كورنيش النيل يتذكر أيامه معها في حي الزمالك، ويستمر في نحيبه حتى يتفاجأ بيد تربت على كتفه فينظر خلفه ليجد صديق عمره عمر قائلاً:

- للأسف أحسست بخطأك بعد فوات الأوان.

- فينظر له طارق في حزن: أنا لن أستطيع المضي في حياتي بدونها، إنني أحبها من كل قلبي يا عمر أحبها بروحي... أود أن تسامحني.

جلست ياسمين وذكريات حبها بين يديها تنظر لها ودموعها تسري على وجنتيها كسريان نهر النيل في مجراه، ما عادت تشعر بها تحولت حياتها كلها لجحيم وكل كلمة حب قالها حاتم من قبل تتردد في أذنها دون توقف، وبدأت تقرأ كلماته بين أوراقه (عشتُ وحيدًا بدونك يا حبيبة العمر أرثي نفسي لفقدان حياتي معك ولم أعد أراك بعيني، ولكن دائمًا كنت تسكنين قلبي كيف ينسى من ارتبكت لها نبضاته واهتز لها كيانه... يا ملكة في سماء الحب التفت حولك النجوم لتتوجك عليها شمس النهار وكان من زهوة نفسي أن أجلس بجانبك وأشارك عرشك في سماء الحب... ازدادت

حياتي معك أملاً وابتساماً كلما لامستُ أناملك واخترتُ أن أكون وحيداً معك على أن أكون وسط الجموع... فكنت لي ياسمين الربيع يرفرف قلبي بجناحين من النسيم كي يصل إليك... ليرتوي من رحيق قلبك العذب حباً فياضاً... وكلما ارتشفت منه زاد شغفي له... وكلما ارتشفت أكثر تأججت نار الشوق أكثر فأكثر... فقربي منك لم يطفئ نارى أبداً... ولن يطفئها بل زادها توهجاً واحمراً... ضمني بين ذراعيك في أحلامك... اذكريني في عرشك وسمائك...

* * *

ذهب عمر إلى شمس ومعه صديقه طارق واستقبلهم منصور كبير الخدم، وطلب منه عمر أن يخبر شمس بأنه ينتظرها وحده ولا يخبرها بوجود طارق معه، فصعد لها منصور وطلب عمر من طارق أن يختفي في أي مكان فدخل طارق إلى غرفة مكتب حاتم دون أن يعلم ذلك، وبعد مرور عشرة دقائق نزلت شمس لاستقبال عمر فجلسا معاً وبدأ حديثه معها قائلاً:

- كيف حالك يا حبيبتى؟ هل أنت على ما يرام اليوم؟

- شمس: الحمد لله على كل شيء.

- عمر: الحمد لله... أود أن أتحدث معك في أمرٍ ما؟

- فنظرت له شمس نظرة ذات مغزى: خير.

- عمر: طارق كان يريد...

- فتقاطعه شمس بانفعال: لا أريد أن أسمع اسم هذا الحيوان مرة

أخرى يا عمر.

- عمر يحاول السيطرة على نفسه: شمس يا حبيبتى كل ابن آدم خطأ

وهو صديق عمري، وأنا أعلم أنه غبي غباء عرضه في طوله يساوي مساحة

الأرض، ولكن تصرفه هذا كان نابعاً من تلقائيته التي تجلب لي وله دائماً المصائب.

- شمس ساخرة: وأنت بهذه البساطة تريد مني أن أنسى أنه كان السبب في دخول أخي السجن ليفتضح أمره بعد ذلك أمام الدنيا بأكملها... احمد ربنا يا عمر أني لم أخيرك بيني وبينه.

- عمر: شمس يا حبيبتى... لقد كنتِ دوماً طيبة القلب معي وسامحتيني كثيراً في أخطاء كبيرة... وطارق كان مجرد سبب في قدر ربنا كتبه لحاتم أخيك، ونحن جميعاً ممثلون في مسرح الدنيا ننفذ الأدوار التي كتبها لنا الله بإرادته هو... فلا أحد منا يستطيع تغيير قدره لكي لا يُحزن منه صديق أو زوجة أو حبيبة أو أخ أو حتى أب وأم... وغير ذلك حتى لو طارق لم يفعل ما حدث لأخيك بسببه... كان هناك ناس آخرون تبحث في ملفات أخيك... استخدمني عقلك يا شمس وليست مشاعرك... دينا أنهت علاقتها بطارق لأنها غير قادرة على مواجهة ياسمين صديقة عمرها بعدما حبيبها أفقد هذه حبيبها وأنا دائماً غير قادر على النظر إليكن اثنتين؛ لأن صديق عمري كان سبباً من أسباب هلاك أخيك وحبيبها... إذا أنت سامحتِ طارق سيكون لك تأثير على ياسمين أن تسامحه، وإذا سامحته ياسمين أيضاً ستؤثر على دينا كي تعود له... أنت لا تتخيلي كيف أصبحت حالته، بالأمس كانت المرة الأولى بحياتي التي أرى بها طارق في حالة انهيار كهذه... كان يبكي وكان قلبه يحترق... هذا غير أننا جميعاً افترقنا ولم نعد نرى بعضنا بعدما كانت تربط بيننا صداقة جميلة... يا شمس... إن الله يغفر ويسامح فكيف نحن لا نسامح إذاً.

فصمتت شمس لحظات ثم نظرت لعمر وهزت رأسها بالموافقة والدموع تنحدر من عينيها، فربت على كتفيها وأخذها بين أحضانها وفجأة

سمع دوى صوت شديد كأن شيئاً ارتطم بالأرض، فركض عمر وشمس تجاه مصدر الصوت الذي صدر من غرفة مكتب حاتم والتي اختبأ بداخلها طارق وعندما فتحوا الباب صمتوا وكان على رؤوسهم الطير.

استيقظت ياسمين بعد غفوة من قراءة مذكرات حاتم وأحست أنها تحتاج أن تخرج تنسم بعض الهواء، فقررت أن تأخذ شاور وتذهب إلى شمس تجلس معها وعندما نزلت إلى ردهة الفيلا وجدت والدها يتصفح بعض الجرائد، فقابلها بابتسامة عذبة وقبلها، فابتسمت له في حزن فسألها أين ستذهب، فأجابته بأنها سوف تمشى قليلاً ثم تذهب إلى شمس أخت حاتم وتأخذها ليذهبها إلى أي مكان، فابتسم والدها بحنان ولم يرد أن يعكر صفوها بعدم موافقته لعلاقتها بأخت حاتم من جديد، ولذلك تركها تفعل ما تشاء حتى تعود إلى طبيعتها، ثم استقلت سيارتها واتجهت إليها.

ظل عمر وشمس يحدقان في طارق في دهشة من هول المفاجأة ثم سألته شمس:

- ما هذا الذي أرى؟... كيف توصلت لهذا المكان؟

فمن شدة دهشة طارق ظل صامتاً بعض لحظات ثم أجاب:

- لقد كنت أنتظر هنا إلى أن يقنعك عمر بأن تسامحيني ثم جلست على هذا المكتب، ولقد أثار انتباهي هذا التمثال فحاولت انتزاعه من مكانه ولكن وجدته يتحرك حول محوره في نصف دائرة وكأنه يسير على قضيب، فتركته فعاد إلى مكانه فأعدت هذه المحاولة أكثر من مرة ولكنه كان يعود

في كل مرة إلى مكانه مرة أخرى ولكن عندما قمت بتحريكه في دائرة مغلقة صدر صوت بسيط، وفجأة وجدت هذا الجزء من المكتب ينسبط أمامي وظهر اسم ياسمين محفور كما هو ظاهر أمامكم وبه مجرى يتحرك بها التمثال داخل فراغ الاسم، وعندما قمت بتحريك التمثال إلى الحرف الأخير بالاسم فوجئت بالمكتبة تنقسم إلى نصفين، ووجدت أيضًا بودرة بيضاء أحدثت انفجارًا قويًا تناثرت حولي وكان هذا صوتها الذي سمعته، وبدأ كل جزء من المكتبة يتحرك في اتجاه معاكس للآخرن أحدهم يمين والآخر يسار وظهر هذا المكان.

وبينما هو يحدثهما سمعوا صوت جرس باب الفيلا ففتحه منصور الخادم فوجد ياسمين فسمح لها بالدخول، وسألته عن شمس فأجاب بأنها مع عمر وطارق في غرفة مكتب حاتم، وسارت تجاه الغرفة وفتحت الباب ودهشت نفس دهشة عمر وشمس وطارق وظلوا يتحدثون في بعضهم لحظات، ثم دخلت ياسمين إلى الغرفة وأغلقت خلفها الباب وسألته ماذا حدث فأعاد طارق سرد ما حدث مرة أخرى على سمعها، وظلوا في جمود أمام ما كشف عنه انقسام المكتبة، فقد كان عبارة عن غرفة صغيرة عرضها يكاد يكون ثلاثة أمتار وطولها متر واحد فقط، ويتوسط الجدار المواجه لهم باب ضخمة معدني يبرز منه مجموعة تروس معشقة بعضها البعض، ولها يد تشبه ذراع الحركة في السيارة وكأنه بالضبط صندوق تروس متعشق ببعضه انتزع من سيارة، وبجواره شاشة إلكترونية عريضة تشبه شاشة التلفاز من الحجم الصغير وبالزاوية اليمنى لها مكان لبصمة العين، ثم اقتربوا جميعًا من هذا الباب ودخلوا الغرفة رغم صغر مساحتها وعبث طارق باليد التي تشبه الذراع ولكن...

استطاع زيكو من أول يوم جذب انتباه أعضاء المنظمة مما أبداه من سرعة ودقة في خلط العقاقير ببعضها، وإنتاج العقار الثالث منهما بكمية كبيرة في فترة زمنية لا تتجاوز النصف ساعة وبأدوات بسيطة وبدائية، ودون الاحتياج إلى معامل جاهزة، مما دعا نائب الزعيم إلى أن يطلب منه إنتاج العقار الثالث بكمية أكبر للتأكد إذا كان هذا ممكناً في وقت قصير، وهل له نفس التأثير كلما زادت الكمية بهذا الأسلوب الذي يستخدمه وهذه الأدوات، واستغرق هذا الأمر ساعتين منه ولأشد ما كانت دهشة الأعضاء عندما وجدوا نفس التأثير باختلاف حجم الكمية المنتجة، وانفجرت أساريهم وبقي القرار الأخير للزعيم وحده.

* * *

عندما قام طارق بتحريك الذراع الطولي لمجموعة التروس بحركة عشوائية، أغلق جزأ المكتبة بقوة وبدون إنذار عليهم، وسجنوا جميعاً داخل الغرفة فانفعل عمر قائلاً:

- ما هذا الذي فعلته أيها الغبي؟ هل طلب منك أحد أن تعبت بشيء؟
- طارق ببراءته المعهودة: لم أكن أقصد ذلك.
- فانفعلت ياسمين بقوة: يكفي ما فعله بنا كيف سنخرج الآن؟ لم تحدث مصيبة إلا وكنت أنت سببها، لا يوجد هواء كافياً سنموت مختنقين.
- شمس محاولة تهدأتهم: هدّثوا من روعكم يا أصدقائي... عمر
- اتصل بعم منصور واطلب منه أن يأتي ويحرك التمثال، والمكتبة بالتأكيد ستفتتح إن شاء الله.
- عمر: ولكن ليس معي رقم هاتفه.
- طارق: اتصلوا بأي إنسان آخر.

- ياسمين: سأتصل بأبي، ثم تخرج هاتفها فلا تجده متصلاً بالشبكة ثم ينظر عمر إلى هاتفه فيجده أيضًا منقطع عن الشبكة وكذلك طارق أما شمس فقد كان هاتفها بالغرفة.

- شمس: وما العمل إذًا؟ لقد بدأت أختنق.

ثم حاولت ياسمين أن تضرب الباب بكلتا يديها وقدميها حتى يسمعها منصور الخادم ولكن دون جدوى فقالت نافذة الصبر:

- سأرسل رسالة على الماسنجر لصديقتي ربما تصل إليهن.

وأرسلت بالفعل ولكن دون جدوى ثم حاولت مرة وثانية وثالثة، وحاولت أن تتحرك في عرض الغرفة ربما يتصل الهاتف بالشبكة، ولكن لم يظهر لديها شيء ثم اقترح طارق اقتراحًا قائلًا:

- ما رأيكم أن نعبث بهذا الشيء ربما تفتح المكتبة مرة أخرى أو يفتح باب القلعة هذا.

- فانفعل عمر قائلًا: أرجوك... ابق ساكنًا بمكانك ولا تعبت بشيء، ليس هناك داعٍ لمزيد من المصائب.

- ولكن لم يصغ طارق له وحاول تحريك الذراع مرة أخرى ولكن هذه المرة تحرك على شكل مثلث فأضاءت الشاشة الإلكترونية وتحدثت قائلة:

- من فضلك إذا كنت تريد أن يفتح لك الباب أجب على الأسئلة التالية.

- فنظر له عمر قائلًا: الله يخرب بيتك وبيت معرفتك.

- طارق منفعلًا هذه المرة: ألم يقل الرد الآلي جابوب على الأسئلة لكي يفتح الباب؟ ما الخطأ الذي ارتكبته الآن؟

- ياسمين منفعلة: حسناً اصمتوا لكي نسمع ماذا يقول؟
وظهر أول سؤال على الشاشة وظهرت لوحة المفاتيح باللمس أسفله
للإجابة وكان ما هو اسم آخر أبناء كليوبترا ومن كان والده؟
- فصفع عمر نفسه بالقلم قائلًا: هل تعلمون الإجابة؟
- ياسمين: لن يفيدنا في هذا الأمر غير لارا، ولكن كيف سنعثر عليها
الآن؟ ثم نظرت إلى هاتفي مرة أخرى وعندما لم تجده متصلًا بالشبكة
كدفت به بقوة في انفعال إلى الأرض حتى تحطمت شاشته وتناثرت أجزاؤه.
- فتحدث طارق قائلًا: ألم يكن أنطونيو هو آخر إنسان تزوجته
كليوبترا؟

- شمس: بلى، ولكن هذا لا يعنى أنها أنجبت منه.
- طارق: حسناً أجيبي على السؤال لنرى ما سيحدث؟
- عمر منفعلاً: لا، أرجوكم لربما هناك مصيبة أخرى لا نعرفها.
- شمس بانفعال: ماذا سيحدث لنا أكثر من هذا يا عمر؟
فأجابت شمس على اسم الابن والأب بإجابة خاطئة وفجأة ومن
فوق رؤوسهم ظهر ثقبان عن اليمين واليسار، وخرج منهما سلاحان أليان
مصوبين إلى الأسفل أي تجاههم ثم تحدثت الشاشة قائلة إجابة خاطئة
فانفعلت ياسمين قائلة:
- لا لا لا لا لا... يكفي هذا أرجوكم فأنا ليس لدي مشكلة أن أموت
مختنقة... لكن ما أبقاش عاملة زي المنخل... هذا مثل لعنة الفراعنة... الله
يسامحك يا حاتم.

ومرت ساعتان بدأ ينفذ خلالها الهواء من الغرفة وجلسوا جميعهم
القرفصاء وأصابهم الإعياء وتصبب العرق من جبينهم، حتى فقدت ياسمين

وعيها وحاول عمر متثاقلاً أن يعيد لها وعيها ولكن دون جدوى، حتى دوى صوت انفجار وانقسمت المكتبة وكشفت عن مكوناتها وصرخت دينا ولارا وندى من قوة الصوت، وكانت دهشتهم حينما رأوا طارق وعمر وشمس وياسمين جالسين في الأرض فركضن نحوهم دينا ولارا ثم ركضت ندى تنادي منصور الخادم ليحضر لهم كوباً من المياه، وحملت كل من دينا ولارا ياسمين ووضعوها على الأريكة وأتت ندى بكوب المياه ثم سكبت قطرات منها على وجه ياسمين وحاولت لارا أن تضع بعض العطر أسفل أنفها حتى تفيق، وبدأت تستعيد وعيها رويداً رويداً وتناولت جرعة من كوب الماء وتحامل كل من طارق وعمر وشمس على أنفسهم ثم اتجهوا نحوهم وجلسوا بجانبهما على المقاعد المحيطة بهم، ومرت نصف ساعة بدأ كل منهم يهدأ ويسترد وعيه من جديد حتى أفاقت ياسمين تماماً وقالت:

- الحمد لله... أعتقد أنه كان متبقي بضع دقائق ونكون في عداد الأموات، هل استلمتن رسالتي؟
- دينا: رسالة!! ماذا تقصدين؟
- ياسمين: لقد أرسلت لكن أنتن الثلاثة رسالة لتأتن وتقذوننا.
- فنظر ثلاثتهن إلى بعضهن قائلات في نفس الوقت: هل جاءت إحداكن أي رسالة؟
- فيجيبن جميعاً بالرفض فتندهش ياسمين: وكيف علمتن إذاً أننا هنا؟ وكيف فتحتن هذا المكان؟

- دينا باندهاش: لقد اتصل بي والدك منذ ساعتين تقريباً واتصل أيضاً بـ(ندى) ولارا وقال لكل واحدة منا أنه اتصل بالأخرى وقال لنا: إن الحمد لله حالتك النفسية تحسنت وذهبت إلى شمس، وطلب منا أن نذهب

لكما لكي نأخذكما إلى أي مكان، ونرفه عن أنفسنا حتى لا تبقيا بالمنزل أنتِ وشمس وحدكما وتسوء حالتك النفسية مرة أخرى.

- ياسمين: ولماذا تأخرتن كل هذا الوقت؟

- لارا: إنه ازدحام الطريق كالعادة.

- عمر: ولماذا عبثتم بهذا التمثال؟

- ندى: عندما دخلنا إلى الفيلا وسألنا عم منصور عن شمس وياسمين قال لنا أنكم أيضًا هنا معهما ومجتمعين في غرفة حاتم، وحينما دخلنا الغرفة ولم نجدكم عدت إلى عم منصور فأقسم لي أنكم كتمت هنا وتركني، فعدت للغرفة فوجدت لارا تمسك بهذا التمثال ولا تعرف كيف تقتلعه من مكانه، ثم قالت لي أنه ربما يكون مكسورًا؛ لأنه ليس ثابت بمكانه، فحاولت أن أقتلعه أنا فوجدته تحرك حول نفسه والمكتب خرج منه هذا الجزء وبه اسم ياسمين وبه مجرى صغير، فبالطبع أثار فضولي فحركته داخل الاسم إلى أن حدث ما حدث.

- عمر مندهشًا: أتعني أنك لو لم تكوني معهن كنا بقينا هنا لأبد

الأبدين.

- فتتظر له لارا شذرًا: أتقصد أنني غيبية؟

- فتبتسم شمس: حسنًا نحن الآن نريد أن نعرف ماذا يُخفي لنا هذا

الباب خلفه؟ ولماذا حاتم فعل كل هذه الاحتياطات؟

- ياسمين منفعلة: لا، لا،... لا أريد أن أعرف، يكفي ما حدث لنا.

- شمس بحزن: ربما ترك لنا ذكريات جميلة بالداخل.

فتشرد ياسمين لحظات وتتلأأ الدموع في عينيها فتتحدث ندى

مسرعة:

- لا داعي لهذه الدموع، لقد انتهى الماضي، هيا بنا نرى ما بداخل هذه القلعة.

- وبالفعل قاموا لدخول الغرفة ولكن استوقفهم عمر قائلاً: لا بد أن نضع حاجزاً بين جزئي المكتبة... ثم أحضر الطاولة الصغيرة المخصصة لطعم الأتريه بغرفة مكتب حاتم ووضعها بينهم.

- فقالت له دينا: ولكنها صغيرة يا عمر والفراغ بين الجزئين كبير.

- عمر: وما المشكلة إذًا؟ وإذا افترضنا أنهما أطبقا على بعضهما هذه الطاولة ستمنعهما.

- شمس: دينا لديها حق يا عمر وأنت رأيتهما كيف يطبقان على بعضهما بقوة فهناك احتمال أن تنكسر الطاولة وتنغلق رغم ذلك المكتبة.

- دينا: أنا رأيت أن نأخذ الأريكة الخاصة بالأتريه وأعتقد أنها نفس مقاس الفتحة لربما لو أغلقت تمنعها.

- عمر: حسناً كما تريدون. وبالفعل أراحوا أريكة الأتريه ووضعوها بين الجزئين وكانت تنقص عن المسافة ما بينهم بضع سنتيمترات يميناً ويساراً.

- وقبل أن يدخلوا الغرفة قال عمر إلى لارا: هذه الشاشة تعرض أسئلة تقريباً فرعونية لكي يفتح هذا الباب فليس بيننا أحد غيرك يا قاموس الحضارة كفاء لهذا الأمر.

- فتبتسم لارا: شكراً شكراً... أخجلتم تواضعنا.

ودخلوا جميعاً إلى الغرفة مصطفين بجانب بعضهم ولمست شمس الشاشة الإلكترونية فاستجابت لها وأعدت على مسامعهم نفس المقدمة ونفس السؤال مرة أخرى، من هو آخر أبناء كليوبترا ومن والده؟ فضغطت لارا على أزرار لوحة المفاتيح بأن الابن هو قيرون والأب هو يوليوس قيصر.

السؤال التالي متى تم تشييد هرم خوفو وكم من الوقت استغرق تشييده؟

فأجابت لارا: تم تشييده عام ٢٥٦٠ ق.م (قبل الميلاد) واستغرق بناؤه عشرين عامًا.

السؤال الثالث ما اسم السفينة البريطانية التي شحنت على ظهرها لوحات متحف البارثينون ومن هو المسئول عن ذلك وما رتبته؟
فصمت لارا بضع لحظات فنظروا لها جميعًا في قلق وقالت ياسمين:
ألا تعرفين الإجابة؟... نهرب.

- لارا محاولة التذكر: لا... إنني أعلم بعض المعلومات عن هذا الموضوع، لقد درسته بالجامعة ولكن ليس كما ينبغي... في ذلك الوقت كان الأتراك يحتلون اليونان وهذا المتحف كان من أهم المتاحف هناك، ثم قامت الحرب بين بريطانيا والأتراك لكنني لست متذكّرة في أي عام كان هذا الحدث، وسرقوا من هذا المتحف لوحات فنية رسمت ورصعت بأحجار المرمر والياقوت وبعضها كان من الألماس، فكانت قيمتها التاريخية والمادية كبيرة جدًا هذا غير إن...

- فقاطعتها ندى: ليس هذا وقت القصص يا أبله نفرتيني أجيبني عن

السؤال؟

فأجابت لارا بأن اسم السفينة (المتور) واسم المسئول هو (جين) ورتبته (السير البريطاني).

وفجأة انشقت الأرض من أسفل المسافة الفاصلة بين جزئي المكتبة وسقطت الأريكة في الفراغ وحاولت ياسمين القفز عابرة إلى غرفة مكتب حاتم، ولكن احتضنها طارق بقوة ليمنعها من الحركة؛ لأنه في هذه اللحظة انطبق الجزئين على بعضهما في قوة كان من الممكن أن يكون في هذا سحق

عظام ياسمين بالكامل، وأجابت الشاشة الإلكترونية بأن اسم المسئول خطأ
وهدأت ياسمين ثم نظرت لطارق بامتنان:

- شكرًا لك.

فابتسم طارق ابتسامة خافتة دون أن يجيب بشيء وقالت ندى
لـ(لارا):

- ربنا ينتقم منك، دائمًا متمصصة دور عم جاليليو وأنت لا تفقهين
شيئًا.

- فتنفعل لارا: وأنت أيضًا ليس لديك مخ.

- شمس محاولة السيطرة على أعصابها: يا جماعة أرجوكم
كل دقيقة مهمة وهذه المرة لن ينقذنا أحد، أرجوكم اهدءوا لكي تتزن
أفكارنا.

- عمر: أرجوكم يا لارا أعيدى ترتيب أفكارك مرة أخرى جيدًا.

- لارا: يا جماعة بالله هذا اسمه بالفعل أنا متأكدة... أنا لا أعرف
كيف يجيب الرد الآلي بأن الإجابة خاطئة، انتظروا لحظات سأبحث عنه
على الإنترنت.

- ياسمين منفعلت: هذه هي المصيبة لا يوجد شبكة هنا.

فتحاول لارا مرة أخرى أن تعيد كتابة الاسم ولكن هذه المرة ظهر من
فوق رؤوسهم ولكن في الاتجاه المقابل لهم ثقبان أيضًا عن اليمين واليسار،
وخرج منهما سلاحان آليان مصوبان إلى الأسفل أي تجاههم ثم تحدثت
الشاشة قائلة إجابة خاطئة فصرخ طارق قائلاً:

- الله أكبر... ما يصحش كده... لا أريد أن تكون هذه نهايتي
أرجوكم.

- فانفعلت شمس هذه المرة قائلة: ماذا حدث لك يا لارا؟ أرجوك تذكرى الاسم جيدًا هل هناك حرف زائد أو ناقص أي حرف خطأ؟ كيف أنت واثقة هكذا؟ وهذه الشاشة تقول أنك مخطئة.

- لارا بتوتر: أنا يساورني الشك أن هناك حرفين ناقصين ولكنى خائفة أن يكونا خطأ.

- ياسمين بصوت مرتفع: هذه المرة حتمًا سنموت لم يعد هناك مجال للمحاولة مرة أخرى.

وعندما لمست لارا الشاشة الإلكترونية أعادت نفس السؤال مرة أخرى وأجابت لارا نفس الإجابة ولكن وضعت قبلها حرفي (ال) فيصبح الاسم (الجين) فأغمض الجميع عيونهم، وفجأة دوى صوت ارتطام وخرج من جانبي دائرة التروس ذراعين باليمين واليسار واختفت الأسلحة، ثم نظروا جميعًا إلى بعضهم وزفروا زفرة ارتياح، فنظر عمر إلى هذه المجموعة ثم وجه حديثه إلى دينا قائلاً:

- أعتقد أن هذا الوقت وقتك يا دمشقي.

- فنظرت إليه دينا في ارتباك قائلة: وما علاقتي بهذا الشيء؟ إنها مجموعة تروس مترابطة ببعضها وليس لي دخل بها.

- ندى: أعتقد أنه إذا تم الربط بين ترس وآخر خطأ ليس بمكانه سنودع الحياة.

وبدأت دينا تزيد من تركيزها ونظرت إلى موضع الثلاثة أذرع وبروز الترس الكبير خارج المجموعة بحداقة وهي عبارة عن عجلة صغيرة تدور باليد تشبه العجلة المتواجدة بمؤخرة ماكينة الحياكة، ووجدت أمامه تروسًا متتالية في الحجم من الأكبر إلى الأصغر وفى نهاية كل ذراع مكان لتتداخل معه هذه التروس بتزامن محدد، فبدأت تلقي تعليماتها بأن طارق

سيبدأ بتحريك الترس الأكبر وفي لحظة محددة ستدفع هي بالذراع الأيمن إلى داخل مجموعة التروس ليتم التعشيق، وعند الذراع الأيسر سيقف عمر وعندما تطلب منه فعل مثلها يفعل بدون تأخير ويكمل طارق دوران الترس الأكبر دون توقف، وبالفعل بدأ طارق في العمل وعندما دار النظام الميكانيكي انتظرت دينا الترس المطلوب تعشيقه مع ذراعها وعندما جاءت دورته دفعت بذراعها، ثم قالت مسرعة لعمر أن يدفع بذراعه وبالفعل دفعها عمر وأكمل طارق دورة الترس الأكبر حتى زادت سرعة الترس فجأة، وفقد طارق السيطرة عليه فرفع يده عنه وتدافعت التروس متتالية تختفي داخل الباب الحديدي حتى سكنت وصدر صوت صرير الباب وهو يفتح، وعندما فتح جلست دينا القرفصاء واضعة يدها على قلبها فابتسموا جميعاً إلى بعضهم ولكن برقت عيونهم فجأة من هول ما رأوه... فقد أضاء المكان الذي أفصح عنه الباب بالكامل وكان له سلم يتكون من عشرة درجات وكأنه قبر، ولكن اشتدت دهشتهم لما وقعت عليه أعينهم فقد كان هذا المكان وكأنه مقبرة أثرية بالكامل، فكان بريق الذهب والفضة يتلألأ في الأضواء وتمائيل الفراعة منتصبة في أماكن كأنها صممت لها، فقد كان المكان مصمماً بالكامل وكأنه متحف فرعونى شيد لأحد الملوك، وكان ارتفاعه من أسفله إلى أعلاه يكاد يكون خمسة عشر متراً ومن شدة دهشة ندى قالت:

- هل كان حاتم يتاجر أيضاً في الآثار؟

- فقالت شمس وهي في ذهول من هول المنظر: هذه ليست تجارة

ولكن جنون حب التاريخ.

فقالت لارا وهي مندهشة من بريق الآثار الملفت للنظر:

- هناك ناس يكونون مهوسين بجمع الآثار ونطلق عليهم

(Collecters) أي جامعي الآثار.

ومن شدة إعجاب لارا بما رآته عيناها هبطت درجات السلم في
ذهول وتبعها كل أصدقائها لاكتشاف هذا الكنز، وعندما وصلوا لآخر درجة
ودخلوا إلى هذا المكان جميعهم أغلق الباب بقوة فانفضوا جميعاً وانفعل
عمر:

- لقد انتهينا.

فلم يلتفت أحد منهم إليه وسار كل واحد منهم إلى القطعة الأثرية
التي خلبت لبه، وكأنهم نيام أو تحت تأثير قوى جاذبية روعة هذا الفن
العظيم، وظل عمر واقفاً يتابعهم ثم جذب طارق من قميصه قائلاً:

- أين أنت ذاهب؟ فكر معي كيف سنخرج من هذه المصيبة؟

- طارق ببلاهة: ربك يحلها من عنده، دعني أذاعب هذا الكنز
بأناملي.

وبالفعل ذهب طارق خلفهم وجلس عمر مكانه على إحدى درجات
السلم يراقب المشهد من بعيد وبدأت لارا تتفحص الآثار قائلة:

- هذا تمثال يوليوس قيصر الذي صنعه كليوبترا خصيصاً له لأنها
أحبته بشدة ثم وضعته في مقدمة القصر الخاص بها لحين عودته من روما
ليتفاجأ به، وهو مصنوع من المرمر والزمرد وعيونه من الأحجار الكريمة
وسُرق من القصر عندما هجم أوكتافيوس على مصر وانتصر على جيش
أنطونيوس في معركة أكتيوم البحرية، وعندما اختفى هذا التمثال لم يستدل على
السارق أو أين أخفاه؟ وكانت تنظر إلى التمثال بدهشة كأنها تلتهمه بعينها،
وكانت ياسمين تحديق بتمثال ضخم يجسد الملكة نفرتيتي فقالت:

- لارا... أليست هذه نفرتيتي.

فذهبت لارا تجاهه مندهشة من حجم التمثال وتصميمه والأحجار
التي صنع منها قائلة:

- بالتأكيد هو... ولكن... لكن كيف استطاع أن يجلب تمثالاً بهذا الحجم بدون أن يعلم أحد... هذا التمثال مصنوع من حجر الجرانيت الأحمر ولا يتواجد هذا النوع إلا بأسوان.

وكان تمثال نفرتيتي واقفاً في حركة تضرع إلى السماء رافعاً يده وبها ياقوتة حمراء فجذبت انتباه ياسمين هذه الياقوتة فأخذتها من يد التمثال، وفجأة انقسمت بطن التمثال نصفين في حركة نصف دائرية يميناً ويساراً وكشف عما بداخله، فنظرت لارا وياسمين إلى بعضهما في دهشة، فقد كان داخل التمثال صندوقاً كبير الحجم على شكل زهرة اللوتس، فحاولت لارا أن تأخذه ولكنه كان ثقيل جداً، فحملته بكلتا يديها ووضعته على الأرض وهي في حالة دهشة عارمة مما تراه، فقد كان هذا الصندوق لا يشبه زهرة اللوتس فقط بل كان السطح الخارجي له مغطى بزيت زهرة اللوتس الذي يمنع التصاق الغبار أو أي جسم آخر يلتصق بأي سطح يكسوه هذا الزيت، ثم فتحت الصندوق هي وياسمين ووجدتا بداخله مذكرة كتب على غلافها (أيامي معها) وورقة من البردي الأصلي الذي كان يستخدمه الفراعنة في تسجيل تاريخهم مطوية لحالها، فنظرنا الاثنان إلى بعضهما وأخذت ياسمين المذكرة وفتحتها وقرأت في أول صفحاتها تفاصيل أول يوم التقت فيه بحاتم فعرفت أنها المقصودة بكلمة معها، وعندما فتحت لارا الورقة المطوية وجدت رموز فرعونية وهي التي كان يستخدمها الفراعنة في الكتابة والنقش على الأحجار، فأخذتها ووضعتها بحقيبتها ثم سارت بين أصدقائها فوجدت طارق يلهو ببعض الأحجار الكريمة وأخذ عقداً للملك أممحات الرابع ووضعته حول عنقه من شدة بريقه وجماله، فشرحت له أنه مصنوع من العقيق الأحمر وتتوسطه قلادة بها حجر البريل وهو نوع من الأحجار الكريمة أخضر اللون كان يستخدم في تزيين أدوات الملوك، ثم انتقلت حيث كانت ندى فوجدتها تنظر إلى بعض اللوحات الأثرية التي سرقت من متحف

البارثيون، فقالت لها إن هذه هي اللوح التي غرقت في السفينة البريطانية أثناء قيام الحرب بين الأتراك والبريطانيين، والتي استخدم في رسمها المرمر والألماس وعندما وجدتها تتحسس رأس تمثال كان بجانبها قالت لها إنه للملك تحتمس الثالث، وكانت مصنوعة من اللازورد وهو حجر كريم تصنع منه المجوهرات والتمائيل الصغيرة ورؤوس التماثيل أيضًا، وكانت العين مصنوعة من الفيروز المستخرج من صحراء سيناء، وكان عمر يراقب الموقف في ملل وهو جالس مكانه، وكانت شمس واقفة أمام تمثال كليوبترا وهي مرتدية تاجًا من الذهب الخالص وفي مقدمته رأس أفعى الكبرى وعيون الثعبان كانت من الألماس، فخلب لبها هذا التاج فرفعته من على رأس كليوبترا وارتدته وفجأة اهتزت جدران المكان من حولهم.

الفصل الثاني والعشرون

حاول نائب الزعيم التواصل معه أكثر من مرة ولكنه لم يجد منه أي استجابة؛ فاتخذ القرار بنفسه وقام بتحضير كل الإمكانيات المطلوبة لزيكو كي يستطيع الانتهاء من تحضير أكبر كمية ممكنة يمكن طرحها في السوق خلال الفترة المقبلة، وقرر أن يكون هذا المكان في مقرهم السري الذي يجتمع فيه أعضاء المنظمة حيث إنه يعتبر مكانًا آمنًا حتى الآن ومن الصعب أن تصل إليه الشرطة كسابقه حيث إنها اعتقدت أيضًا أنها استطاعت تدمير كل ما لديهم، وذهب زيكو بالفعل مع نائب الزعيم إلى التجمع ودخلا إلى فيلا راقية في أحد أحياء التجمع الخامس، ثم دخلا إلى ردهة الفيلا واتجها صوب الحمام وطلب النائب من زيكو أن يدخل ويغلق الباب خلفه، فارتاب زيكو في الأمر وحاول أن يتراجع فطمأنه نائب الزعيم قائلاً:

- لا تخف... هنا المدخل الذي سنعبّر من خلاله إلى المكان الذي أخبرتك عنه.

فاضطر زيكو إلى الإذعان رغماً عنه، وبالفعل وجد نائب الزعيم يحرك يد صنوبر المياه الذي فوق الحوض المخصص للاستحمام في عكس اتجاهها، ففتحت قطعة من السيراميك وكشفت عن شاشة بداخلها خاصة ببصمة الصوت، ثم فجأة رفع الحوض الخاص بالاستحمام من الجهة اليسرى برافع هيدروليكي وظهر أسفله درجات سلم بدأ يهبط منها نائب الزعيم وزيكو خلفه ووجد نفسه معه في نفق مظلم وعلى يمينه مصدر

إضاءة أحمر اللون، ووجد نائب الزعيم يتلمس جزءاً محدداً من الجدار بكف يده فأضاءت لمبة خضراء وكشفت عن لوحة إلكترونية داخلية خاصة ببصمة العين ظهر منها ضوء خافت فنظر إليها حتى تستطيع التقاط البصمة، وعندما أضاءت بالضوء الأخضر ظل منتظراً بضع ثوانٍ ثم أعطها كلمة سر حتى تفتح له النفق؛ لأنه لن يفتح أبوابه إلا إذا أخذت باقي بصمات أعضاء المنظمة ولن يأتي أحد منهم اليوم، فكان هناك خيار آخر هو وضع كلمة سر في النفق الخاص بالزعيم ونائبه ولا يعرفها أحد غيرهم وشخص آخر، وبالتالي تم فتح الأبواب في نهاية الممرات وعبر منها النائب وزيكو إلى أن وصلا لغرفة مجاورة لغرفة الاجتماعات، ثم دخلاها فبهرت عين زيكو الإمكانات التي تم تخصيصها له، ولكن كان الفضول يقتل زيكو لوجود نقش لتمثال معين على الحائط المواجه للباب فسأل النائب قائلاً:

- ولكن يا ريس أنا لذي استفسار صغير.

- النائب: خير... تفضل.

- زيكو: ما هذا الرسم الغريب الذي بالجدار؟

- النائب: هذا رسم لتمثال الإله آمون... رمز المنظمة.

ثم يعطيه خاتماً عليه شكل فرعوني وهو لتمثال آمون فيأخذه زيكو في دهشة قائلاً:

- ما هذا سعادتك.

- النائب: هذا الخاتم يرتديه كل الأعضاء في المنظمة والذين يعملون معنا أيضاً.

- فيرتدي زيكو الخاتم قائلاً: اسمح لى سعادتك بسؤال آخر...

لماذا كل هذه الاحتياطات بصمة عين وصوت وكلمة سر هههه... هل هذه قاعة اجتماعات أم مغارة علي بابا؟

- النائب ينظر له بازدراء: لإحباط أي محاولة لاقتحام المكان، وإذا حاول أحد لن ينعم بذكائه طويلاً لأنه سيواجه عزرائيل قبل أن يصل لنا.
- زيكو مبتسماً: عدم اللامؤاخذه يا ريس أنا ذكائي محدود نوعاً ما... لم أفهم ماذا تقصد بعد؟

- النائب بضيق صدر: هل انتبهت للممرات التي أتينا منها؟
- زيكو: نعم، جميعها مظلمة ولم أر شيئاً، ماذا بها؟
- النائب: هذا هو المطلوب أن لا يرى أحد شيئاً لكي نصطاده في أول الممر وفي نهايته، إذا دخل إنسان غريب وبالطبع لن يكون له بصمة سيطلق عليه الرصاص مثل المطر لأنه مركب بها أسلحة آلية... وهيبقى عامل زي المنخل.

- فتجحظ عين زيكو قائلاً: معذرةً ساعدتك سؤال آخر.
- فينفع النائب قائلاً: أنت ليس لك حق أن تسأل عن شيء، أنت تنفذ ما سأمليه عليك فقط.

* * *

هوت قلوبهم جميعاً بين أقدامهم لعنف الاهتزاز الذي ارتج له المكان وبدأت المياه تتدفق من الجدران ومن أسفل الأرض وكأنها لعنة أصابتهم فانفعل عمر قائلاً:
- ما هذا؟... كل من أخذ شيئاً يُعيده مكانه.

وترك كل واحد منهم ما أخذه مكانه ما عدا لارا، فعندما ركضت تاركة ندى في اتجاه الصندوق لترفعه من الأرض وتضعه داخل بطن تمثال نفرتيتي وجدتها أغلقت ولم تعرف كيف تفتحها مرة أخرى، فأخذت ورقة البردي وأعادتها إلى الصندوق مرة أخرى لتحفظها وفي دقائق معدودة غمرت المياه

المكان ووصل مستواها إلى منتصف الجسد تقريبًا في ارتفاع متر، وكانت دهشتهم عندما لم يسقط أي تمثال من مكانه، فقد كان كل شيء كأنه مثبت بقوة في الأرض، وأعدت لارا فتح صندوق زهرة اللوتس وأخذت ورقة البردي لفك الرموز المكتوبة في الورقة لعله يكمن في معناها نجدتهم من الهلاك، ولكن دون جدوى فاضطرت لإعادتها مرة أخرى حفاظًا عليها وبدأت المياه تصل لأعناقهم فاقربوا جميعًا من بعض وتشبثت أيديهم ببعضها، وطلب عمر منهم جميعًا حيث كان ماهرًا في السباحة أن يتركوا أجسادهم تحملها المياه لكي يكتسبوا أكبر فترة ممكنة من التنفس، وظل منسوب المياه يرتفع وترفع معه أجسادهم فانهارت أعصاب ياسمين قائلة بانفعال:

- الماء في تدفق مستمر وبدأنا نقرب من السقف، ماذا نحن فاعلون؟

- فتحدثت ندى بهدوء: اهدءوا... الماء لن ينتهي تدفقها هذا إلا إذا عاد شيء ما إلى مكانه الصحيح، أو أن تصل لمنسوب محدد وتبدأ بعد ذلك في التراجع، عندما تكون نفذت الهدف المطلوب منها وهو إغراق من اقتحم المكان وحاول سرقة... هذا بالضبط مثل تفكير الفراعنة زمان عندما كانوا يحاولون دائمًا تأمين مقابرهم من السارقين، والناس أطلقت عليها بعد ذلك لعنة الفراعنة.

- دينا منفعلة: كفاية علم زفت... ليس هذا وقته... حتى واحنا بنموت كمان.

- لارا محاولة تهدئتها: اهدي يا دينا... ندى لديها الحق فيما تقول، هذا التفكير منطقي وبما أن حاتم كان مهووس بالتاريخ والآثار فبال تأكيد فكر مثلهم... المهم الآن حاولوا أن تهدءوا لكي تستطيع الرثة استيعاب أكبر قدر من الأكسجين.

- عمر: هذا الكلام صحيح، اهدءوا واصمتوا.

- ياسمين بانفعال: أنا لا أستطيع تخزين الأكسجين لفترة طويلة.
وفجأة أظلم عليهم المكان وأصبحوا كأنهم في قبر وبدأ الرعب يدب
في أوصالهم، وأصبح بين منسوب المياه والسقف ستيمترات قليلة وصاح
عمر فيهم جميعًا:
- استعدوا! استنشقوا أكبر قدر من الهواء... الآن.

وكان هذا بالفعل آخر نفس لهم وغمرت المياه كل شيء في ظلام
دامس لا يرون فيه شيئًا، كل ما استطاعوا فعله هو التثبيت بأيدي بعضهم
حتى يطمئنوا بترابطهم، ومرت نصف دقيقة أسفل الماء وبدأت ياسمين
تضغط على يد عمر بعنف ودينا تضغط على يد طارق وندى تضغط على
يد شمس، ومرت دقيقة كاملة ثم بدأ ضغط أيديهن يهدأ رويدًا رويدًا ومرت
دقيقة أخرى وزال ضغط أيديهم عن بعضها.

* * *

عندما أسدل الليل ستائره ولم تعد ياسمين إلى فيلتها بدأ قلب يس
المهدي يدق بعنف وتتسرب إليه المخاوف والظنون القاتلة والهجائس
التي تفتك بالعقل لما كانت عليها حالة ياسمين، وبدأ الاتصال بها ولكنها
لم تستجب ثم حاول أكثر من مرة ولكن دون جدوى، فحاول أن يتصل
بصديقاتها ولكن أيضًا دون جدوى فأخذ قراره دون تردد، واستقل سيارته
وذهب إلى فيلا حاتم ليطمئن على ابنته وعندما فتح له منصور الباب دفعه
يس بقوة قائلًا:

- أين ياسمين؟... أين ابنتي؟

- فاندشه منصور لهذا الفعل ثم أجاب قائلًا: مع الدكتورة شمس
وأصدقائها في غرفة الدكتور حاتم.

ثم أشار بيده إلى غرفة حاتم فاتجه صوبها يس وفتح أبوابها بقوة ولكنه لم يجد أحدًا، ووجد الغبار الأبيض الذي نتج عن انقسام المكتبة مثنوًا في الأرض فعصف به الرعب على ابنته، فخرج كالمجنون ممسكًا بياقة منصور في عنف قائلًا:

- سأقتلكم جميعًا إذا حدث لابنتي أي مكروه... أين ياسمين؟...
أين ابنتي؟ تكلم.

- فأجاب منصور في دهشة قائلًا: لا أعلم حضرتك!! لقد كانوا جميعًا مع بعض بالداخل.

- يس بانفعال جنوني: من هم؟

- منصور: دكتورة شمس ودكتور طارق ودكتور عمر وأنسة دينا ولارا وندى ياسمين بنت حضرتك، ولم يخرجوا منذ ذلك الوقت.

- يس: أنت كاذب... أنا سأبلغ الشرطة... أنا سأبلغ أعلى السلطات.
وخرج يس المهدي كالمجنون منطلقًا بسيارته ثم قام بالاتصال بقيادات ذي مناصب عليا في الشرطة والجيش لما كان له من علاقات معهم حتى يعثر على ابنته، وبالفعل في غضون نصف ساعة كانت قوات الشرطة تقتحم فيلا حاتم المهدي وقلبتها رأسًا على عقب ولكنهم لم يعثروا على شيء، وأخذت عينة من البودرة البيضاء لتحليلها وكانت نتيجتها أنها بودرة ناتجة عن مواد متفجرة تصيب القريب منها ببعض الحروق الجلدية والعمى المؤقت، وبدأ البحث أيضًا عن ياسمين في كل مراكز الشرطة والمستشفيات، ولكن كان كل ذلك بدون جدوى.

عندما شعر كل من عمر وطارق وشمس ولارا بأن أصدقاءهم نفذ من صدرهم آخر أنفاسهم، جذب كل منهم الشخص المشتبه به وحاول

معه أن يعطيه بعض الأكسجين عن طريق الفم حتى يبقوا على قيد الحياة، وبالفعل بدأ كل من ياسمين وندى ودينا يستردن وعيهن حتى وجدن رؤوسهن تطفو نسبياً فوق سطح الماء فسعلت كل منهن وبدأن يأخذن أنفاساً متلاحقة من الهواء، واستمرت قلوبهن تدق بعنف وبدأ منسوب المياه في الانخفاض رويداً رويداً حتى وجدوا أقدامهم تلامس أرضية الغرفة من جديد، وهدأت أنفاسهم قليلاً حتى اختفت المياه تماماً كما كانت، ولكن بقي المكان مظلمًا بالكامل واستلقى كل منهم بجسده على الأرض في محاولة لتهدئة النفس، ولم يعرفوا كم من الوقت مر عليهم وهم في حالة استرخاء ولم ينطق أحدهم خلالها بكلمة، وبعد أن ردت إليهم الطمأنينة قالت ياسمين في خفوت:

- أعتقد أننا سندفن جميعاً هنا.

- ولم تلتق ردًا من أحد غير عمر قائلاً: المصيبة الآن أصبحت اثنتين، لا نعرف كيف سنخرج من هنا؟ ولن نستطيع البحث عن أي شيء يساعدنا في الخروج من هنا، وبالتأكيد هو اتفنا جميعاً أصابها عطب.

- فبدأ طارق يستجمع شتات أفكاره قائلاً: أتمنى أن يكون المصباح الضوئي الذي معي يعمل.

ثم أخرجه من جيبه وأفرغ منه البطاريات وبدأ في تنظيفها من الماء بقوة وتنظيف الكشاف أيضًا جيدًا، ثم أعاد تركيبه وقام بتشغيله وبالفعل أضاء معه فهدأت نفوسهم جميعًا واعتدلوا جالسين على الأرض ناظرين إلى بعضهم في شرود، فقالت ندى بعد فترة من الصمت:

- وماذا بعدُ إذًا؟ هل سنظل ننظر إلى بعضنا هكذا إلى أن تنتهي البطاريات؟

- فقال عمر بكل هدوء: أنصتوا لي يا أصدقائي، لم يعد لدينا الآن أي

احتمال للخطأ، كل واحد منا سيبدأ البحث في هذا المكان على منفذ نستطيع الخروج منه وبدون بدووون أن يمس أحدنا شيئاً.

- لارا: ولكن يا عمر... هذا الصندوق به ورقة بردي من أيام الفراعنة وكتبت أيضًا بنفس لغتهم الهيروغليفية، ومحتمل أن تكون هذه الكتابة بها اللغز ومفتاحه الذي نفذه حاتم بهذه البراعة.

- عمر: هذا لا يمنع أن يبحث كل منا في اتجاه، وأنتِ تبدئين في تفسير هذه الطلاسم... ولكن أتمنى أن تكون الورقة سليمة ولم تؤثر عليها المياه.

- لارا مبتسمة: لا تقلق هذا الصندوق دُهِنَ بزيت زهرة اللوتس الذي يمنع التصاق أي شيء بالجسم الذي دُهِنَ به.

- شمس: ولكنكم نسيتم أهم شيء... نحن لسنا معنا غير مصباح واحد وهذا يعني أننا سنبقى جميعًا بجوار لارا إلى أن تنتهي من حل هذه الرموز أو واحد منا يأخذ المصباح ويبدأ البحث به.

- ندى: أنا أفضل يا أصدقائي أننا نجلس بجوار لارا إلى أن تنتهي من حل الرموز، ولو لا قدر الله لم يكن بها شيء يفيدنا يبدأ كل واحد منا البحث في مكان مرة بعد أخرى.

وبالفعل جلسوا جميعًا بجوار لارا وهي تحاول حل رموز الفراعنة إلى اللغة العربية وقد جذبت انتباههم جميعًا في فك الرموز بسرعة مذهشة، وبدأت تتضح معالم الكلمات وحين انتهت بدأوا في تجميع الحروف ونتج عنها ثلاثة جمل فقط الأولى: (مظعلاً روتالديكتا) والثانية: (سمشال اندموع قورش) والثالثة: (نيتالفن)، وعندما انتهت لارا من هذه الترجمة نظروا إلى بعضهم في تعجب وقال طارق:

- ما هذه اللوغاريتمات؟! ... هل أنت متأكدة من هذه الترجمة؟!

- لارا بكل ثقة: بالتأكيد هذه الأحرف أنا أحفظها عن ظهر قلب.
- شمس بابتسامة صفراء: جمعي شتات أفكارك جيدًا يا لارا يا حبيبتي لربما يكون هناك شيء غير صحيح مثل المرة السابقة.
- لارا: بالله هذه المرة أنا بالفعل متأكدة من كل حرف كتبت.
- ياسمين بانفعال: هذه الأحرف الغريبة ليس لها أي علاقة بلغة في الكون.
- فانفعلت لارا: هذا ما أعرفه وإذا كان لديك خبرة بها فتفضلي ترجميها أنت.
- ولأول مرة تفقد ندى هدوءها قائلة: هم لديهم حق أنتِ ترجمتِ شفرة غريبة بغيرها أغرب ولم نصل إلى حل أيضًا... فماذا تتوقعين منهم؟
- فبرقت عين لارا منفعلة: صحيح... أنتِ لديكِ حق.
- فينظر لها عمر في استغراب: ماذا تقصدين؟
- فتنظر له لارا قائلة: أنا أقصد صحيح على كلمة شفرة... محتمل أن يكون حاتم عبث بترتيب الرموز الفرعونية.
- فتنظر لها شمس قائلة: لم أفهمك... ماذا تقصدين؟
- لارا: أقصد هناك احتمال أن يكون حاتم عمل حساب المرحلة الأخيرة هذه، فإذا استطاع أحد اجتياز كل ما سبق مثلنا هكذا يأتي الآن ويقف عاجزًا أمام هذه الخطوة، حتى إذا استطاع حل الرموز الفرعونية لن يصل إلى شيء في النهاية.
- عمر يضع يده على رأسه منفعلاً: هل تقصدين أنه عمل شفرة مركبة؟
- لارا: بالضبط هذا ما قصدته... هذه الحروف لها ترتيب محدد وقد عبث حاتم بترتيبها حتى لا يتضح معناها بسهولة.

- دينا: حسناً، وما هي إذن الشفرة التي تصلح لحل هذا اللغز؟
- لارا: هناك شفرات عديدة استخدمت في عصور كثيرة وأنا أعني بذلك أننا محتمل نظل هنا عمرنا بأكمله نحاول حل هذا اللغز دون أن نصل إلى الترتيب الصحيح...
- فتقاطعها ياسمين فجأة: يوليوس قيصر.
- فتبرق عين لارا: صحيح... أنا أعرف أن يوليوس قيصر هو أول من استخدم الشفرة السرية... لكنى لا أعلم إن كان...
- فتقاطعها ياسمين بإشارة من يدها وتغمض عينيها محاولة أن تتذكر حديث حاتم معها في أول مقابلة لهما قائلة:
- كل ثلاثة أحرف في نهاية كل كلمة كان يوليوس قيصر يستبدلهم بأول ثلاثة أحرف في بداية نفس الكلمة، حتى يتغير معنى أي رسالة هامة يرسلها لقادة الجيش في الحرب، وإذا قبض على حامل الرسالة ووقعت في أيدي الأعداء هذه الرسالة لا يفهمون معناها.
- فتبتسم لارا محاولة تنفيذ ما قالته ياسمين وبدأت في إعادة ترتيب الأحرف فوجدت ترتيب كلمات أول جملة (الأعظم الديكتاتور) والثانية (الشمس موعدا شروق) والثالثة (الفتنين).
- فصفقت لارا بيدها قائلة: حقاً وجدتها.
- فنظرت لها شمس قائلة: ولكن هذه الكلمات أيضاً ليس لها معنى.
- لارا بفرحة طفولية: إذا رتبنا أيضاً هذه الكلمات سنفهم معناها.
- وبالفعل أعادت لارا ترتيب الكلمات فكانت (الديكتاتور الأعظم) و(موعدا شروق الشمس)، و(كلمة الفتنين هذه تعنى أسوان حالياً) ولكن كان يطلق عليها هكذا في الحضارات السالفة.

- عمر مندهشًا: هل استنتج أحدكم شيء من هذه الكلمات؟
فلا يرد منهم أحد وينظرون إلى بعضهم في يأس حتى لارا، وتمر لحظات من الصمت ثم سألت شمس:
- هل تعتقدون أن يكون لكل جملة من هذه الجمل معنى خفي لم تدركه عقولنا؟
- ندى: أنا بالفعل كنت أفكر في هذا الأمر الآن... وعلى سبيل المثال (الديكتاتور الأعظم) هذا بالتأكيد كان لقب لأحد العظماء من قبل.
- لارا: بالضبط أنت لديك حق... لقد كان القلب الأخير الذي أهده مجلس الشيوخ ليوليوس قيصر قبل أن يغتالوه بعدة أشهر.
- فابتسمت ياسمين: إذًا فقد وجدنا الحل.
- فينظرون لها جميعًا ثم تسألها لارا قائلة: ماذا تقصدين؟
- ياسمين بنفس ابتسامتها وبنظرة انتصار: أليس هذا التمثال الذي هناك هو لـ(يوليوس قيصر)؟
- فينظرون جميعًا تجاه التمثال التي أشارت إليه فتبرق عين لارا:
- بالفعل هو... فأنا مبهورة به... هل تقصدين أنه يكمن به سر خروجنا من هنا؟
- ياسمين بفرحة طفولية: بالتأكيد.
- وينتفضون جميعًا من مجلسهم متجهين صوب التمثال ثم يبدؤون في تفحصه ويقول عمر:
- يا جماعة من فضلكم قبل أن يلمس أحدنا أي شيء نخبر بعضنا أولًا. وكان التمثال منتصب القامة بزواية ناظرًا إلى اليسار ويده اليمنى مقتربة من سيفه في جانبه الأيسر شبه مغلقة في دائرة صغيرة وباطنها منحوت

على شكل مقبضه وكأنما يريد أن يتزعه، وكانوا جميعًا يدققون النظر فيه دون جدوى ما عدا لارا التي قامت بحركة ودون إنذار وقد انتزعت سيفه من مغمده ووضعت مقبضه في يد التمثال اليمني، فحدث اهتزاز بسيط في المكان اختلجت له قلوبهم ووجدوا الجدار الخلفي للمكان يفتح رويدًا رويدًا ويظهر منه النور، فحدقوا جميعهم ببعض غير متوقعين ما حدث وسطعت الابتسامة على شفاههم وقفزت لارا في الهواء من فرحتها واحتضنتها ياسمين مبتسمة فسألها طارق قائلاً:

- ماذا فعلت ليحدث ذلك؟

فأجابته لارا بما فعلت من وضع السيف في يد التمثال فجذب السيف نظر طارق فاقرب منه ووجد نصله يلعب بشدة في الضوء، فسألها عن المادة المصنوع منها فأجابته بأن النصل الحاد مصنوع من الذهب الخالص واليد مصنوعة من العقيق الأحمر وهو عقيق يماني، فلم يستطع طارق منع نفسه من اقتلاع السيف من مكانه وحدث ما لم يكن بخاطرهم، اهتز المكان مرة أخرى وبدأ الجدار الحجري يغلق ثانية فانطفأت ابتساماتهم وبرقت أعينهم وانتزع عمر السيف من طارق ووضع ثانية في يد التمثال كي يتراجع الجدار عن الغلق ولكن دون جدوى، فركضوا مسرعين تجاه الجدار وقفزوا جميعًا خارج المكان وكاد الجدار يغلق على قدم دينا لولا أن انتزعها طارق بقوة مما أصابها ببعض الخدوش البسيطة، وجلسوا جميعًا على الأرض يلهثون من فرط الخوف ثم بدأوا يضحكون ضحكًا هستيريًا وقالت ياسمين:

- أرجو أن لا يأتي هذا البني آدم معنا في مكان آخر أبدًا... هو السبب

في كل المصائب التي حدثت لنا.

- فوجدت دينا نفسها تدافع عنه قائلة: لا تقولي هذا، فهو من أنقذ

حياتك.

- فابتسمت له ياسمين: لديك حق وهو أيضًا من أنقذ قدمك.
- فضحكوا جميعًا ثم سألت: أين نحن الآن؟
- فأجابتها شمس: هذا المطبخ الخلفي للثيلا وحاتم فقط من معه مفتاح الباب الخاص به.
- ندى منزعة: أتقصدين أنه ليس لديك مفتاح هذا الباب؟
- شمس ضاحكة ملء فمها: لا.
- طارق منفعلاً: إنتوا هتوجعوا دماغنا ليه... أليس هذا الباب خشبياً؟
- شمس: بلى.
- طارق: حسناً سأحطمه الآن.

وبالفعل قام طارق بتحطيم الباب الخشبي وخرجوا إلى الحديقة الخلفية للثيلا ثم اتجهوا صوب الباب الأمامي لها ودخلوها واسترخوا جميعاً على المقاعد، وعندما سمع منصور صوت ضوضاء في الصالة خرج مسرعاً وقص على مسامعهم ما حدث بينه وبين يس المهدي، فاندھشوا جميعاً لما سمعوه من منصور فاتفقوا على الالتقاء غدًا حتى يرتاحوا وليفكروا مع بعضهم ماذا تعني الكلمات التي تحويها ورقة البردي بين طياتها، وودعت شمس وعمر أصدقاءهم وأصر هذا الأخير على البقاء مع شمس في فيلتها حتى يكون بجانبها إذا احتاجت شيئاً ما، وطلبت شمس من منصور تجهيز الإفطار لهما مع مشروب يهدئ أعصابهما وخرج باقي الأصدقاء، وعندما اتجهت ندى ولارا وياسمين ودينا في طريق كل منهن لسيارتها أمسك طارق بيد دينا قائلاً وهو ينظر في عينيها نظرة يفيض منها الشوق لروح فارقت جسدها:

- هل تسمحين لي أن أصطحبك إلى المنزل؟

فاختلج قلبها بين ضلوعها ونظرت له بخجل فتركوهما معاً،
واستقلت كل منهن سيارتها وحدها ما عدا دينا كانت تصطحبها روحها
المكنونة في طارق.

الفصل الثالث والعشرون

عادت ياسمين إلى فيلتها فوجدت الشرطة تحيط بها من كل جانب فركضت صوب الردهة فوجدت أباهما جالسًا على الأريكة واضعًا رأسه بين كفيه في انحناءة تدل على الإعياء فنطقت في جزع:

- أبي... ماذا حدث لك يا حبيبي؟

فيتنفض يس من على مقعده عند سماع صوتها باكيًا محتضنًا إياها:

- ياسمين... أين كنت يا حبيبي؟

- ياسمين تحاول اختلاق عذر: ااااا... ذهبنا نستجم أنا وصديقاتي في بورتو السخنة... أردنا تغيير المكان لتحسن حالتنا نوعًا ما.

- يس: ولماذا أغلقتن هواتفكن؟

- ياسمين: ليس هناك شيء كنا نمزح فقط مع بعض مزاحًا ثقيلًا نوعًا ما فسقطت الهواتف بالماء فانتظرنا حتى تجف لكي لا يحدث بها عطب.

- يس: حمدًا لله على سلامتك يا حبيبي... حسنًا، اذهبي إلى غرفتك لتتالي قسطًا من الراحة.

- ياسمين: ولكن لماذا كل هؤلاء العساكر والضباط هنا يا أبي؟

- يس: عندما انتابني القلق عليك يا ابنتي أبلغت الشرطة واتصلت بمسؤولين كبار.

- ياسمين مصطنعة الدهشة: لماذا كل ذلك يا أبي!!

- يس: وماذا أفعل يا صغيرتي؟ لقد أصابني مس من الجنون.
- ياسمين: حسناً يا حبيبي أنت أيضًا لا بد أن تأخذ قسطاً من الراحة
وأنا سأذهب الآن إلى غرفتي.
ثم يعتذر يس المهدي لكل الضباط الذي كانوا حوله لمساعدته في
العثور على ابنته، ويشكرهم بحرارة على مجهودهم المبذول لأجله.

اتصل الزعيم بالنائب الخاص به ليعرف ما سبب كل هذه
المكالمات الصادرة منه فأبلغه نائبه بالتطورات الجديدة، وما فعله زيكو،
ومن حجم الإنتاج الضخم وفعاليته في وقت قليل لم يتخيلوه، فانفعل
الزعيم في بادئ الأمر لأنه كان من الممكن إهدار الكثير من البودرة
والمال وهم ليسوا في حمل خسارة أخرى، ولكن عندما علم أن نائبه قام
باختبار البودرة بنفسه هدأ باله واطمأن قلبه وطلب منه الاستمرار إذا كانت
النتائج مثمرة بهذا الشكل، أملاً في تعويض جزء من الخسارة التي لحقت
بهم الفترة الأخيرة.

صعدت ياسمين إلى غرفتها وبعد أن أخذت حماماً يهدئ أعصابها
ويخفي توتر الليلة الماضية التي كانت ستنهي حياتهم، أبدلت ملابسها
وأخرجت من حقيبة يدها مذكرات حاتم، وبدأت تتصفحها وتقرأها بتمهل
مستعيدة ذكريات الماضي ونسيمها بعد أن غربت شمسها:

أيامي معها

لم أكن أتصور أبداً يوماً ما أنى سوف ألتقي بملاك يسرق قلبي مني
يجعل دقات قلبي تدوي في أرجاء كل مكانٍ أذهب إليه وأفكر فيها... سرقت

مني كل شيء قلبي وعقلي... وروحي تركتني أيضًا لتلحق بها وتسكن روحها، لم أكن أصدق نفسي حينما حدثتني بأني أحبها، اعتقدتُ بأنها نزوة عابرة ساعات أو أيام وسيتهي هذا الشعور ولكن وجدت صورتها تلاحقني أينما ذهبت، وجدت نفسي أبتسم دون شيء كلما تذكرت ابتسامتها، لقد كان بداخلي إحساس فياض باللهفة للجلوس معها للحديث إليها؛ لركة لمسة يدها لم أعد أشعر بنفسي لم أعد أستطيع التركيز في عملي لم أعد أستطيع النوم، وكلما استطعت جاءتني في أحلامي تركض أمامي وتجعلني أركض خلفها ولكني لم أستطع ملاحظتها، ففي كل مرة تروادني في أحلامي تهرب مني وتتركني وحيدًا يعصف بقلبي الألم لفراقها كنت كلما رأيتهما أجدتها مرتدية زيًا ملائكيًا فستانًا من الحرير الأبيض ترفرف ثنياه مع كل نسمة تعبر بها، وتاجًا من الياسمين يزين رأسها وفي وسطه ياقوتة حمراء، وشعرها ينسدل على كتفيها كالحرير، كانت كل مرة تقف أمامي وتبتسم ابتسامته تخفق لها دقات قلبي وتتلاحق من روعتها... وكلما دنوت منها ابتعدت وكلما حدثتها ابتسمت وكانت ابتسامتها كشدو البلبل في الصباح، كان موعدنا دائمًا عند شروق الشمس كنت أتلهف دائمًا للمس يدها وتقبيل أناملها، كنت أتلهف لاحتضانها كنت أتمنى أن تسكن روحي روحها، كنت أشعر معها بسكينة النفس وراحة البال كانت ساحرة في كل شيء كان صوتها كنغمات الجيتار، عندما تتحدث يصمت الكون وتسكن الأمواج وتنصت الرمال وتتمايل الزهور يمينًا ويسارًا على نغمات أوتارها، وحلق قلبي طائرًا في سماء الحب عندما التقيتُ بها مرة أخرى في النادي، وأعترفُ أنها لم تكن صدفةً وأني من دبرتها للاختلاء بها ولكنها كانت في أعماقي أجمل صدفة، وحدثتها وأثارت ابتساماتها ولمسة أناملها رجفة بقلبي وصرت بجانبها وشعرت حينها بأني امتلكت كل ما في الكون من شمس وقمره من أنهاره وبحاره من زهوره ونسيمه، شعرت بأنني ملك متوج بتاج من الزمرد والياقوت يتوسطه ماسة

الحب... ياسمين... ياسمين الحب... ياسمين الربيع... ياسمين شمس الكون... ياسمين نسيم الحياة.

وأغمضت عينيها من شدة التعب وسرقها النوم من مذكرات حبيب روحها، ولكنها رأته في أحلامها يقتربُ منها يرتدي رداء كرداء الفرسان وفي جانبه سيف يبرق على أشعة الشمس وينظر لها بحب وحنان، فتبسط له يدها ليقترب منها وكانت هي ترتدي فستانًا أبيض اللون مزرقشًا بلون العقيق الأحمر وتنتعل في قدميها حذاء كحذاء نفرتيتي ويتوج رأسها تاج من الزمرد والفيروز ويتوسطه قلب من الماس، وتدنو منه وتحضنه ويستقلان سفينة أعدت لهم تجوب البحار في كل بقاع الأرض وهما عليها ملوك يقضون يومهما في صمت مستمتعين بصوت أنفاسهما واحتضان أرواحهما، وتعزف الآلات الموسيقية مقطوعة هادئة تذيب القلب لرقتها وينظر بعينيها ثم يحتضن كفيها بين راحته ويشدو لها بما في قلبه.

سألوني أما زالت هي
قلت وهل لي في العشق غيرها
سألوني أما زالت هي
قلت وهل تكون الحياه بدونها
سألوني أما زالت هي
قلت لو خيرت بالشمس لأخترتها

فهي ملكة روحي

التي سكنت طيات نفسي

فهي شمس نهاري

ونورها بسمه تزيد عمري

فهى لؤلؤة البحار
التي بعشقتها علمتنى
كيف تكون الحياة
وأين تغفو عيني
وأنتزعت قلبي مني
وعزفت على دقاته حبي
أهدتنى بها السماء
لأسكن روحها وبالحنان تغمرني
فإن كانت هي لي
باركها ياربي بقلبي وقربي
وإن كانت لغيري
أمتني حتى لا ترى ذلك عيني
وإن أتى الزمان بشيها
سيظل جمالها يروقني
فإنني أحببت روحها
قبل عينيها وهي مني
وعشقت قلبها الحالم
وهو من كان أبدا عرشي

كان صلاح يجلس مع صديقه حسين يتبادلان أطراف الحديث ويتذكران أهوال قضاياهم القديمة فقطع حديثهما رنين الهاتف الجوال الخاص بحسين فأجاب الأخير قائلاً:

- مرحباً... نعم، أنا الرائد حسين العزازي.

- الطرف الآخر: أنا لذي لك معلومات هامة عن المنظمة التي تبحث عن زعيمها.

- فتبرق عين حسين من الدهشة: من أنت؟

- الطرف الآخر: ليس شأنك من أكون... المهم الآن أن هذه المعلومات ستساعدك كثيراً، ولكني لن أستطيع إخبارك بها في الهاتف.

- حسين متلهفًا: متى وأين تريد أن نتقابل؟

- الطرف الآخر: أنصت لي، لكي أقابلك لا بد أن لا يعرف أحد أنني قمت بالاتصال بك بخصوص هذه القضية؛ لأن هناك عضو من أهم أعضاء المنظمة هو رجل قريب منك جدًا، وإذا علم أي أحد بهذه المحادثة والمعلومة وصلت له سينهار كل شيء، وأنا سأقتل ولن تصل لأي شيء وستصبح المنظمة أخطر من قبل ذلك... ما أقوله لك الآن لمصلحتك إذا أردت أن تظفر بالغنيمة كلها... حذارٍ أن تبلغ أحدًا بما قلته لك ولا أقرب الناس لك، ولا تخف أنا أعلم ما تفكر به هذه ليست خدعة، ولكي تطمئن ستقابل في مكان مفتوح في الأزهر بارك غدًا في الصباح إن شاء الله الساعة العاشرة صباحًا، وأتمنى أن لا تتأخر لأن وقتي محدود ولا أريد أن يكتشف أحدهم خروجي من المكان.

ثم يغلق حسين الهاتف في حالة شرود مفكرًا من يكون هذا الرجل؟ وهل مكيدة أم هي بالفعل حقيقة؟ وهل يجب أن يُخفي الخبر عن إدارته أو حتى أصدقائه للمشورة محتمل أن تكون هذه المقابلة مكيدة... ولكن

لماذا؟ إنه لم يكن للمنظمة شيء بالداخلية يمكن من أجله اختطاف ضابط والمقايسة عليه، فكل شيء قد انتهى ولم يستطيعوا القبض على أي أحد من رجالهم، ثم يفوق حسين على صوت صلاح وهو يقول:

- ماذا بك يا حسين؟ أين شردت هكذا؟

- حسين: معذرة يا أبو صلاح.

- صلاح مبتسمًا: حسناً... من الذي كان يحدثك بالهاتف؟

- فيتلعثم حسين: لا لا،... إنه أحد أفراد قريتنا يخبرني بجريمة

ستحدث بين عائلتين، فأنا كنت أستمع له وأنا غير مبالي.

فينظر له صلاح نظرة استفهام فيدير حسين بصره عنه.

استيقظت ياسمين من نومها وهي مبتسمة على رنين هاتفها فتجد لارا

متصلة بها قائلة:

- لماذا لا تجيبين على الهاتف؟

- ياسمين: ماذا تريدان الآن؟

- لارا: اجهزي لكي نذهب إلى شمس وعمر.

- ياسمين: أين أنتن الآن؟

- لارا: دينا ذهبت إلى منزل طارق واصطحبته معها... وأنا وندى

ستقابل هناك إن شاء الله بعد نصف ساعة، ولم يتبق غيرك يا قطة.

- ياسمين متثابة: حسناً، أنا بعد ساعة سأكون هناك.

- لارا منفعة: ساعة!! لماذا؟ هتيجي راكبة حمار.

- ياسمين متأففة: لا حاجي ركباك أنت يا خفة، غوري بقى.

وتنهض ياسمين من فراشها وتغتسل وترتدي ثيابها وتأخذ مذكرة حاتم وتذكر الحلم الجميل الذي رآته فيه كالفارس وهي كالملكة، وبدأت تكمل قراءة الصفحات وقلبا يخفق فرحًا وحننًا من كلمات حاتم العذبة وفقدانها له إلى الأبد وأنها لن تراه ثانية، ولن يبقى لها غير هذه الكلمات وبعض الأحلام الجميلة عزاءً لها، وفجأة وهي تقرأ جذب انتباهها شيء غريب.

* * *

يصل حسين بالفعل إلى الأزهر بارك في الموعد المتفق عليه مع الرجل الذي حدثه بالأمس، وبالفعل امتلك حسين من الشجاعة ما يجعله لم يخبر أحد بنص هذه المحادثة الهاتفية، ويتفرض فجأة من شروده إثريد وضعت على كتفه، فينظر خلفه ليجد أمامه زيكو فتبرق عيناه قائلاً:

- أليس أنت المسجون الذي حُكِمَ عليه بالإعدام وهرب مع سيدتين؟

- فيبتسم زيكو قائلاً: انس كل هذا الآن يا حسين بك... ما لدي أهم

بكثير.

- فينفعل حسين: لكن أنا وظيفتي تحتم علي أن لا أتحدث إلى

مجرم هارب من العدالة... والقسم الذي أقسمته يحتم علي أن أقبض عليك الآن.

- فيبتسم زيكو باسماً ذراعيه أمام وجه حسين قائلاً: تفضل سعادتك

اقبض علي فأنا ليس لدي مانع، ولكن قبل أن تقبض علي تذكر أن مفاتيح

اللغز كلها في جيبى أنا، وإذا حبل المشنقة طال رقبتى لن يعرف أحد شيئاً

سواء أنت أو الداخلية كلها، ولن تصلوا لهذه المنظمة؛ لأنهم الآن في حالة

تطور لتدمير السوق المحلية هذا غير أن أهم عضو بها واحد منكم.

فيغلى دم حسين في عروقه ويحاول السيطرة على نفسه قائلاً:
- تفضل أخبرني بما لديك.

- زيكو بنفس ابتسامته المستفزة: مبدئياً أنا اسمي زيكو... ثم يبدأ في السردي على مسامعه كيف هرب، وكيف دخل المنظمة، وكيف بدأوا يعتمدون عليه، وما هي الخطة الجديدة في توزيع المخدرات في السوق، وما هو مقرهم الحالي ومن هو الرجل الثاني بعد الرأس الكبيرة المتولي كل المهام والأمور، وعندما يسمع حسين اسم هذا الرجل يصعق من هول المفاجأة وتستعيد ذاكرته كيف فشلت محاولات كثيرة لهم في القبض على المنظمة من قبل؛ لأن هذا الرجل كان ضمن الأحداث يوماً بيوم، ثم يبدأ زيكو في شرح كيفية الدخول إلى المكان الذي تتم فيه الاجتماعات، ومتى تكون اجتماعاتهم ثم يخرج من جيبه البودرة الجديدة الذي قام بتصنيعها ثم يقول:

- هذه سعادتك هي البودرة التي يتم تجهيزها الآن لكي توزع بالأسواق، وسيكون ثمنها غالياً جداً ولكنها ذات مفعول ساحر.

- حسين بانفعال: هل أنت مجنون؟... أنت تعلم كل شيء وبالرغم من ذلك تساعدهم في تجهيز هذا السم الذي سيقضون به على الناس.

- زيكو: سعادتك إذا كان هدفي هو مساعدتهم فلماذا أنا جالس معك الآن؟... الأمر باختصار أن هذه المادة بها عيب خطير نتيجة لخلط مادتين أخرتين مع بعضهما وهي أنها إذا ارتفعت حرارتها أو اقتربت منها النار ستحترق وتصبح رماذاً في عدة لحظات قليلة جداً، فلا داعي إذًا للقلق كل المطلوب أن تضع سيادتك خطة جيدة مع زملائك في العمل وبالطبع بدون أن يعلم هذا الكلب الذي أخبرتك باسمه، وإن شاء الله تستطيع القبض عليهم وتأخذ البودرة وتحرقها أو تفعل بها ما تشاء وإذا فشلت خطتك

لا قدر الله أنا سأحرقها بنفسى حتى لا تباع في السوق ولكي أنقذ شباب بلدنا... إختوتى وأختى من الهلاك.

- فينظر له حسين مبتسمًا في سخرية: وما هو المقابل يا عم زيكو الذي تريده لكي تنقذ شباب بلدك وإختوتك وأختك؟

- زيكو مبتسمًا: شيء بسيط جدًا سعادتك... عفو رئاسى عني وتتركونى أغانر البلد.

- حسين مبتسمًا: حسنًا وأنا موافق... ولكن أنت ستكون معى وقت التنفيذ.

- زيكو: وأنا ملك يدك وقت ما تشاء.

- حسين: ولكنك لم تخبرنى باسم هذه المنظمة.

- زيكو: آمون... آمون رع.

* * *

تصل ياسمين إلى فيلا حاتم فتجدهم كلهم مجتمعين يتحدثون حول البردية، فتقطع عليهم حديثهم قائلة:

- لقد علمت متى فقد حاتم قلمه؟

فيعم الصمت جميعهم وتتجه جميع الأنظار إليها وتتفض شمس من مقعدها قائلة في لهفة:

- كيف علمت؟

- فترفع ياسمين بيدها مذكرات حاتم قائلة: من هذه المذكرة.

- فينهض عمر من مقعده قائلاً: كيف؟ لم أفهم.

فتفتح ياسمين المذكرة على الصفحة التي جذبت انتباهها قائلة:

- إذا نظرت لهذه الصفحة والتي قبلها ستجدون فرقاً في لون وسماكة الخط، وإذا نظرت أيضاً على تاريخ الأيام ستجدون أن هذه الصفحة كُتبت في يوم، والصفحة التي قبلها كُتبت في اليوم السابق لها.

- فتتزع ندى المذكرة من يد ياسمين لتتنظر بها قائلة: لديك حق فيما قلته، آخر صفحة كتب فيها بالخط السميك كانت يوم الواحد والعشرين منذ شهرين والخط الخفيف يوم الثاني والعشرين.

- فتقول ياسمين: معنى هذا أن القلم فُقد يوم الواحد والعشرين.

- فتتنظر لها ندى نظرة استنكار: كيف يكون القلم فُقد يوم الواحد والعشرين ولقد كتبت به آخر صفحة في نفس اليوم؟... القلم فُقد يوم الثاني والعشرين وعندما لم يجد حاتم القلم معه اضطر لإحضار قلم آخر ليكتب به.

- فتبتسم شمس: معذرة يا ياسمين... ندى لديها حق.

- ندى مسرعة: ليس هذا المهم الآن، ولكن لا بد أن نعرف الأماكن التي ذهب إليها حاتم في هذا اليوم لكي نستطيع تحديد المكان الذي فُقد فيه القلم.

- لارا: ولماذا كل هذا؟ ألم يأخذ حاتم حكماً بالبراءة من هذه القضية؟

- فيجيب طارق بحزن: حاتم أخذ حكماً بالبراءة لعدم كفاية الأدلة... لكن نحن واجبنا الآن أن نثبت براءته الفعلية حتى لو لم يكن متواجداً معنا.

- فتبتسم له ياسمين بعين دامعة فيعتذر لها طارق: أنا أسف يا ياسمين أنا كنت مخطأً لقد اندفعت بدون تفكير، أنا أسف يا شمس سامحيني... سامحيني يا ياسمين.

فتتحدر دموع من عين شمس فتمسحها مسرعة قائلة:

- لقد سامحتك منذ زمن يا طارق لم يعد بقلبي ضغينة لك.
- ثم تحاول تغيير مجرى الحديث قائلة: المهم الآن، هل توصلتم لشيء أو تذكر أحدكم شيئاً قاله حاتم خاص بهاتين الجملتين.
- لارا: للأسف لا... ولكن لماذا حاتم ذكر هنا مدينة أسوان بالتحديد؟ لا بد أن يكون هناك شيء ما يريدنا أن نطلع عليه.
- شمس: نحن لا نختلف معك يا لارا ولكن المشكلة هنا أننا لا نعرف هذا الشيء، وهل كلمة أسوان هذه لها علاقة بالجملة التي قبلها أم لا؟
- ياسمين: لا داعي للعجلة، هيا بنا نبدأ البحث خطوة بخطوة وربنا يسهل الأمر بعد ذلك، المهم الآن أن نذهب إلى الأماكن التي ذهب حاتم إليها في اليوم الذي فقد فيه قلمه؟
- فيسألها عمر: وهل كتب الأماكن التي ذهب إليها؟
- ياسمين: نعم... في الصباح ذهب إلى شركته ثم ذهب ظهرًا إلى المطعم لتناول الغداء، وبعد أن انتهى منه ذهب لأبي في شركته وبعد ذلك قابلنا في كافيه فيرجينيا في المساء.
- ندى: حسناً مبدئياً لتوفير الوقت، أهم مكانين الآن والشخص الذي سرق القلم يستطيع دخولهما ومراقبة حاتم بهم دون أن يشعر به أحد؛ هما المطعم الذي ذهب إليه لتناول غداءه فيه والكافيه الذي قابلنا به في المساء.
- شمس: كلام منطقي يا ندى... هيا بنا نذهب للمطعم أولاً.
- فيتجهون جميعاً إلى مطعم الفراي دايز بمول الداون تاون محاولين البحث عن أي دليل حول قضيتهم، فيجلسون على إحدى الطاولات وينادي عمر النادل فيأتي له ثم يطلب منه بعض الأطعمة والمشروبات ثم يحدثه قائلاً:

- كان لي صديق دكتور يأتي دومًا لتناول غداءه هنا، ومنذ وقت طويل لم ألقه ولم أره يأتي هنا أيضًا... يدعى دكتور حاتم، ألا تعلم لماذا؟
- النادل: بالفعل يا افندم دكتور حاتم عميل دائم لدينا، ودائمًا كان يجلس على طاولة رقم ثلاثة... ولكنه لم يأت منذ وقتٍ طويل ولكني لا أعرف السبب.

- عمر: ألا تعلم كيف أتواصل معه؟

- النادل: الحقيقة لا يا افندم... لكن لحظة واحدة وسأعود لحضرتك مرة أخرى.

- عمر: تفضل.

- شمس: لماذا فعلت ذلك يا عمر؟

- عمر: وما المشكلة إذًا؟

- شمس: أنت الآن ستجذب انتباههم لنا.

- ندى: وهذا هو المطلوب بالفعل... لنرى من سيهتم بالأمر ويتبعنا ومن سيفيدنا وكيف نصل لبداية الخيط؟

- فيأتي النادل ومعه زميل آخر قائلاً: هذا محمود زميل لي حضرتك وربما يستطيع مساعدتكم، ثم يتركهم النادل الأول فيسأل عمر الثاني عن حاتم.

- فيجيبه محمود: أعتقد أن المرة الأخيرة التي أتى فيها إلى هنا كانت منذ شهرين.

- عمر: هل كان يقابل أحدًا هنا أو يجلس معه أحد؟

- محمود: لا أحد غير الحارس الشخصي الخاص به حضرتك، هو فقط من كان يأتي معه... وعلى العموم لنا زميل يدعى ياسر هو يستطيع إفادتكم أكثر مني.

- عمر: هل تسمح بأن تستدعيه لنا؟
- محمود: هو ليس موجود هنا الآن لأنه عاد إلى مدينته لإتمام زفافه.
- عمر: حسناً شكراً لك.
- فتستوقفه ندى قائلة: من فضلك ما هو اسم مدينته؟
- محمود: أسوان يا افندم.
- فتتفرض لارا: هل أنت متأكد من ذلك؟
- محمود: نعم يا افندم.
- عمر: حسناً ممكن تعطينا عنوانه بأسوان.
- محمود: الحقيقة يا افندم لا أعرف العنوان بالتحديد.
- ندى: وإدارة الموارد البشرية ليس لديها العنوان؟
- محمود: لا أعتقد ذلك يا افندم، لأننا نسجل عنوان السكن الذي نحن به هنا في القاهرة.
- عمر: حسناً ممكن تعطينا رقم هاتفه.
- فيعطيه النادل بالفعل رقم ياسر زميله ويتركهم منصرفاً، فيتصل عمر به ولكنه يجد هاتفه مغلقاً فيحاول أكثر من مرة ولكن دون جدوى فقال عمر:
- للأسف هاتفه مغلق.
- ياسمين: حسناً، وكيف سنصل له الآن؟
- شمس: إنها حقاً مشكلة.
- لارا: بالعكس لا أعتقد أن هناك مشكلة.
- طارق: كيف ذلك؟ أنا لم أفهم شيئاً إلى الآن؟
- ندى: حالياً هذا الرجل عنوانه في أسوان وحاتم سجل بالورقة كلمة أسوان وسجل أيضاً موعدنا شروق الشمس وهذا يعني أن هناك احتمال من

اثنين، الأول أن الشارع الذي يقيم به هذا الرجل يطلق عليه هذا الاسم، أما الثاني أن المكان الذي يعمل به يحمل هذا الاسم.

- لارا: وهناك احتمال أن تكون هذه الجملة لها معنى آخر.

- شمس: حسنًا هيا بنا نتوكل على الله ونسافر إلى أسوان، ونبدأ

البحث هناك.

وبعد مرور يومين قام فيها الأصدقاء بتجهيز أمتعتهم وودعوا أهلهم، وحين وقت رحيلهم فاجتمعوا في المطار الساعة الثامنة صباحًا ثم استقلوا الطائرة المتجهة إلى أسوان، وقد تكفلت شمس بكافة مصاريف الرحلة ورفضت في حزم وإصرار أي اعتراض من جانب أصدقائها، وهبطت الطائرة في مطار أسوان، ثم استقلوا سيارتي أجرة نظرًا لعددهم واتجهوا إلى فندق موفينييك وصعد كل اثنين منهما في غرفة ما عدا شمس كانت في غرفة بمفردها نظرًا لأنهم سبعة أفراد، وبعد أن ترك كل منهم أمتعته في الغرفة تقابلوا في ردهة الفندق وقالت ندى:

- يا جماعة أنا بحثت على الانترنت عن هذا الاسم ووجدت بالفعل مطعمًا اسمه: موعدنا شروق الشمس.

- عمر: حسنًا وماذا نتنظر إذًا؟ هيا بنا نذهب له.

وبالفعل ذهبوا جميعًا إلى هذا المطعم وعندما دخلوه جلسوا على إحدى طاولاته ثم نادى عمر على النادل فأجابه:

- تحت أمرك يا افندم.

- عمر: هل يعمل معكم شخص يدعى ياسر؟

- النادل: نعم، يا افندم تحت أمر حضرتك.

- عمر: هل تسمح بأن تدعوه إلي لأحدثه في أمر ما؟

- النادل: أنا ياسر حضرتك، تفضل.
- عمر مبتسمًا: هل كنت تعمل في مطعم الفراي دايز في مول الداون تاون بالقاهرة؟
- ياسر: نعم يا افندم، تحت أمرك.
- عمر: كان هناك عميل دائم يدعى الدكتور حاتم، هل تتذكره؟
- ياسر: بالطبع يا افندم لقد كان من أفضل عملائنا... خير يا افندم ماذا حدث؟
- فيختلق عمر حديث كذب: ليس هناك شيء ولكنه صديق قديم واضطرته الظروف للسفر، ثم اتصل بي وأخبرني أنه كان لديه قلم عزيز عليه يعتقد أنه فقدته في المطعم الذي كنت تعمل به في المرة الأخيرة التي ذهب إليه... أنا أعتذر لأن الموضوع لا يستحق الذكر ولكنه هام بالنسبة له.
- فيصمت ياسر بعض لحظات محاولاً التذكر قائلاً: لكنه لم يفقد هذا القلم يا افندم.
- عمر بلهفة: أتقصد أنه معك الآن؟
- ياسر مبتسمًا: لا ليس هذا ما قصدته... أنا أقصد أن في هذا اليوم دكتور حاتم تقريبًا لم يكمل وجبته وقام على استعجال ونسي قلمه على الطاولة، وكان معه الحارس الشخصي الخاص به، وعندما أنهى هو الآخر وجبته وهم بالانصراف وجدت قلم دكتور حاتم وأنا آخذ الأطباق من على الطاولة فسلمته لحارس دكتور حاتم ليعطيه له.
- ندى بانفعال: هل أنت متأكد مما تقول؟
- ياسر مندهشًا: بالتأكيد يا افندم.
- ياسمين: كيف لك أن تتذكر كل ذلك بالرغم من مرور فترة زمنية ليست قليلة على هذا الحدث؟ وأنتم بالطبع يأتي لكم عملاء كثيرون.

- ياسر: يا افندم دكتور حاتم ليس عميلاً عادياً، لقد كان من أفضل عملاء المكان وجميع من يعملون هناك يحبونه ويحترمونه، وغير ذلك الذي يجعلني أتذكر هذا الحدث جيداً أنه عندما أعطيت القلم للحارس الشخصي به وجدته يعطيني بالمقابل مائة دولار، وعندما رفضت لأن هذه وظيفتي وهي أن أحافظ على مفقودات العملاء وجدته مُصراً على أن يعطيني لي، وبالطبع حضرتك تعلمين ماذا تعني مائة دولار اليوم... تقريباً ألف وثلاثمائة جنيهاً وهذا تقريباً نصف راتبي الذي أتقاضاه بالشهر فبالطبع شيء مثل هذا مستحيل أنساه.

- عمر: نحن نشكرك بشدة ونأسف على إزعاجك معنا.

فينصرف ياسر ويعم الصمت عليهم جميعاً فتحدق فيهم ندى قائلة:

- مائة دولار... كم يتقاضى إذاً؟

- فتبتسم شمس: لا تشغلي فكري بهذا، الموظفون بشركة حاتم أخي

مدللين كثيراً.

- ندى: ليست هذه المشكلة... المشكلة هنا ما هي علاقة الحارس

الشخصي لـ(حاتم) بمقتل عفاف؟... أو بمعنى آخر ما هي مصلحته بقتل عفاف؟

- طارق: شيء غريب حقاً... ولكن أين علي هذا الحارس

الشخصي؟ لم نره منذ دخول حاتم السجن.

- شمس: لديك حق هو بالفعل اختفى منذ ذلك الوقت.

- ندى: هذا يؤكد علاقته بالموضوع، ولكن ما هي هذه العلاقة؟...

الله أعلم.

- لارا: لا بد أن نعرف أين هو؟... محتمل أن يكون بيديه مفاتيح

الغاز كثيرة.

وقضوا جميعًا أربعة أيام زاروا فيها المعالم الأثرية بأسوان واستمتعوا فيها بقضاء يوم على جزيرة فيلة وقضاء إحدى الليالي في متحف النوبة، والتقطوا بعض الصور التذكارية بجوار ضريح أغا خان وقبة الهواء وقضوا إحدى الليالي يستمعون إلى بعض الموسيقى الفرعونية، وتشرح لهم لارا بعضًا من الحضارة الفرعونية وقيمتها التاريخية.

* * *

الفصل الرابع والعشرون

ذهب الرائد حسين بالمعلومات التي حصل عليها من زيكو إلى وزير الداخلية في مقره وسمح له بمقابلته بعد نجاح عملياته الأخيرة وذياع صيته في الداخلية كلها واستقبله الوزير استقبالا مشرفا لمكانته، ثم بدأ حسين في السرد على مسامعه ما توصل إليه، وأسماء أعضاء المنظمة ومقرهم الحالي، ووسائل احتياطاتهم والبودرة الجديدة التي سوف تنتشر في السوق خلال أيام قليلة، ثم وضع أيضا أمامه طلب زيكو بالعمو الرئاسي عنه فلم يعترض الوزير على ذلك في مقابل الوصول إلى هؤلاء الوحوش الأدمية، وبدأ الوزير يكشر عن أنيابه لوجود أقوى عضو في المنظمة بينهم وقرر وضع خطة مع القيادات المسؤولة دون معرفة هذا الشخص، وعمل خطة مضادة لتعجيل اجتماع المنظمة والفتك بهم قبل أن يفتكوا بالشعب.

بعد مرور عدة أيام من عودة الأصدقاء التقوا جميعا في فيلا باسمين المهدي وقرر كلٌّ منهم عمل شيء يوقع به (علي) الحارس الشخصي لحاتم، فاستطاعت ندى مراقبته ومعرفة مواعيد انصرافه وعودته إلى منزله والأماكن التي يتردد عليها، واستطاعت دينا من إحدى مواقع التسويق عبر الإنترنت الحصول على ساعة تجسس يمكن التحكم بها عن بُعد من خلال الموبايل، ولهذه الساعة القدرة على التقاط صور وتسجيل أفلام قصيرة في الظلام بخاصية الأشعة تحت الحمراء بدقة عالية وتخزينها وإرسالها إلى

الموبايل المتحكم بها، ويمكنها أيضًا تحديد الموقع التي هي به، والاتصال بها وسماع كل ما يحدث داخل المكان، وتم وضع الخطة فيما بينهم بأن ندى سوف تحاول التودد إليه والتعرف عليه عن طريق اصطناع وجود عطل بسيارتها في الطريق الذي يسير منه، وتطلب منه المساعدة وبعد أن تتودد إليه تقدم له هدية مقابل إنقاذه لها من قارعة الطريق بسبب العطل الذي أصاب سيارتها وتستمر أيضًا مراقبتهم له وللأماكن التي يذهب إليها.

* * *

- يتصل زيكو بالرائد حسين قائلاً: مرحبًا... حسين بك.
- حسين: مرحبًا بك يا زيكو... كيف حالك؟
- زيكو: الحمد لله... طمني سعادتك هل لديك جديد؟
- حسين: تم تنفيذ ما اتفقنا عليه... ولا بد أن أقابلك لكي تعرف الدور الذي ستقوم به في الخطة.
- زيكو: حسنًا... متى وأين؟
- حسين: ستتقابل غدًا الساعة التاسعة صباحًا أمام وزارة الداخلية.
- فتبرق عين زيكو: ماذا تقول سيادتك؟... هل هذا كمين؟ ولماذا أذهب إلى وزارة الداخلية؟
- فيبتسم حسين: هل تمزح؟ ألا يوجد مكان آخر يصلح ليكون كمينًا لك غير وزارة الداخلية؟
- زيكو: أصدقك القول الأمر غريب نوعًا ما.
- حسين: من أجل سرية الموضوع ليس أكثر.
- زيكو: حسنًا اتفقنا.

تقابلت بالفعل ندى مع علي الحارس الشخصي لـ(حاتم) ومرت الأيام وتكونت صداقة جديدة بينهما أو كما كان يزعم للوصول لأهداف أخرى في عقله، ثم أهدته الساعة وبدأت المراقبة عن بعد وبدأوا يتفقدون أثره بكل سهولة مما أتيح لهم فرصة معرفة أدق التفاصيل عنه، وفي نهاية إحدى الأيام اجتمعوا في فيلا شمس لمناقشة كل ما توصلوا إليه فكانت الدهشة عندما وجدوا هذه الممرات السرية ووسائل الأمان الخاصة بها، وأن علي هو الرجل الثالث في المنظمة الذي يستطيع دخول كل الممرات بعد الزعيم ونائبه فكان سؤال لارا:

- الله أكبر... حسناً، كلمة السر وعلمناها لكن بصمة كف يده كيف سنحصل عليها إذا؟... وإذا حصلنا عليها... كيف سنحصل على بصمة عينه؟
- فتبتسم دينا قائلة: لا تقلقي يا موزة دا فن ولعب وهندسة.

- ياسمين: كيف؟ ما الجديد في التكنولوجيا؟

- دينا: مبدئياً هناك اختراع جديد بأمريكا اسمه الكوب الذكي هذا الاختراع لم يبع بالأسواق المصرية إلى الآن ولكن ممكن نشتره من خلال الإنترنت... هذا الكوب مصنوع من الزجاج وشكله طبعي جداً مثل أي كوب ولكن ظاهره ألوان مختلفة مثل ألوان الطيف تثير الانتباه، وبنهاية هذا الكوب يوجد ذاكرة لتخزين بصمة اليد وتستطيع تخزين على حد أقصى ثلاثة بصمات وهذه الذاكرة تم توصيلها بجهاز صدمات كهربائية وبها مخرج (USB) يتم توصيله بالحاسب الآلي وبذلك نستطيع أخذ البصمات منها التي تم تخزينها.

- عمر مندهشاً: ولكن كيف تستطيع تخزين أكثر من بصمة؟ ألا تختلط البصمات ببعضها بعد ذلك؟ لأنه لا يوجد بها أي أحرف لتسجيل اسم صاحب كل بصمة... ولي استفسار آخر ما هي فائدة الصدمات الكهربائية؟

- دينا مبتسمة: هي تقوم بتخزين البصمات فقط في الوقت الذي يوضع بالكوب أي سائل وهذا يعني أنه إذا كان الكوب فارغًا لن تسجل أي شيء، فالسائل هو الوسيط بين اليد وبين مركز التخزين... أما كيفية طريقة تسجيل البصمة فهي تتم عن طريق الحاسب الآلي ويتم تسجيل بصمة محددة وتصبح هي البصمة الرئيسية للكوب، وبالنسبة لموضوع الصدمات الكهربائية هذه فهي ليست بالقوة التي تحملها الجملة من معنى ولكن فقط من أجل حماية الممتلكات الخاصة من الفضوليين؛ فإذا حاول أحد غير مالك الكوب أن يشرب منه تصعقه هذه الصدمات وينقلب الكوب بما به عليه في حالة إذا كان به سائل، وهذا إذا أردت أن لا يمسك أحد غيرك بالكوب الخاص بك.

- ندى: إنه حقًا اختراع عبقرى.

- لارا: حسنا لقد تم حل هذه المشكلة... ولكن كيف سنحصل على

بصمة عينه؟

- دينا: بصمة العين لها حل أيضًا ولكنه مكلف جدًا؛ لأنه ما زال فكرة

قيد التنفيذ وتم إنتاج عدة نماذج قليلة جدًا فقط من أجل التجربة.

- شمس: وما هي فكرته إذا؟

- دينا: هو عبارة عن جهاز يُخرج إشعاع يتم تركيزه على قرنية العين

مباشرةً فيقوم بحفظ التصميم الخاص بها وبأماكن الشعيرات الدموية أيضًا

في ذاكرة داخلية، ثم يتم توصيله على جهاز مثل الحاسب الآلي ولكن مُصغر

وبه طابعة صغيرة متصلة به لوضع العدسات اللاصقة بها، ثم يبدأ الجهاز

بطباعة تصميم العين التي قام بتخزينها في ذاكرته على هذه العدسات.

- طارق منهبرًا: هذا شيء عظيم جدًا ولكن كيف سنأخذ بصمة عين

علي دون أن يعلم؟

- شمس: هذا هو دورنا... ندى بالطبع ستقدم له الكوب الذي سيسجل بصمة يده وسيكون معها أيضًا عصير أو أي مشروب، وسنحرقه بمخدر يجعله يغفو قليلاً بحيث إن الزجاجة لا تظهر عليها أي آثار توحى بأنه تم العبث بها ثم تضعه له في الكوب وهو ممسك بها، وبعد أن ينتهي من المشروب سيصيبه الدوار ويغفو قليلاً وسيكون أيضًا مع ندى الجهاز الآخر الخاص ببصمة العين، وتفتح عينه وتبدأ بأخذ بصمتها، وبعد ذلك توقظه من غفوته مع العلم أن هذا المخدر الذي سنضعه له في الشراب يا ندى مفعوله لن يزيد عن عشرة دقائق بحد أقصى، لكي يكون مخففاً ولا يرتاب في أمرك.

- طارق: ولماذا كل هذه المهارات إذا؟

- ياسمين باندهاش: أفتينا إذاً سعادتك بما تريد فعله.

- طارق: هو ينضرب بشومة على دماغه يطب ساكت، نكتفه ونخدره ويبقى معانا إيده وعينه الأصليين ولا كل الهري اللي انتوا بتقولوه دا.

فيضحكوا جميعاً على طفولية طارق ثم تسخر منه شمس قائلة:

- هذه ليست مشاجرة لكي نفعل ذلك... نحن سندخل إلى هذا المكان بعد أن يكون هو سبقنا مع العصاة لكي يتم القبض عليه متلبساً معهم... هل فهمت شيئاً أم أعيد ما قلته مرة أخرى؟

- فيبتسم طارق: لا، الحمد لله فهمت.

بعد مرور عدة أيام استلموا المنتجات التي قاموا بشرائها من الإنترنت، وقامت ندى بأخذها وبالفعل قابلت علي، وأثناء قيادته للسيارة أعطته عصير مانجو وبعدما تناوله بلحظات معدودة بدأ يشعر بدوار في رأسه، فاتخذ جانباً وأوقف السيارة وترك رأسه تسقط للخلف على مسند الكرسي وغط

في نوم عميق، وبالفعل بدأت ندى في تنفيذ خطتهم وفتحت عينيه وأخذت بصمتها ثم أخذت الكوب من يده، وبدأت تثر الماء على وجهه كي يفيق وبالفعل بدأ يستعيد رشده رويداً رويداً، ثم بدأت تمازحه ببعض الدعابات حتى لا تثير ريبته نحوها ثم قضت معه الليلة في ديسكو بمصر الجديدة أسفل كافي شوب ستار باكس، وبعد ذلك اجتمعت بأصدقائها في الفيلا وبدأوا في استخراج بصمة اليد والعين ونجحت بالفعل التجربة ثم أخذوا كل الفيديوها المسجلة وذهبوا إلى الشرطة لتسليمها لهم، وبدأت قوات الأمن تجهيز خطة الهجوم وبالفعل تم حصار جميع القل من الخارج في التوقيت الذي اتفق عليه زيكو مع الرائد حسين، والذي سيكون مجتمعين فيه أعضاء المنظمة وسيكون زيكو في الغرفة المجاورة لغرفة الاجتماعات المخزن بها البودرة، وبفضل بصمة اليد والعين وكلمة السر اللاتي استطاع أصدقاء حاتم الحصول عليها استطاعت قوات الأمن اقتحام الممرات في هدوء دون أن يشعر أحد، وفجأة اقتحمت جميع أبواب قاعة الاجتماع ووجد أعضاء المنظمة السلاح موجه إليهم وبرقت أعين جميع أعضاء المنظمة ثم ابتسم حسين قائلاً:

- ياااااااااااه... أخيراً وقعت سيادتك وكنت دوماً تلوم علينا وتوبخنا وتقول لي: أنت فاشل وأني سأظل عمري كله أقل من زملائي... ابتسامتك منورة الدنيا يا رأفت بك.

- العميد رأفت فهمي نائب الزعيم ضاحكاً بهيستريا: ولكن لعلمك أنا حقاً لم أخطئ فيما قلته لك أنت هههههه... أنت ستظل طول عمرك متأخر عن زملائك.

فيندهش حسين من موقف رأفت فهمي وفجأة يضغط رأفت على زر أسفل طاولة الاجتماعات فانطلقت رصاصات الأسلحة الآلية من كل مكان

في جدران القاعة فأصابت جميع أعضاء المنظمة وكثير من قوات الأمن، وأصيب حسين برصاصتين أعجزتاه عن الحركة واحدة في كتفه الأيمن والثانية في عظمة فخذ الأيسر فسقط في الأرض من فرط الألم، وانبطح رأفت فهمي مسرعاً أسفل الطاولة حيث توجد فتحة تؤدي إلى ممر ينفذ منه إلى غرفة مجاورة لغرفة الاجتماعات والتي كان بها زيكو والبودرة أيضاً، ثم يُفاجأ زيكو بوصول رأفت حي أمامه وفي حالة اضطراب فيصطنع الدهشة قائلاً:

- خير يا رأفت بك، ماذا حدث؟

- العميد رأفت: الشرطة اقتحمت المكان وبالتأكيد الثقل كلها محاصرة من الخارج.

- زيكو: وما العمل يا كبير؟

- العميد رأفت: ارفع معي هذه الطاولة فيوجد أسفلها نفق يخرجنا على بדרوم في مبنى بعيد عن هنا نصف ساعة مستحيل أن يصلوا له... هيا ساعدني... هل ستقف تنظر لي هكذا كثيراً؟

- زيكو بصوت أجش: للأسف يا رأفت بك كل شيء انتهى.

ثم يخرج زيكو سلاحاً من جانبه ويوجهه صوب العميد رأفت فينزعج الأخير قائلاً:

- هل أصابك الجنون؟... إنهم سيقبضون علينا، وأنا وأنت رقبنا في كفة واحدة يا نهرب سوياً يا نموت سوياً.

- زيكو مبتسماً: للأسف ستموت وحدك.

ثم يرفع زيكو قناعاً من الجلد من على وجهه فتظهر شخصيته الحقيقية فتبرق عين رأفت، ويحاول أن يطيح بالسلاح الذي في يده ولكن زيكو يطلق على قدميه الرصاص فيسقط أرضاً ثم يوجه سلاحه إلى رأسه قائلاً:

- بسببك أنت خسرت كل شيء حلو بحياتي، خسرت مستقبلي
وخسرت عملي وكل شيء.

وقبل أن يطلق عليه الرصاص يعبر حسين النفق الفاصل بين الغرفتين
مستندًا على اثنين من الجنود قائلاً:

- لا تفعلها يا حاتم، هذا كلب لا يساوي ثمن الرصاصة التي ستطلقها
عليه... نحن علمنا بكل شيء.

ثم يتم تكييل رأفت فهمي بالأغلال الحديدية ويحمل الجنود حسين
خارجين به، ومعهم حاتم من القبلا ليفاجأ أصدقاءه بوجوده على قيد الحياة
فتجحظ أعينهم جميعًا وتسقط ياسمين فاقدة الوعي، وتركض شمس تجاه
أخيها محتضناه بكل قوتها ويضمها إليه، وتتساقط الدموع من أعينهم ثم
يحاولون أن يعيدوا إلى ياسمين رشدها وحينما تفتح عينيها تجد نفسها تنظر
إلى وجه حاتم قائلة:

- هل أنت... أنت حقيقة أم حلم... كيف هذا؟

- فينتسم حاتم: أنت الشيء الوحيد الذي حاولت أن أبقى حيًا من
أجله... لم أتحمل آلام الفراق.

فتحضنه وتبكي من سعادتها بعد أن ردت إليها روحها، فقد تحقق
حلمها والتقت به من جديد.

وبعد مرور عدة أسابيع حكم على كل من رأفت وعلي بالإعدام
واستعاد الأصدقاء بهجتهم للحياة وعادت ابتساماتهم لشفاهم، قالت لارا
وهم على يخت حاتم يستعيدون ذكريات ما سبق:

- ولكن إلى الآن لم أفهم ما هي مصلحة علي من قتل عفاف؟

- دينا: يااااا... إنكِ حقاً غبية... ألم يوضح لنا أستاذ فهد كل شيء وما قالوه في التحقيق؟

- ندى: معذرةً يا أصدقائي دعوني أوضح لها... أنا عارفة خريطة ترائيس مخها... أنصتي لي... معذرةً يا حاتم فيما سأقوله.

- حاتم في حزن: لا داعي للاعتذار كل شيء اتضح الآن.

- ندى: والد حاتم كان شريك رأفت فهمي في المنظمه التي اكتشفناها، فكان يعتمد على سلطات رأفت فهمي في الداخلية، ورأفت كان كل ما يهمله هو جمع أكبر قدر من المال، ومن هنا بدأت المنظمه وبدأوا تأسيسها إلى أن أصبحت بهذا الحجم الذي آلت إليه، وعندما توفي والد حاتم كان رأفت يعلم تمام العلم أن حاتم مستحيل يقوم بنفس دور والده، فكان يدير المنظمه في السر وكان يخترق البريد الإلكتروني الخاص بحاتم وعمله، عن طريق مجموعة من المهندسين الذين كانوا يعملون معه في الجبل الذي تهدم بشرم الشيخ وبدون أن يعلم حاتم بشيء؛ لأنه لم يكن هناك ما يدعو للريبة أو يثير انتباهه لهذا الأمر، ولكن عندما بدأ الموضوع تظهر آثاره وبدأت الداخلية تبحث في المستندات التي لديها كان لا بد من وجود كبش فداء لهذا الموضوع، وفي نفس الوقت الذي كان يريد فيه التخلص من حاتم ظهرنا نحن بحياته وبالطبع طارق معنا، وبما أن رأفت فهمي له نفوذ كبير في الداخلية استطاع أن يجمع المعلومات التي احتاجها عنا جميعاً وأراد أن يضرب حاتم بطارق عن طريق عفاف زوجة أبيه، فأمر علي بقتلها بأسلوب علمي والذي نعلمه جميعاً وهو موضوع المخدرات، وألقى بقلم حاتم في منزل والد طارق لكي تكتشفه الشرطة، ولكن من الواضح أن علي كان غبي وألقى به في مكان غير ظاهر ولذلك تم الاشتباه في طارق في بادئ الأمر.

- لارا: هذا يعني أن السيدتين اللاتي اشتبه فيهن أيضًا لم يكن لهما علاقة بقتلها.

- ندى: بالطبع لا، هن كانتا تريدان مجوهراتها فقط.

- لارا: لكن والدهن كان تاجر مخدرات كبير، فما الذي جعلهن يطمعن في أشياء ربما يكون ثمنها بسيط بالنسبة لثروتهن؟

- ندى: لأنه باختصار شديد ابن آدم طماع، وهن لم يردن لها أن تحيا حياة هنيئة، وكانتا تودان أن يبقوها خادمة لهن.

- دينا توجه حديثها لحاتم: ولكن للعلم فقط نحن كدنا أن نموت بسببك.

- حاتم مندهشًا: بسببي أنا، لماذا؟!!

- دينا: بسبب المقبرة التي شيدتها بقيلتك.

- فييتسم حاتم: أنت لا تعلمي حجم المعاناة التي عانيتي لكي أجمع كل هذه التحف التي رأيتموها، ولا تعلمي أيضًا كم دفعت من المال للحصول عليها، ولذلك كان لا بد من تحصينها بقوة لأحافظ عليها.

- ندى: ولكني أريد أن أفهم شيئًا هامًا، كيف استطعت الهرب بالرغم من أنهم أخبرونا أنك توفيت بأزمة قلبية؟

- فييتسم حاتم: أنا بالفعل كنت توفيت بأزمة قلبية ولكن هذا بسبب دواء أعرفه يوقف القلب فجأة... ولكن الحمد لله ما حدث قبل تنفيذ الحكم تقريبًا بشهر زارني في السجن ضابط هو الذي ساعدني وكان دومًا بجاني... هل تعلمين من هذا الضابط يا شمس؟

- فتفيق شمس من شرودها قائلة: ها... لا من يكون؟

- حاتم مبتسمًا: هشام... هشام ابن عم رزق الجنايني الذي كان يعمل لدينا والدنا طرده منذ زمن عندما كنا صغارًا.

- شمس: ليس معقول هشام صار ضابطاً ما شاء الله.
- حاتم: هو من كان السبب في أن أكون معكم الآن هو من وقف بجانبه وكان يُحضر لي طعاماً جيداً والورق الذي كتبت لك به يا ياسمين... وهو من أحضر لي الدواء لأنه كان متأكد من براءتي ووقف بجانبه إلى لحظة هروبي من السجن، وهو من صنع القناع الخاص بوجه زيكو لكي أهرب به.
- ندى: وكيف أعلنت الحكومة إذاً أنه هرب وفي نفس الوقت قد أعدتمته؟

- حاتم: لأن هشام مثلما صنع لي وجه زيكو وأعطاه لي صنع أيضاً لزيكو وجهي ووضعنا له في المياه مخدرًا ودواء مثل الذي أخذته، ولكن تأثيره أقوى يعني قلبه سيتوقف عن النبض وسيموت نهائياً، فلم يشعر بما حدث له ووضعنا له القناع الذي يشبهني وارتديت أنا القناع الذي يشبهه وأصابتنا نحن الاثنين الأزمة ولكن هو توفي وأنا ما زلت حيًّا.
- ندى: ولكن أنتم هكذا قتلتموه.

- حاتم: إنه كان ميت لا مفر... لقد حاول الانتحار أكثر من مرة وأنقذوه... وغير كل ذلك هو كان سيعدم بعدي بعدة أيام فقط... واستطعت الهروب وتعرفت على السيدتين أقارب عفاف في سيارة الترحيلات، وعندما حان وقت هروبهم أخذوني معهم وانغمرت بمجتمع العصابة، وكما علمتم الباقي كله.

- لارا مندهشة: هذا شيء عظيم... ولكن أنا لذي سؤال.

- حاتم: خير.

- لارا: لماذا لم تبلغ الشرطة في ذات الوقت الذي علمت فيه أن علي هو قاتل عفاف؟... لماذا جعلتنا ندخل هذه المغارة التي صنعناها وكان هناك احتمال أن ندفن بها؟

- حاتم: أولاً علي؛ أنا لم يكن باستطاعتي إقامة دليل ضده، وكان لا بد أن يقوم بهذه المهمة أحد غيري، هذا غير أنني كنت أريد معرفة من الذي أساء إلى سمعة أبي في السوق فكان من المستحيل أن أفعل الاثنين معاً، ولذلك كان لا بد أن أستعين بأحد أثق به ولم يكن أمامي غيركم.

- فتبتسم لارا قائلة: حسناً هل ممكن أن أطلب منك طلباً؟

- حاتم: بالتأكيد تفضلي.

- لارا: هل تسمح لي أن أحتفظ بورقة البردي هذه؟

- حاتم مبتسماً: لا تغلى عليكِ بالطبع... اعتبرها هدية مني لك.

- فتغار ياسمين قائلة: حسناً هل تسمح لي أن أحتفظ بهذه الياقوتة

الحمراء؟

- فيتبسم حاتم ملاحظاً غيرتها قائلاً: أنت ستملكين مالك الياقوتة بذاته ولذلك ستحتفظين بها رغم أنني.

- فتضحك دينا: تيرارا تيرارا را.

فيتسمون جميعاً ويقضون يوماً ممتعاً ويبدأون جميعاً في الاتفاق على موعد يتمون فيه زفافهم في نفس اليوم؛ عمر على شمس، ودينا على طارق، وحاتم على ياسمين.

وبعد مرور ثلاثة أشهر من التجهيزات والإعدادات لموعد الزفاف حُلم كل منهما... وقبل ذلك اليوم بأسبوع كان حاتم جالساً ليلاً في غرفة مكتبه بثيلته يرسل بعض الرسائل عبر البريد الإلكتروني إلى الخارج، ثم وقف وأمعن النظر إلى مكتبته التي كانت إحدى الأسباب في إنقاذ حياته ثم سار بجانبها مبتسماً، وفجأة ضغطت قدمه شيئاً قوياً أسفلها، فرفع قدمه

من فوقها ومد يده ليرى ماذا كانت فوجدها قلادة تحمل نقش لتمثال الإله آمون إله الفراعنة، فأطاحت المفاجأة بعقله كيف وصلت هذه القلادة إلى فيلته ومن يكون حامل هذه القلادة، ثم تذكر أثناء حديثه مع أصدقائه بأنه لم يدخل أحد هذه الغرفة غيرهم وبعض أفراد الشرطة وهم جنود عاديين، فهل هذا يعقل أتكون القلادة ملكا لأحد أصدقائه؟ وإن كانت ملك لأحدهم فمن يكون؟ فليس لأحد منهم علاقة بوالده ولا برأفت فهمي، وبدأ ينظر إلى القلادة في دهشة لمن تكون إذا؟ من الذي استطاع منهم فعل كل هذا والظهور بمظهر البريء معهم، ثم قام بعمل بحث عن هذا التمثال من يكون فوجد أكثر من بحث علمي يقول (لقد انتشرت صور الملكة نفرتيتي في مناظر كبيرة نقشت على جدران البوابات وعلى الأعمدة الضخمة وعلى جميع جدران المعبد الذي أمر زوجها بإنشائه تكريسا لعبادة الإله آمون، ومن الملفت للنظر والمثير للملاحظة أن أغلب هذه المناظر تصورها وهي تتعبد الإله آمون بطريقة ملكية سواء أكانت في صحبة زوجها أم كانت تتعبد إلى الإله وحدها) ثم شعر باضطرابات تعصف بعقله كيف ذلك إن الوحيدة في أصدقائه التي تعشق نفرتيتي هي لارا وهي التي اختارت تمثالها عندما ذهبوا إلى متجر التحف... وما علاقة لارا بكل هذا إنها لم تعرفه إلا من بضعة أشهر... أليكون للقصة ماضي لا يعلمه؟... وشعر حاتم بالدم يغلي في عقله فحاول أن يهدأ نفسه وحاول أن يتذكر التاريخ أكثر، فبدأت المعلومات تتدفق في ذهنه وهي أن نفرتيتي كانت الزوجة الرئيسية والحاكمة للملك إخناتون وهذا الملك هو أول من قام بتوحيد الديانات في الإله آمون، وحتى لا يزعج كهنة والده حاول الجمع بين ديانة آمون رع... ثم بدأ يستعيد أفكاره من جديد فقد كانت الذي اختارت تمثال إخناتون في المتجر هي... مستحيل ثم قام بعمل بحث عن صور الإله آمون فوجد له صور ونقوش عبارة عن تمثال رافع يده إلى السماء وبينها أشعة الشمس... صعق لهول

المفاجأة كيف تكون أخته من فعلت كل ذلك، وخرج من غرفة مكتبه وهو في حالة ذهول يبحث عن أخته في غرفتها فلم يجدها فسأل منصور الخادم، فأجابه الأخير بأنها كانت تتصفح إحدى الكتب في حديقة الثيلا أمام حمام السباحة، فخرج مسرعاً إلى الحديقة فوجدها تقف بجوار سور الثيلا وكأنها تتحدث إلى شخصٍ ما ولكنه لم يرَ أحداً لبعده المسافة وظلام الليل فنأدى عليها بقوة: شمس... ماذا تفعلين؟

فدارت شمس خلفها وذهبت له وهي في حالة ارتباك محاولة ضبط نفسها قائلة:

- لا شيء أنا أنا... لقد سمعت صوت حركة عند السور فذهبت لأرى من هناك.

فينظر لها حاتم شذراً قائلاً وهو يرفع في يده قلادة آمون:

- ما هذا؟

- فترتبك شمس أكثر قائلة: لا... لا أعرف... ما هذا؟

- فيصنعها حاتم على وجهها قائلاً: سافلة حقيرة... بعد كل ما فعلته لأجلك... لماذا فعلتِ بي كل هذا؟... لقد اتضح كل شيء الآن وانكشف أمرك... كيف أصدق كل ذلك؟... كيف استطعتِ فعل كل ذلك اتجار في المخدرات والأسلحة وسرقة أراضي الدولة وقتل... لماذا كل ذلك؟ كل هذا من أجل المال... أنتِ لديك من المال ما يكفي لحياتك كلها وبعد ممتلكاتك أيضاً.

شمس والدموع تنحدر من عينيها في صمت:

- أنا ليس لي دخل بأي شيء أنا كنت مجرد أداة ليس أكثر، أنا لم أفعل أي شيء بالله.

- حاتم: أما زلتِ تكذبين كل شيء، اتضح الآن هذه القلادة هي

رمز المنظمة كل فرد بها كان يرتدي الخاتم الخاص بها، وبما أنني وجدت هذه القلادة هنا في الفيلا فبال تأكيد هي ملكك أنتِ وأنتِ المسئولة عن كل شيء... لماذا؟... لماذا أردتِ الخلاص مني؟... ماذا فعلتُ لكِ؟... حتى الميراث قسمته بيني وبينك بما يرضى الله... اللعبة انتهت يا كلبة، كل شيء انكشف الآن، أنتِ زعيم المنظمة الذي تسبب في كل هذا الخراب، أنتِ من كان سيهلك مستقبلتي كله، أنتِ من رأيت بسببها أيام سوداء وما كنت أتخيل يوماً أن تكوني أنتِ السبب في كل ذلك... لقد كنت أشعر بالسعادة عندما تكونين بجواري ويا ما تمنيت أن يأتي اليوم الذي تسكنين فيه معي بمنزل واحد... وفي النهاية يكون هذا جزائي... لماذا؟ لماذا؟... كانت نيتك أن تزيجيني من طريقك لكي تكلمي في تجارتك القذرة مثل أبيك.

- شمس: يكفي كل هذا الكلام، أنا لم يكن بيدي شيء أفعله، أبونا هو من أجبرني على ذلك، وإلا كان سيطلق أمني ويطرنا في الطرقات أنا وهي إذا لم أنفذ ما طلبه مني؛ لأنه كان يعلم أنك مستحيل تقبل بشيء كهذا، وأنا كنت على أتم استعداد لتحمل أي شيء على نفسي لكن على أمني لا.

- حاتم: وما هو ذنب كل هؤلاء الأبرياء الذين دمرتم حياتهم؟... ما هو ذنب العائلات التي قُتل وتوفي والديهم وأزواجهم بسببكم؟... ما هو ذنب الأمهات اللاتي احترقت قلوبهن على أولادهن وبناتهن؟... أجيبي اذكري لي سبباً واحداً يجعلك تفعلين بي كل ذلك وكنت سأموت بسببك.

- شمس: وما زلت حياً أيضاً بسببي.

فصمت حاتم لحظات وينظر لها نظرة استفهام فتكمل حديثها قائلة:

- أنا من أرسلت لك هشاماً، وأنا من صممت خطة هروبك، وأنا من يسرت لك كل شيء لكي تستطيع العودة لي مرة أخرى، ولكن لم أكن يوماً السبب في كل من قُتلوا لقد كنتُ فقط مجرد أداة.

- حاتم منفعلاً: ماذا تعنين بكلمة أداة؟ أنا أريد أن أفهم ثم يصفعها على وجهها مرة أخرى من هو الرئيس؟ من الزعيم؟
فتبكي شمس بقوة ثم تنفض فجأة عليه ويكسر صمت الليل صوت دوي طلق ناري.

* * *

يدخل صلاح مكتب حسين ويهتته على تنفيذ حكم الإعدام في رأفت فهمي فيتسم حسين:
- الله يبارك فيك يا أبو صلاح.
- صلاح: يااااااا... أخيراً قد انتهى هذا الكابوس.
- حسين في شرود: حقاً الحمد لله.
- فينظر صلاح له مندهشاً: لماذا تقولها بهذه الطريقة؟! وكأنك غير راضٍ عما حدث.

- فينظر له حسين: أصدقك القول، لقد حدث شيء غريب.
- فيندهش صلاح: شيء غريب... ماذا تقصد؟!
- حسين: هل تعلم ما هي آخر كلمة قالها رأفت فهمي قبل إعدامه؟
- صلاح: لا، وكيف لي أن أعرف؟
- حسين: الضابط الذي كان يشرف على عملية الإعدام وجد رأفت يقول له حينما وضعوا جبل المشنقة حول رقبتة... لقد استطعت اصطيد القرش لكن الحوت الكبير ما زال يجوب البحر.
- صلاح مندهشاً: هل تقصد أن...
- حسين متوتراً: هذا ما يقلقني يا صديقي العزيز... أن نكون هدمنا

كل شيء والمنظمة كلها قتلت، بينما رأفت الذي قبضنا عليه هو الرجل الثاني... يعني الزعيم رجل آخر.

* * *

ركض منصور مسرعاً تجاه حديقة الفيلا حين سمع صوت الطلق الناري وجحظت عيناه مما رآه فانفعل حاتم قائلاً:
- اتصل بالإسعاف حالاً يا عم منصور، واهتم بأمرها واذهب معها إلى المستشفى.

وقام حاتم من على الأرض وقبل أن يركض تجاه المكان الذي أُطلق منه الطلق الناري وجد مفاتيح سيارة شمس على الطاولة المجاورة له، فاخطفها وركض مسرعاً تجاه سيارتها واستقلها وضغط على دواسة البنزين في قوة فانطلقت السيارة مسرعة في أثر سيارة أخرى كانت تركض دون وعي، واخترقت ثلاثة إشارات ووراءها سيارة حاتم مما أدى لاصطدام بعض السيارات به ولكنه لم يبالٍ بذلك واستمر في قيادته الجنونية خلف تلك السيارة، ثم انحرفت السيارة الأولى فجأة تجاه اليسار ووجد حاتم نفسه وجهًا لوجه أمام سيارة نصف نقل، فرفع اليد الخاصة بالفرامل الخلفية وأدار عجلة القيادة في حركة سريعة وضغط على دواسة البنزين بقوة فتفادى الاصطدام بسيارة النقل جزئياً، رغم أنها اصطدمت بمؤخرة سيارته ولكنه استطاع الاستمرار في ملاحقة سيارة القاتل، ثم انطلق الأخير بسيارته في اتجاه معاكس لسيره فكانت السيارات تحاول أن تتفاداه وتبتعد عن طريقه، واستمر حاتم في أثره ولكنه لم يصمد طويلاً وفجأة وجد نفسه بين خيارين، إما أن يصطدم بإحدى الفتيات وهي تعبر الطريق أو يصعد فوق بعض الألواح الخشبية المنزلة على الأرض فوق بعض الصفائح الحديدية (براميل) بميل والمصممة لعمل بما يسمى سقالة لترميم إحدى المباني، فاختر حاتم

الاختيار الثاني وصعدت السيارة فوق الألواح مسرعة حتى وصل إلى نهايتها، ووجد حاتم نفسه وسيارته محلقيين في الهواء، فألقى نظرة خاطفة على السيارة التي يطاردها فوجدها أسفله وتبعد عنه بضع سنتيمترات قليلة، فقفز من سيارته على سيارة القاتل ولكنه أخطأ في تقدير المسافة فسقط على الزجاج الخلفى للسيارة، وأصبح نصف جسده بداخلها والنصف الآخر خارجها، وسقطت سيارته في منتصف الطريق فاصطدمت بها سيارات أخرى وأشد ما كانت دهشة حاتم حينما استطاع الدخول إلى السيارة وعرف قائدها، ثم حاول أن يثنيه بقوة عن الاستمرار في القيادة ولكنه لم يستطع ذلك، وفجأة وجدا نفسيهما وجهًا لوجه أمام إحدى شاحنات نقل الرمال، فقفز حاتم من السيارة مسرعًا وتركها تصطدم بالشاحنة.

انطلقت سيارة الإسعاف مسرعة تجاه المستشفى وبها شمس في حالة حرجة ومعها منصور الخادم، وعندما وصلت السيارة إلى باب الطوارئ ركض الممرضون بها إلى غرفة العمليات حيث جهزت لها مسبقًا من خلال حديث قائد السيارة مع المستشفى، وأغلقت الغرفة وظل منصور بالخارج وقام بالإتصال بحاتم ليخبره بما حدث، ثم جاء حاتم بعد ساعة من المكالمات ووجد شمس ما زالت بغرفة العمليات وظلت بها نصف ساعة أخرى، وكان قد أجرى حاتم خلال هذه الفترة محادثة هاتفية بحسين العزازي يخبره فيها بأنه عرف زعيم المنظمة ولقد لقي حتفه أخيرًا، ولم يمر وقت طويل وكان حسين مع حاتم في المستشفى، وقد خرجت في هذا الوقت شمس من غرفة العمليات فسأله حاتم في لهفة:

- طمني أرجوك يا دكتور.

- الطبيب: للأسف الرصاصة اخترقت جزءاً من البطن الأيسر للقلب.

فتجحظ عين حاتم فيسأل حسين الدكتور قائلاً:

- ماذا تقصد؟... كيف حالتها الآن؟

- الدكتور: أقصد... ربنا يتولاها برحمته، لقد أخرجنا الرصاصة وهي الآن بين يدي الله... القلب لن يصمد كثيرًا.

فيكي حاتم بقوة ويحاول حسين تهدئته ولكن دون جدوى، وبعد ساعة من الصمت حاول حسين الحديث مع حاتم قائلاً:

- هل تستطيع التحدث الآن يا دكتور حاتم؟

- حاتم في شرود: نعم، يا حسين بك تفضل.

- حسين: من الزعيم؟

- حاتم: أبي... شكري محفوظ.

- فيندعش حسين: والدك... ألم يتوف والدك منذ سنوات؟

- حاتم: هذا ما نعتقده أنا وأنت، لكن الحقيقة أنه كان حيًا وتوفي اليوم في حادث وأنا أطارده، بعدما أطلق النار علي، وأختي شمس هي التي أنقذتني وتلقت الرصاصة بدلًا مني.

فيجري حسين اتصالاته لمعرفة هل شكري محفوظ بالفعل هو الذي لقي مصرعه اليوم أم شبه لحاتم من هول الصدمة، ولكن كانت الإجابة بأنه فعلاً هو شكري محفوظ وأن جثمانه الآن في المشرحة، وفجأة وجد حاتم الممرضة تخرج من غرفة العلميات وهي تركض تجاه غرفة الدكتور وتعود به بعد لحظات، ثم تمر عدة دقائق والدكتور والممرضة داخل الغرفة وحاتم يكاد ييجن من خوفه على أخته شمس، ثم يخرج الدكتور في تباطؤ ناظرًا إلى الأرض قائلاً:

- القلب لم يستطع الصمود... البقاء لله.

سقط حاتم في الأرض دون أن يتفوه بكلمه والدموع تنحدر منه
فوضع حسين يده على كتفه قائلاً:

- البقاء لله... والدك أيضًا نقلوا جثمانه إلى المشرحة.
فيتنفض حاتم لسماع هذه الكلمات فيركض مسرعًا خلف الطبيب
قائلاً:

- دكتور هل تسمح بأن تطلعني على حالة جسدها الآن؟
فينظر له الدكتور في حالة ذهول معتقدًا أن حاتم جن من هول الصدمة
فيجيبه:

- لقد توفيت يا أستاذ، انتهى الأمر.
- حاتم: منفعلاً أرجوك أجبني أنا دكتور جراحة وأعلم ماذا أقول؟
- الدكتور: الجسد سليم، القلب فقط توقف عن النبض.
- حاتم: هل هذا يعني أنه إذا نقلنا لها قلب شخص آخر متوفٍ،
وعملنا له صدمات كهربائية ممكن يحدث تكافؤ؟

- الدكتور مذهولاً: ولكن لا بد أن يكون من نفس الفصيلة، ولم يمر
على وفاة الشخص الآخر أكثر من أربعة وعشرون ساعة ولا عليها أربعة
وعشرون ساعة أيضًا حتى لا يتلف المخ.

حاتم منفعلاً: جهز كل شيء يا دكتور، الجثمان الذي ستأخذ منه
القلب سيكون هنا في غضون ساعتين فقط.

فنظر له الطبيب نظرة العاقل إلى المجنون فاندش حسين لفعل
حاتم قائلاً:

- من تقصد بحديثك هذا؟
- حاتم: وهل هناك غيره؟ أبي... أنا أريدك أن تساعدني بنفوذك
لنخرج جثمانه من المشرحة ونحضره هنا.

وبالفعل أجرى حسين عدت اتصالات تجاوزت النصف ساعة حتى استطاع أخيراً أن يحصل على أمر بإخراج جثمان شكري محفوظ من المشرحة وإرساله لهم، وبالفعل خلال ساعتين كان جثمانه راقداً بجوار شمس في غرفة العمليات وبدأ الأطباء عملهم واستغرقت العملية ثلاثة عشر ساعة، اتصل حاتم خلالها بعمر وياسمين وباقي أصدقائه، وجاءوا على عجل، وحُبست الأنفاس وتوترت الأجواء حتى خرج فريق الأطباء من غرفة العمليات منهكي القوى، فطمأنوهم بأن العملية نجحت، وبدأت السكنينة تتسلل لقلب حاتم شكري وحمدوا جميعاً الله.

* * *

بعد مرور عدة أيام بدأت شمس تستعيد صحتها رويداً رويداً وجلسوا جميعاً بجانبها، وكانت تنظر إلى حاتم وعيناها دامعة ولكن حاتم كان ممسكاً يدها في عطف وحنان بالغين، وحينما حاولت أن تتكلم منعها حاتم حتى لا يعلم باقي أصدقائهم بما كانت تفعله من قبل، ومرت الأيام وشُفيت شمس تماماً وعادت إلى فيلتها وحينما تركها أصدقاؤها وعمر جلست مع حاتم قائلة:

- ألم تسامحني بعد؟

- حاتم بابتسامة هادئة: هل تعتقدين بعدما ضحيت بحياتك من أجلي سيكون هناك شيء آخر يغضبني منك أو يجعلني أبتعد عنك لحظة واحدة؟... أنا بعدما كنت أنوي التناقش مع عمر بخصوص أن تقيموا معنا هنا في الفيلا، لن يكون هناك مناقشة بل سيصبح أمراً، فإذا أراد الزواج منك يرضخ لأمرى وتظلين بجانبى، أما غير ذلك فأنا لن أتركك بتتعددين عنى مرة أخرى مهما كان الثمن.

فتبتسم شمس والدموع تنحدر من عينيها وتحضنه بضعة دقائق وهى تبكي بين ذراعيه قائلة:

- حقاً كان غضب عني هو من فعل بي وبك كل ذلك، كان يريد الانتقام منك بعدما فعلته مع عفاف والمال الذي أخذته منه، وهو من حاول إدخالك السجن ولكن أنا كنت كل مرة أحبط محاولاته.

- حاتم مندهشاً: كيف ذلك!؟

- شمس: لقد كان يطلب مني دومًا أن أخترق البريد الإلكتروني الخاص بك وأرسل الشركة التي بالخارج ولم يكن بيدي أن أرفض، ولكن عندما علمت أنه هو الذي أرسل علي ليقتل عفاف ويلقي القلم الخاص بك في منزلها وعلمت منك أيضًا أنك فقدته بالفعل، أرسلت رسالة بالبريد الإلكتروني للشركة المصنعة لهذه الأقلام التي تفضلها أنت لكي يكون دليل بيديك لأي ظرف، وعندما التصقت التهمة بطارق ثم بأهلها بعد ذلك نسيت أن أخبرك بأمر هذه الرسالة واعتقدت أنه لن يمسسك ضرر، ولكن عندما اتهمت أنت في هذه القضية سلمت نسخة مطبوعة من هذه الرسالة ورد الشركة عليها للأستاذ فهد المحامي.

فينظر لها حاتم مبتسمًا ويقبلها من وجنتيها وهي تبكي قائلة:

- ليس هذا فقط أنا أيضًا من أرسلت لك هشامًا لكي ينقذ...

- فيضع حاتم إصبعه على شفتيها قائلاً: أنا اتصلت بـ(هشام) وعلمت منه كل شيء، وأخبرني بأنك طلبت منه أن يفعل كل ذلك لكي أهرب من السجن، وهو فعل ما طلبت منه ليرد الجميل الذي فعلته لأجله وهو أيضًا متأكد من براءتي.

بعد مرور عدة أيام يدخل حاتم غرفة شمس فيتسم من فرحته لجمالها في فستان عرسها، فيضمها إلى حضنه ثم يقبلها من وجنتيها ويمسح دموعها قائلاً:

- أنتِ أحلى عروسة في الدنيا... أنتِ شمس الكون.
- شمس بابتسامة ماكرة: أنتِ تكذبِ أيها العاشق الولهان، أحلى
عروسة ستكون حبيبة القلب الأميرة ياسمين.
- حاتم: أنتما الاثنتان ملكات قلبي.

ثم يسمعون صوت كلاكسات سيارات الزفة أسفل الثيلا فيصطحب
حاتم أخته شمس ويسلمها ليد حبييها وابتسامتها تشرق بوجهها، ثم اتجه
إلى فيلا يس المهدي ليأخذ ملكة قلبه وحبيبة روحه ياسمين، ثم يدخلون
القاعة ثلاثتهما عرسان وعرائس فتضج القاعة بأصوات التهتة وتعزف
أجمل الألحان ويحتضن كل منهما عروسته، وتنظر ندى ولارا إلى بعضهن
وتقول الأخيرة: خلينا أنا وأنتِ كذا قاعدين بوزنا في بوز بعض زي فرد قطع.
ويفاجئ حاتم الجميع ويشدو بصوتٍ عزب لمملكته ياسمين.

الليلة أجمل ليالي العمر

وانا بين أحضانك يا حبيبي

يا عيون أغلى من الماس والدر

أنا كلي ملكك يا حبيبي

الليلة دي استتها من سنين وسنين
عشت أحلم بيها في خيالي
ولما دق قلبي الشوق والحنين
لأتني بنده عليك ياملاكي
خطفني السحر اللي في عيونك
ونسيت دنيتي وحياتي

واتمنيت أكون ليك وأصونك
من عيونهم ومن زمانيني
والنهاردة بس
كل اللي حلمت بيه لقيته
فى حضنك وأنا
بغني لقلبك على دقاته

مكت

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٩	الفصل الأول
١٧	الفصل الثاني
٢٩	الفصل الثالث
٣٧	الفصل الرابع
٥١	الفصل الخامس
٦٩	الفصل السادس
٩١	الفصل السابع
١٠٣	الفصل الثامن
١٢٩	الفصل التاسع
١٥٩	الفصل العاشر
١٦٧	الفصل الحادي عشر
١٧٩	الفصل الثاني عشر
١٩٩	الفصل الثالث عشر
٢١٥	الفصل الرابع عشر
٢٣٥	الفصل الخامس عشر
٢٥١	الفصل السادس عشر

رقم الصفحة	الموضوع
٢٦٥	الفصل السابع عشر.....
٢٨١	الفصل الثامن عشر.....
٣١٣	الفصل العشرون.....
٣٣٣	الفصل الحادى والعشرون.....
٣٥٣	الفصل الثانى والعشرون.....
٣٦٧	الفصل الثالث والعشرون.....
٣٨٥	الفصل الرابع والعشرون.....

* * *